



## أبو جعفر المصادرى

أبو جعفر المصادرى - فيما يبدو - من أفاد الرجال في تاريخ الثقافة الإسلامية العربية، يبدأنه لازال مغموراً ومطموراً للغاية. كلما نحاول التعريف والتعرف به نكاد لا نجاوز بينك اللفظتين أعني الكنية و النسبة السالفتين .

قد استمر يعرف بها فقط منذ نو跟他 في حقل العلوم والأداب ، حتى بعد مرور زهاء ألف عام على جيله ، فهل كان اسمه وكنيته سواه - شأن أبي سفيان بن العلاء أو أخيه أبي عمرو بن العلاء (المتوفى سنة ١٥٤ هـ) على بعض الأقاويل<sup>١</sup> ، أم غلت الكنية على اسمه ، فظلوا هججين بها لكونهم في غنى عن اسمه بهذه الكنية ؟ لسنا في شيء من ذينك الوجهين على جلية الأمر .

مهما يكن فإن الأوساط الثقافية ظلت تعرفه بكلية « أبي جعفر » مشفوعة بنسبة « المصادرى » ، ثم لا يتوضّح لنا سبب هذه النسبة تاريخياً ، ولكن ما لا شك فيه أن الرجل عاش في غضون أشهر الأدوار الإسلامية ازدهاراً ، كما اتفق له أن يباشر التلمذة على أبي عبيدة عمر المثنى<sup>٢</sup> (١١٠-٢١٠ هـ) أحد مشاهير ذلك العصر ثقافة واسعة واطلاعاً عميقاً . وأدل دليل على ذلك احتلال صاحبنا بمكانة سامية في طبقة الرواة الذين أخذوا

عن أبي عبيدة كتابه المرموق الفذ «مجاز القرآن»، بطريقة مباشرة .  
هذا و سنبين أنه كما تلقى عن أبي عبيدة، استقى أيضاً عن قرن مجده  
الاصمعي<sup>٢</sup> الرحلة الحجة (المتوفى سنة ٥٢٦هـ) و حسبه ذخراً و خيراً أن  
يتخرج عليهما معاً .

إنما وقع لي أيام الطلب أن سمعنا عن المصادرى هذا بحث أنه راوى  
كتاب مجاز القرآن، و ذلك في أثناء القراءة على أحد شيوخه في الحديث  
النبوى، كتاب التفسير لابخارى في ضمن جامعه الصحيح المجرد المسند من  
حديث رسول الله و سنته و أيامه .

ما كان إذ ذاك خطر يالى أن هذا البيان الموجز - الذي زودنا  
به هذا الشيخ الجليل في خطابه المستفاد من فتح البارى و ما إليه من  
الشروح و المراجع في أثناء تعريفه إيانا بمصادر البخارى في أبواب تفسيره  
- هو معظم ما انحدر إلينا عبر القرون المتتابعة عن هذه الشخصية الفذة  
بحيث تكون الاضافة إليه ولو بشيء طفيف عقبة صعبة المترقب، وقد  
مر على هذه القصة نحو ثلاثة عشر قرناً استنبول و غيرها .  
ما إن جاوزنا منتصف القرن الحاضر إلا و دلنا صديقنا الراحل الأستاذ  
رشاد عبد المطلب<sup>٣</sup> على بعض النسخ المخطوطة للجاز، ثم أصبح هذا  
الكتاب الشيق لابن عبيدة في متناول أيدينا و هنالك قرأنا في مقدمة  
التحقيق عن نسخه المخطوطة و صفة رائتها كقرأنا عن روایات الآخذين  
عن مؤلفه بال المباشرة ياباً صابراً، كل ذلك أورده المحقق الجميد الدكتور  
فؤاد سزكين في تقدمة الكتاب<sup>٤</sup> بعد أن أفرغ مجهوده في البحث و التنقيب  
على أحدث المناهج المتتابعة في تقديم النصوص العتيقة و تحقيقها .

لقد كنت أرجو أن المحقق الدكتور فؤاد سزكين يزودنا في ضمن  
بيانه الوافي بروايات كتاب المجاز بما يعد طريقة جما عن أبي جعفر المصادرى  
بالاضافة إلى هذه النبذة التي استفدناها عن ابن حجر ، ولكن الدكتور  
المحقق ما كاد يتجاوز ما قاله صاحب الفتح ، وهذا نص كلامه بصدق  
البحث عن رواية المصادرى لكتاب مجاز القرآن : وأشار ابن حجر في  
الفتح إلى أن رواية أبي جعفر المصادرى ( و هو شخص لم أهتم إلى معرفة  
أى شيء عنه ) كانت عند البخارى <sup>٧</sup> .

إذا كان لا أدرى سمة يمتاز بها فطاحل العلماء في تأريخنا الثقافي كابرًا عن كابر فان هذا الاعتراف نفسه جدير بأن نقوم له قيمة خلقية سنية، فقد دل دلالة واضحة على سعة صدر الحق الفاضل وعلى ما اتصف به هو من أمانة علمية مع نهاية قدره في ميدان البحث العلمي النزيه، و الظاهر على ما يتبادر من سباقيه أن خزان الكتب الهاامة التي تيسر له استخدامها في تحقيق النص لكتاب المجاز و تمكن من العثور على مخطوطاتها المصنونة المضنوون بها ، كادت تكون خالية في غالبظن ، من أي نوع من التدليل على شخصية أبي جعفر المصادرى .

غير أنني مع شعوري بصعوبة الأمر حداني الغرام بالمصادر المطمور على أن لا أدع حيلة في الوصول إلى أسباب سرقة إلا أتيتها حسب المستطاع، لعلني أطلع على شخصيته الفذة المغمورة طوال القرون ولو بقرائن طفيفة، فظلت أتصفح في أثناء مطالعى و تقلبي لأوراق الأسفار كل نغير و قطمير عسى أن يأتيني بمزيد الفائدة في التعرف بالدارى مع تلة وسائلى و سيق بحالى في هذا المضار .

هنا ينبغي أن أعتذر علانية أنه لم يأن لي لأن أن أقف على شيء كبير

ذى بال في هذا الصدد، ولكتنى و الحمد لله وحده، في أثناء القراءة و المطالعة بقدر الوسع و حسب المتسع ، عثرت على شوارد مبعثره غير تافهة من جهة الافادة المنشودة تنطوى في الجملة على فوائد جلى في التثبت من شخصية هذا المصادرى المطمور .

قد سمح لي ذات مررة أن أتبع كتاب مشكل الآثار لابى جعفر الطحاوى<sup>٨</sup> الامام الشهير في الحديث النبوى و فقه معانىه و لقد متونه و سرد نصوصه رواية و دراية و بيانا و تبيانا ، فوجدهه يأتى في طوابيا مؤلفه الحافل بأشتات مما انحدر إليه من روايات ابى جعفر المصادرى عن ابى عبيدة معمر بن المثنى ، ولا غرو أن في سردها فيما يلى فائدة يعرفها من له إمام بطرق التعريف بشخصيته نادرة كشخصية صاحبنا ، و مزید الحرص على معاناة التصفح بصدق الاطلاع على نبغاء ماضينا المجيد ، و قد اعتمدت في ذلك على طبعة دائرة المعارف العثمانية المتداولة مع نقصها و فتورها<sup>٩</sup> .

فهاكم أشتات النصوص التي ساقها الطحاوى بسنده إلى كتبه المصادرى مع ذكر الأبواب والفصول على ما يلى :

١ - باب بيان مشكل ما روی عن رسول الله صلی الله عليه وسلم في رفع العلم عن الناس و قبضه منهم :  
 (بسنده إلى جبير بن نفير) أنه قال: حدثني عوف<sup>١٠</sup> بن مالك الأشجعى أن رسول الله صلی الله عليه وسلم نظر إلى السماه يوما فقال: هذا أوان رفع العلم (الحديث) فقال: فلقيت شداد<sup>١١</sup> بن أوس ، خدمته بحسبديث عوف فقال: صدق عوف، ألا أخبرك باول ذلك ، يرفع<sup>١٢</sup> الخشوع حتى لا ترى خاشعا .

قال الطحاوى : و الحشوع الذى أراد شداد فى هذا الحديث ، والله أعلم ، هو الأخبار والتواضع والتذلل لله عز وجل ، و كذلك حدثنا الوليد بن محمد التميمي النحوى أبو القاسم المعروف بولاد ، حدثنا أبو جعفر المصادرى عن أبي عبيدة عمر بن المثنى فى قوله تعالى ( وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ) المختبن المتواضعين<sup>١٦</sup> ( مشكل الآثار : ١ / ١٢٢ - ١٢٣ ) .

٢ - باب بيان مشكل ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

في قوله في أبي موسى : لقد أتني من مزامير<sup>١٧</sup> آل داود .

( بسنته إلى مجاهد ) في قوله تعالى ( يا جبال أتني معه ) قال : سبحي ، وأما أهل العربية فنهم من كان يذهب إلى ذلك بأن المراد أتني معه ارجعى معه من الآيات ، منهم أبو عبيدة عمر بن المثنى كما قد حدثنا ولاد النحوى عن أبي جعفر المصادرى<sup>١٨</sup> عنه ويحمل ذلك من الآيات من الأنبياء ( مشكل الآثار : ٢ / ٥٨ - ٦٠ ) .

٣ - بيان مشكل ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من

قوله : كل مولود يولد على الفطرة .

قال أبو جعفر : اعتبرنا ما جاء في ذكر الفطرة في كتاب الله عز وجل فوجدنا الله عز وجل قد قال في كتابه ( الحمد لله فاطر السماوات والأرض ) أى خالق السماوات والأرض ، قال و كذلك حدثنا ولاد النحوى عن المصادرى عن أبي عبيدة<sup>١٩</sup> وقال عز وجل فيه ( وما لي لا أعبد الذي فطرنى ) أى خلقنى ، وقال عز وجل ( فطرة الله التي فطر الناس عليها ) أى ملة الله التي خلق الناس عليها ، قال و كذلك أيضا حدثنا ولاد النحوى عن المصادرى عن أبي عبيدة<sup>٢٠</sup> في أشياء من هذا المعنى ( مشكل الآثار : ٢ / ١٦٢ - ١٦٥ )

٤ - بيان مشكل ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أجاب من سأله عن ميراث رجل من الأزد فيما في يده، لما ذكر أنه لم يجد أزيداً :

... وما قد حدثنا ولاد النحوى ثنا المصادرى عن أبي عبيدة معمر بن المثنى (شuboأ وقبائل) قال من شعب من أنت؟ فيقول: من مصر، من ربيعة والقبائل دون ذلك (مشكل الآثار: ٣ / ١٤٥ - ١٤٩) .

٥ - بيان مشكل ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في البعض ما هو :

.. ثم طلبنا البعض في كلام العرب ما هو؟ فوجدنا المصادرى قد حدثنا قال حدثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى قال: البعض ما بين الواحد إلى الأربعه (مشكل الآثار ٤ : ١٢٧) .

٦ - بيان مشكل ما اختلف القراء فيه من قراءتهم (لقد كان لسيا) هل هو مما يدخله الاعراب :

... وجدنا ولاد النحوى قد حدثنا قال حدثنا المصادرى عن أبي عبيدة (لقد كان لسيا في مساكنهم) فمن نون جعله أبا للقبيلة ومن لم ينون جعلها أرضا (مشكل الآثار: ٤ / ٣٣١) .

٧ - بيان مشكل ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله لأبي الدرداء: طف للاصاع .

قال أبو جعفر: فكان الطف المذكور في حديث أبي الدرداء هو النقسان، ومنه قوله عز وجل (وَبِلَّاطْفَلِينَ) وقد حدثنا ولاد النحوى عن المصادرى عن أبي عبيدة قال: المطهف الذى لا يوفى<sup>١٨</sup> على الناس (مشكل الآثار: ٤ / ٣٦٥) .

هذا مجموع ما اطاعت عليه عند الطحاوى فى مشكله من فوائد رواها  
عن ولاد عن المصادرى، و يمكن أن تختوى الخروم الكثيرة لم تبلغنا من  
كتاب المشكل ، على أشياء أخرى تضاف إلى هذا المجموع ، ثم يعنى لي  
نتيجة للتتبع أن الطحاوى لم يسوق فى شرح معانى الآثار شيئاً ما عن ولاد  
هذا ولا عن شخمه المصادرى .

لا شك أن هذا النتف العديدة على الأغلب تمت بصلة قرية جداً  
إلى كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة عمر بن المتشي ، و لها من هذه الناحية  
أيضاً قيمة سنية كأن هذه الاستناد الذي روى به الطحاوي تلوك الشوارد  
يرمتها يفيدنا القطع بأمرین هامین فدونكم بيانهما فيما يلي :

١- إن رواية المصادرى لكتاب المجاز عن مؤلفه لم تكن فقط عند الامام محمد بن إسماعيل البخارى ولكنها كانت أيضاً عند الوليد بن محمد النجوى أبي القاسم الشهير بولاد الذى روى عنه أبو جعفر الطحاوى ما روى ، و تلك فائدة لم يتأت لى الوقف عليها في شيء من المصادر المتواصلة إلينا غير كتاب مشكل الآثار للطحاوى .

٢ - كان المصادرى للآن يحيط به حجب كثيفة تركه مبهمًا للغاية  
لو لا أن البخارى الإمام أخذ عنه واستقى كا ثبت ذلك عند الحافظ  
ابن حجر ولكن هذه النتف تساعدنا على إزاحة الستائر عن شخصه أكثر  
من ذى قبل ، و إذا كانت هي لا تعرفنا عن حياة المصادرى و ذاته بشيء  
جديد فهو في الوقت نفسه قد أطلعنا على تلميذ آخر له تلقى عنه كتاب  
المجاز لابي عبيدة كا أن الإمام البخارى تلقى عنه الكتاب بعينه و تلك  
فائدة أخرى لا يستهان بها .

ثم يحسن بنا ه هنا أن نضيف إلى ما قدمنا أن رواية المصادرى

لكتاب المجاز بالإضافة إلى جانب النصوص المسموعة عن أبي عبيدة كانت تكتوى على بعض فوائد جمة وزيادات مهمة تلقاها المصادرى عن غير أبي عبيدة من أقرانه وأبناء جيله، و ذلك بدليل ما وقفت عليه عند ابن حجر في كتاب الاصابة في ترجمة المستوغر<sup>١٩</sup> وهذا نص كلامه :

«وقال الأصمى قال أبو عمرو بن العلاء : عاش المستوغر<sup>٢٠</sup> ثلاثة عشر سنتين سنة ، و ذكر أبو جعفر في زيادات كتاب المجاز لأبي عبيدة عن الأصمى قيل للإصمى : من أين أتيت هذا ؟ قال : من قبل أخيه ، (كتاب الاصابة ٣ / ٤٦٨ رقم ٨٤٠٧ )

أفادتنا هذه النبذة : أولاً بأن رواية المصادرى لكتاب المجاز ما كانت تخلو من زيادات قيمة ، و ثانياً : أن المصادرى كما روى عن أبي عبيدة كذلك أيضاً روى عن فرنه الأكبر عبد الملك بن قريب الأصمى ، وهذه فائدة برأسها هامة زودنا بها ابن حجر رحمه الله .

هاتيك الشوارد المتقدمة بحذافيرها أدتنا إلى أن نعلم بدون شك يختلج في الصدور أن الوليد بن محمد التميمي و محمد بن إسماعيل البخاري كانوا رضيعي لبان وجoadi رهان .

نعم ظللنا الآن نجهل بأكثر كثير مما يتعلق بأولية أبي جعفر المصادرى تأريخنا إما لأن المؤلفين في الطبقات والترجم و المعجمات السائرة المتداولة أهلوا ذكره إذ أعزهم من أخباره و معالمه ما يفي باغراضهم و يتافق مع شروطهم المتبعة للضبط والتقييد ، وإما لما فاتهم رأساً أن يطلعوا عليه لبعض الأسباب ، ولكتنا لا نجهل إلا أقل قليل من مikanاته الثقافية بعد أن تعرفنا على اتصاله بشخصين بارزين من أعلام الثقافة العربية بالتلمندة عليهما أعني أبيا عبيدة و نده المعروف الثقة الثبت الأصمى ، ثم على اتصال علمين (٢)

علمـين جـليلـين بـالـرـوـاـيـة عـنـه اـتـصـالـاـ مـباـشـراـ وـ كـلـاهـما قـدـ عـلـىـهـ كـتـابـ بـجـازـ  
الـقـرـآن وـ كـفـانـاـ ذـلـكـ تـعـرـيـفـاـ وـ تـنـوـيـهـاـ بـشـخـصـهـ وـ مـكـانـهـ .

لـعـلـ فـيـ مـعـرـفـتـاـ بـذـيـنـكـ التـلـمـيـذـينـ مـاـ يـصـلـحـ لـجـبـرـ كـثـيرـ مـنـ هـذـاـ الـكـسـرـ  
أـمـاـ أـحـدـهـماـ فـهـوـ الـإـمـامـ الـكـبـيرـ مـحـمـدـ بـنـ إـسـمـاعـيلـ الـبـخـارـيـ وـ قـدـ طـبـقـ الـعـالـمـ عـلـىـ  
جـلـالـةـ قـدـرـهـ وـ نـبـاهـةـ ذـكـرـهـ وـ مـاـ زـلـنـاـ فـيـ غـنـىـ عـنـ الـأـطـالـةـ فـيـهـ ،ـ وـ أـمـاـ قـرـيـنـهـ  
فـيـ عـنـانـ فـلـابـدـ وـ أـنـ نـورـدـ فـيـ التـعـرـفـ بـهـ بـنـذـاـ مـاـ قـرـأـنـاـ عـنـهـ وـ عـنـ الـمـتـأـدـيـنـ  
بـهـ وـ الـمـنـتـسـبـيـنـ إـلـيـهـ فـيـ كـتـبـ الـتـرـاجـمـ وـ الـطـبـقـاتـ فـنـقـولـ :

الـوـلـيدـ بـنـ مـحـمـدـ التـمـيـعـيـ :

إـنـ الـوـلـيدـ بـنـ مـحـمـدـ التـمـيـعـيـ النـحـوـيـ أـبـاـ القـاسـمـ النـحـوـيـ الشـهـيرـ بـلـادـ  
لـحـقـيقـ أـنـ يـعـدـ فـيـ الرـعـيلـ الـأـوـلـ مـنـ شـدـاءـ الـعـلـمـ وـ رـوـاـتـهـ ،ـ وـ قـدـ عـرـفـاـ عـنـهـ  
آـنـفـاـ أـنـ يـرـوـيـ كـتـابـ بـجـازـ الـقـرـآنـ عـنـ أـبـيـ جـعـفـرـ الـمـاصـدـرـيـ بـدـلـيلـ مـاـ تـلـقـ  
عـنـهـ الـطـحاـوـيـ مـنـ هـذـهـ الـفـوـائـدـ الشـارـدـةـ بـحـقـ الـرـوـاـيـةـ عـنـ الـمـاصـدـرـيـ عـنـ  
أـبـيـ عـيـدةـ ،ـ فـهـوـ حـتـمـاـ مـنـ طـبـقـةـ الـجـلـةـ الـأـفـدـاـذـ فـيـ الـلـغـةـ ،ـ وـ إـنـ لـمـ يـؤـتـ مـنـ  
نـعـدـ الصـيـطـ وـ السـمـعـةـ مـاـ أـوـيـ الـإـمـامـ الـبـخـارـيـ .

لـاـ نـكـادـ نـعـثـرـ عـلـىـ كـنـيـتـهـ «ـأـبـيـ القـاسـمـ»ـ عـنـدـ غـيرـ الـطـحاـوـيـ ،ـ وـ لـاـ ضـيرـ  
فـانـ الـطـحاـوـيـ نـفـسـهـ فـيـهـ نـعـرـفـ ،ـ ثـقـةـ ثـبـتـ فـيـهـ يـنـقـلـ ،ـ فـيـسـتـحـيلـ عـادـةـ أـنـ  
تـشـكـ فـيـ قـوـلـهـ ،ـ لـكـونـهـ تـلـيـدـاـ لـهـ بـلـاـ وـاسـطـةـ ،ـ ثـمـ هـوـ مـنـ أـبـنـاءـ تـرـبـتـهـ فـضـلاـ  
عـنـ قـدـرـهـ الرـفـيعـ فـيـ طـبـقـةـ الـحـفـاظـ الـمـتـقـنـ الـأـثـبـاتـ .

لـقـدـ تـرـجـمـ وـلـادـاـ الـزـيـدـيـ فـيـ طـبـقـاتـهـ<sup>١١</sup>ـ وـ اـبـنـ الـجـوزـيـ فـيـ الـمـنـظـمـ<sup>١٢</sup>ـ  
ثـمـ الـقـفـطـيـ فـيـ أـبـنـاءـ الـرـوـاـةـ<sup>١٣</sup>ـ وـ الـسـيـوطـيـ فـيـ بـعـيـةـ الـوعـاـةـ<sup>١٤</sup>ـ وـ الـأـرـبـعـةـ سـكـتـواـ  
تـمـاـمـاـ عـنـ كـنـيـتـهـ عـلـىـ أـبـاـ بـكـرـ الـزـيـدـيـ اـسـتـهـلـ بـذـكـرـهـ الـطـبـقـةـ الـأـوـلـىـ مـنـ  
الـنـحـوـيـنـ وـ الـلـغـوـيـنـ الـمـصـرـيـنـ فـقـالـ :ـ «ـ وـلـادـ التـمـيـعـيـ هـوـ الـوـلـيدـ بـنـ مـحـمـدـ

التميي المصادري ، و تبعه السيوطي حيث قال : « الوليد بن محمد التميي المصادرى المشهور بولاد ، انتهى ، إلا أن كلمة « المصادرى » تصحفت في طبعة السعادة للبغية فصارت « المصاوى » ، ولم يذكر ابن الجوزى ولا الفقاطي هذه النسبة « المصادرى » في ترجمته .

مهما يكن فليس لنا أن نتكر على الزيدى صنعه ولا على السيوطي فيما أثبتت تبعا له ، والحافظ حجة على من لم يحفظ به و يعجبنا أن نقول إنه كما عرف أبو جعفر المصادرى بهذه النسبة فكذلك أيضا عرف بها تلميذه ولاد التميي المصرى .

و هذه النسبة نفسها من نوادر الأنساب تأريخيا ، إذ لم نجد لها ثالثا يعرف بهذه النسبة ، حتى أن السمعانى مع غزارة علمه و سعة اطلاعه على الأنساب بالمعنى الأعم لم يعقد ترجمة لهذه المادة و كذا أغفلها ابن الأثير في اللباب مع أنه استلزم في كتابه أن يزيد و يستدرك على السمعانى بزيادات جمة .

فللننظر فيما إذا كانت النسبة إليه ؟ ربما يخطر ببال عساها تكون إلى كتاب المصادر « لأبي عبيدة » ، وبناء على هذه الحدس - لئن صح - أنا أظن أبي جعفر لشدة عنايته برواية كتاب المصادر هذا ، أو لتفوقه في معرفة المصادر في اللغة ، عرف بالمصادرى ، ولعل تلميذه أيضا جاء على صوغه فعرف بما عرف به شيخه و نسب إلى ما نسب إليه شيخه من قبل ، ولا يخلو هذا الحدس من قرائن تحف به .

يعرفنا الزيدى بأن ولادا هذا تميي جوثمة وبصرى موطننا أم مصرى مستوطنا فقد كان انتقل إلى مصر واستقر بها حتى عد في رجالها ، وحسبه فضلا ونبها أنه لم يكن في مصر فيما قاله الزيدى : « كبير شيء من

وكان أبو العباس أيضا يقول: «ديوان رؤبه روایة لى عن أبي عن جلدي».

يُنم هذا الخبر عما طبع عليه ولاد من سمات الفضل ومخايل التفوق  
على أمثاله منذ نعومة أظفاره بحيث أفتينا رؤبة يائمه في الكتاب فيستشهد  
بعض أرجوزه نفسه ، ويستأنس به على الرغم من شدة نفوره من صبيان  
البصرة أكثر من مرة ، فقد كان لقى منهم أذى كثيراً دخلها في زيه  
البدوي فكم اتخده الصبيان سخرية لهم ، فطوروا يغزون شوك النخل في  
برنكانه<sup>٢</sup> وطورا يسعون وراءه ويسخون بأندى أصواتهم : « يا مرسوما  
يا مرسوم<sup>٣</sup> »

كانت ثقافة ولاد لا تختلف عن ثقافة جيله وأقرانه، وجدناه في زمن الطفولة يتعلم الكتابة والقراءة في بعض مكاتب البصرة و يحفظ

الشعر العربي القبح مع الأرجاز الطويلة لرقبة . و لعله في مستهل عمره وصل إلى المدينة فتعلم هناك على بعض تلاميذ الخليل كالمهبي ثم أخذ - فيها ذكر الزيدى - عن الخليل ولازمه ثم انصرف إلى المدينة و ناظر المهبي ولم يكن من الخذاق ، فلما رأى تدقق ولاد للعائنى و تعليمه فى النحو قال له : لقد ثقبت بعدها الخردل <sup>٢٩</sup> .

إذا قورن هذا القول بما أجمع عليه يونس و ابن الجوزى ، اعني قولهما « و كان نحويا مجيدا » ظهر لنا ما أتيح له من تفوق باهر في النحو و اللغة و خصوصا بعد أن عرفنا أخذته عن الخليل الفراهيدى .  
( م ١٧٠ / ١٨٥ ) .

قدمنا آنفا أنه روى عن رؤبة بن العجاج ديوان أراجيزه ، فحصل له على ذلك أن يساوى شيخ شيخه المصادرى أبي عبيدة بل ويطاول أيضا شيخ أبي عبيدة يونس بن حبيب البصرى ( م ١٨٢ ) الذى عد في ذوى الاختصاص برؤبة <sup>٣٠</sup> .

و مما يدل على أخذ أبي عبيدة عن رؤبة شفافها أنه ذكر عنه في مجاز القرآن الحرور بالليل و السموم بالنهار وقد حكى ذلك البخارى في بدء الخلق <sup>٣١</sup> .

مع ذلك لم يتفق لولاد أن يروى عن أبي عبيدة كتاب المجاز له مباشرة ، و لعل الأسفار و التقلات حجزت بينهما ، فقد كان ولاد استوطن مصر ، ومن هنا لا عجب إن فاته أن يلقى أبي عبيدة أو يتلقى عنه كتاب مجاز القرآن مستقيما حتى إنه روى ذلك عن أبي جعفر المصادرى عن مؤلفه عن أبي عبيدة .

ما كان ولاد في ثقافته ، ضيق النطاق وعاكفا فقط على النحو و اللغة  
و أراجيز ( ٣ )

وأرجيز العرب وما إليها من صنوف الآداب العربية المتاجانسة، ولكنه جازها إلى رأس العلوم الإسلامية وغرتها الشبهاء، أعني الحديث والسنّة، ذكر ابن الجوزي أنه روى عن القعبي وغيره، وحكي السيوطي عن يونس أنه روى عن القعبي<sup>٢٢</sup> وأبي زرعة المؤذن.

و القعبي هذ أحد الأخرين ، على الظاهر . إما هو إسماعيل<sup>٢٣</sup> بن مسلمة بن قعيب أبو بشر المدنى ثم المصرى بالمير ( م ٥٢٧ ) ، وعلى قول آخر سنة ٢٠٩ هـ ) أو عبد الله<sup>٢٤</sup> بن مسلمة بن قعيب أبو عبد الرحمن المدنى نزيل البصرة ، من رواة المؤطرا عن الإمام مالك وقد توفي سنة ٥٢٢ هـ ، وأبو زرعة يحتمل أن يكون هو عبيد الله<sup>٢٥</sup> بن عبد الكريم الرازى الجوال فى مختلف البلدان منها الشام ومصر وقد توفي ٢٦٤ هـ . ولينا وقينا على أكثر من هذا بصدق ما أوى ولاد من حظ غير قليل فى الحديث النبوي وحكي الحافظان ابن الجوزى والسيوطى أنه كان ثقة .

توفي ولاد فى رجب سنة ثلاط وستين ومائتين ( هـ ٢٦٣ ) أى بعد زميله البخارى بنحو سبع سنين فقط ، أما الزيدى والقطسطى فلم يبلغها تاریخ وفاته بالتحديد ولذاك أغفلنا أى إشارة إلى وفاته .

لقد تعرفنا بالقطع أنه أدرك رؤبة بن العجاج وتلقى عنه أرجيزه وهو إذ ذاك في بعض كتاباتي البصرة وكان رؤبة في الفينة بعد الفينة يتردد إليه في المكتب ويستنشده من مقطوعات شعره ويترنح ، فكانه بهذا الوليد أعجب به شاعر قبيلته الرجاز إعجابا شديدا ولعله اعتمى أن يتخدنه راوية لشعره وأرجيزه في المستقبل .

لا مناص إذا من أن نعتقد أن الوليد بن محمد عاش دهرا داهرا بحيث أنه جاوز المائة إلى نيف وعشرين سنة ، و ذلك على ما تقدم عن

ابن الجوزى و كذلك عن يونس فيما نقل عنه السيوطي من تاريخ وفاته أما رؤبة فإنه عاش إلى أن لحق الدولة العباسية كبيرة، وله مذانع في السفاح والمتصور من الخلفاء وأبا مسلم من أمراء الدولة، ولما خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن قتيل باخمرى على الدولة عاد رؤبة إلى البادية فقضى بها نحبه<sup>٦</sup> في سنة خمس وأربعين و مائة (١٤٥ھ)، ومهمها اختلفوا في مكانه إذ ذلك أنه توفي بالبادية أو في بحيرة البصرة فانهم لم يختلفوا قط في تحديد وفاته بهذا التاريخ الآتف الذكر .

هب أن ولادا حينما أخذ يتلقى عن رؤبة مقطوعات شعره بلغ على الأقل عشر سنين أو ما يقاربها ، فربما لا يستبعد إذا فرضنا أنه ولد حوالي خمس وثلاثين و مائة ، و تكون إذا مدة حياته تماما نحو ثمان وعشرين و مائة سنة ولا أرى في ذلك قادحا للهـم إلا ما يختلج في الصدور من طول هذه فهل هناك شيء يساعد كشف هذه الغمة .

من حسن الصدقة أنه بقى لدينا ما نختبر به صحة هذا الذى قد رأينا في ضوء الروايتين السالفتين ، فقد علمـنا بلا شك أن أبا جعفر الطحاوى يروى مشافـهـة عن ولاد ، و إنما ولد أبو جعفر الطحاوى على أحد الأقوال<sup>٧</sup> في سنة سبع وثلاثين و مائتين (٢٣٧ھ) و ذلك حينما بلـغ ولاد المائة سنة من عمره إلى اثنتين .

لا شك أن الطحاوى روى عن ولاد ما روى مستقيما بدون راسـطة و أنا آعتقد بما يقارب الجزم على أساس ما تقوم من تفاريق الكلام على مفردات الكتاب العزيز أنه روى عن ولاد كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة تماما ، فإذا افترضنا أنه إذ ذاك لم يتجاوز عشر سنين بل قاربـها فلابد أن نعتقد إذا أنه كان ولاد حـيا يرزـق إلى سنة سبع وأربعين و مائتين حتى

حتى اتفق للطحاوى أن يروى عنه، وبعبارة أخرى كان ولاد إذ ذاك  
جاوز المائة إلى ثنتي عشرة سنة.

يضاف إلى ذلك أننا علمنا أيضاً بنوع من اليقين أن ابنه محمد بن  
الوليد أباً الحسين أيضاً روى عنه وأخذ أشياء، منها ديوان رؤبة بن  
العجاج، وإنما توفي أبو الحسين سنة ثمان و تسعين و مائتين (٢٩٨هـ)  
عن خمسين سنة، فالمعنى أن أباً الحسين بناء على فـذـلـكـ عمره هذه، ولد  
في سنة ثمان و أربعين و مائتين (٤٢٨هـ) أي حينها كان أبوه بلغ المائة  
و ثلاث عشرة سنة، ثم يقتضى تصحیح رواية أبي الحسين عن أبيه شفاهياً  
أن نفرض ذلك حينما بلغ هو نحو عشر سنين أي حوالي سنة ثمان  
و خمسين و مائتين (٥٢٨هـ) وكان أبوه عندئذ ابن مائة و ثلاث وعشرين سنة.

هذا الذي قررناه سيوضحه جدول الحساب التالي :

توفي رؤبة بن العجاج على قول المرزباني في سنة ١٤٥  
و قد روى عنه ولاد وهو ابن عشر سنين على الأقل فاطرح ١٠ منها:

و على هذا ولد ولاد في سنة ٣٥

ثم طعن ولاد في السن حتى بلغ ١٠٢ من عمره

و صادف ذلك مولد الطحاوى أعني في سنة ٢٣٧

و لنفرض أنه روى عنه ولاد وهو ابن عشر سنين على الأقل - ١٠

و إذ ذاك أتت على ولاد ١١٢ سنة من عمره في سنة ٢٤٧

ثم يضاف إليها سنة واحدة .

حتى أن ولد ابنه أبو الحسين وهو إذ ذاك بلغ ١١٣ عاماً، في سنة

٢٤٨ و لما أخذ عنه ابنه وهو ابن عشر سنين على الأقل فلا غرو أنه

استوفى ولاد ١٢٣ سنة من عمره في سنة ٢٥٨

ويضاف إليها خمس سنين ٥

فقد توفي ولاد على قول يونس و ابن الجوزي في سنة ٢٦٣ تكون فذلك عمره عند ما روى عنه ابنه أبو الحسين ثلاثة وعشرين و مائة سنة ، وإذا استعصى علينا أن نشك في هذه الحقبة المديدة ، فمن أين لنا أن نستنكر ما قاله يونس بصدق وفاته ، وتلخيص القول أننا لمن امتنينا في قولهما لما وسع لنا الخلاص من الريب فيما ثبت بوجوه أخرى بسطنا ، إذا لا يصح أن ننقض قول حفيده : « دبوان رؤبة رواية لـ عن أبي عن جدي ، كما يصعب أيضاً أن ننحضر قوله رواية عن أبيه عن جده : . . . . فآخرج إليه ولـ ذؤابة فيستندني شعره » .

ثم الفرق بين الفذلك التي جاءتنا على أساس تبنك الفقرتين وبين سنة وفاته التي ذكرها يسير جداً ، فإنه بدوره جملة خمس سنوات فقط ، فهلا نضيف هذه الخمس إلى الـ ١٢٣ من عمره فتكون هذه المدة تماماً ثمانين وعشرين سنة و مائة سنة ( ١٢٨ ) حتى تتفق مع قوله أنه توفي في سنة ثلاثة و ستين و مائتين ( ٥ ٢٦٨ ) .

فالصواب إذا أن الرجل كان من المعمرين وليس فيما حررنا ما يحدث الشك ولمن أراد الخوض ومنزد الاعتبار بصدق الأعمار الطويلة فله موعد آخر في غير هذا المقال .

إذا كان تلميذ صاحبنا أبي جعفر المصادرى أعني الوليد بن محمد التميمي الشهير بولاد ، المصادرى يعد في رجال الطراز الأول من أعلام النحو واللغة في مصر بحيث يحق لنا أن نعترف له بفضل السبق و التقدم في خدمة اللغة الفصحى فكذلك يجدر بنا أن لا نمر بحقيقة أخلاقه و المتخرجين عليهم (٤)

عليهم دون إشارة عابرة إلى مدى اتهازهم بـ « بلا » الفراغ الشاغر في هذا الحقل بوفاة ولاده .

أبو الحسين بن ولاد :

لقد توفي ولاده وأبنته أبو الحسين متراجح بين ١٥ و ١٦ سنة ولا غرو أنه أخذ عن أبيه أشياء كثيرة وعرفنا بالتحديد أنه روى عن أبيه ديوان رؤبة بن العجاج ، ثم كانت أم أبي الحسين تزوجها ختن ثملب أبو على الدينوري <sup>٢٨٩ هـ</sup> <sup>٢٩</sup> <sup>أحمد بن جعفر ( م ٢٨٩ هـ )</sup> فأخذ <sup>٣٠</sup> عن أبي على هذا وروى أيضاً فيما ذكر الزبيدي عن محمود <sup>٤</sup> بن حسان ( م ٢٧٢ هـ ) . وقد شاركه الإمام الطحاوي في الرواية <sup>٤</sup> عن محمود هذا .

ثم ارتحل أبو الحسين إلى العراق فأخذ عن المبرد و ثعلب ، وفي أثناء إقامته ببغداد اتصل بصاحب الخراج وكان مؤذناً لولده ، واتفق له مع المبرد في استنساخ كتاب سيبويه قضية طريقة انتهت بأن أفرأاه المبرد الكتاب على الرغم من ضنه بذلك .

و كانت عنده <sup>٤</sup> نسخة كتاب العين المنسوب إلى الخليل عن أبي الحسن علي بن مهدى .

لابي الحسين كتاب في النحو سماه المنمق ، قال الزبيدي - لم يصنع فيه شيئاً - وله عند ياقوت كتاب المقصور والممدود وغير ذلك .

كان أبو الحسين جيد الخط وضبط وأنشد له ياقوت ما يأتي :

إذا ما طلبت أخا مخلصا فهياهات منه الذي تطلب

فكن بانفرادك ذا غبطه فما في زمانك من يصحب

على أن القسطنطيني أغفله في المحمددين من الشعراء <sup>٢٣</sup> واجمعوا على وفاته

في مصر سنة ثمان و تسعين و مائتين وقد بلغ الحسين .

تُأدب به والده وسيأتي ذكرهما، ومن أخذ عنه الإمام الجليل أبو بكر ابن الحداد المصري<sup>٢٤</sup> كان من أعيان الفقهاء الشافعية وأقطاب الحديث والمتبحرين في اللغة توفي سنة خمس<sup>٢٥</sup> وأربعين وثلاثمائة .  
أبو العباس و أبو القاسم ابنا أبي الحسين :

ترك أبو الحسين نجليه الشقيقين وقد عاشا خلفي صدق وخلفي أدب جم، بعضهما فوق بعض، وهما أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد (م ٥٣٢) و أخيه أبو القاسم عبدالله بن محمد، الشهير كلامها بابن ولاد .  
أما أبو العباس فكان عنده عن أبيه ديوان رؤبة - كما تقدم قوله في ذلك - و من اعلاق ذخائره كتاب العين عن أبيه عن أبي الحسن على ابن مهدي .

من شيوخه في العراق أبو جعفر أحمد بن رستم<sup>٢٦</sup> الطبرى من أصحاب المازنى وأبي عمر الجرمى والزجاج<sup>٢٧</sup> أبو إسحاق النحوى الشهير (م ٥٣٦) و كان يقدمه على أبي جعفر<sup>٢٨</sup> النحاس (م ٥٣٨) ولا زيد إلا طالة في ذكر أبي العباس .

لكن يجب التنبيه على أنه ورد في كتاب المقصور والممدود في موضعين ما نصه<sup>٢٩</sup> : « قاله أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد بن ولاد » فيتبارد إلى الأذهان أن ولاد فهو أبو جده الوليد وليس كذلك كذلك لما قدمنا عن الطهارى إنه كان الوليد نفسه يعرف بولاد ولا يقوم أى دليل على اشتهراب أبيه محمد التيمى بهذا اللقب . إنما حدث هذا الخطأ لسقوط حرف الألف من أصول النسخ التي طبعوا عليها الكتاب لأول مرة ، فقد كان الصواب « ابن ولاد » بإثبات الألف وأن يعرب (ابن) إعراب أحمد ، على أن يكون صفة لابن العباس أحمد وإثبات الألف في مثل هذا الموضع

الموطن منصوص عليه في كتاب أدب الكتاب وأمثاله، ثم إن بعض مترجميه لقبوه ولادا وعمل ذلك على رجه الحذف والاختصار، فهذا ياقوت يقول<sup>٢٠</sup>: «أحمد بن محمد بن الوليد بن محمد يعرف بولاد»، لكن الصواب أنه أبو العباس ابن ولاد كما ورد فيما حكوا عن شيخه<sup>٢١</sup> الزجاج، وذلك باقحان ابن مع إثبات الآلف في الكتابة، ويساعد ما ذهبت إليه آنفاً ويؤكد أن الذهبي يقول<sup>٢٢</sup>: «الإمام ابن ولاد النحوى وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد التميمي البصرى وعنه السيوطى في حسن<sup>٢٣</sup> المحاضرة». وما يستافت النظر أننا قرأنا عند السيوطى في البغية: عن أحمد<sup>٢٤</sup> بن ولاد أبي الحسن النحوى البغدادى، قال الصفدى سكن مصر وحدث بها عن المبرد روى عنه عبد الله بن يحيى بن سعيد المصرى الشاعر.

لكنني أخاف أن يكون التخليط وقع هنا بحيث اضافت نبذ من أخبار أبي الحسين إلى نبذ أخرى من أخبار ولده أبي العباس أحمد على أن هذه تربحة لا تخليو من فائدة فقد أطلعتنا على عبد الله بن يحيى المصرى الشاعر أحد المتأدبين ببعضها، أما النسبة إلى بغداد فأمرها هين وأما الكنية فلا يبعد أن يكون أبو العباس يمكن أيضاً أبو الحسن.

لأبي العباس ابن ولاد، كتاب المقصور والممدود، مطبوع متداول، ولعله بني في كتابه على نسخة أخيه في المادة نفسها أو الصواب إنه خلط في العزو من نسب المقصور والممدود إلى أبي الحسين، وله ما عدا ذلك كتاب الانتصار<sup>٢٥</sup> لسيويه على المبرد، وكتاب النقائض<sup>٢٦</sup> ذكره ابن خير الأشبيلي وما أطلعنا عليه عند غيره.

اما أخيه أبو القاسم بن ولاد، فكان عنده كتاب أبي الحسين أخيه الذي اننسخ مع أصل أبي العباس المبرد وكان يقرأ عليه بعد أخيه أبي العباس،

لم يتع له من التفوق و انتشار الذكر ما أتيح لأخيه ، قال الزيدى <sup>٧</sup> : « كان دون أخيه في العلم ، »

فهو لاءُ الثلاثة من أجيال الأعلام في اللغة والآداب العربية ، انحدروا في نسق واحد من سلالة ولاد التميي المصادري الوليد بن محمد تلميذ أبي جعفر المصادري .

بعض تلاميذ الأشخوص ابنى ولاد :

قدمنا منهم واحداً من أهل مصر فيما حكينا عن السيوطي ولا بأس أن نشير فيما يلي إلى بعض التفاصيل عن اثنين من أعلام الأندلس فهما كثوا : (الف) - أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي الرباحي - نسبة إلى قلعة رباح ياء موحدة من أعمال طليطلة - توفي <sup>٨</sup> سنة ٣٥٨ هـ .

كان نسيج وحده في الحدق بعلوم العربية ، أدب المغيرة بن الناصر عبد الرحمن ثم استمر أثيراً عند الحكم المستنصر ، منحازاً إلى خدمته في مقابلة الدواوين و النظر فيها .

قرأ و تخرج على ابن النحاس ( م ٣٣٨ هـ ) وأبي العباس ابن ولاد و روى عنه كتبه الثلاثة المذكورة آنفاً ثم أنه عنى بنشرها في بلاد الأندلس بدليل ما قرأنا عند ابن خير الأشبيلي <sup>٩</sup> من طرقه وأسانيده في هذه الكتب إلى الرباحي أبي عبد الله هذا ، إلى مؤلفها ، وقد أخذ أيضاً عن أبي القاسم بن ولاد وخاصة كتاب <sup>١٠</sup> سيوية فقد كان أبو القاسم قرأه على أبيه مراراً . ترجمة السيوطي فقال <sup>١١</sup> : « و كان يعرف بالقلفاط أيضاً ، ولكنني لا أواجهه رحمة الله على ذلك فقد كان القلفاط غير الرباحي بلا شك ، وهو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن زكريا ، ترجمة الزيدى <sup>١٢</sup> في الطبقة الخامسة من الاندلسيين ، و ترجمة الرباحي في الطبقة السادسة بختام كتابه .

لعل السيوطي أوقعه في هذا الوهم اشتراكهما في الكلمة والاسم مع اسم أبويهما ولكن العجب منه أنه مع وقوفه على نسخة من طبقات الزيدى<sup>٦٠</sup> في مكة المكرمة وانتشاله غالب الترجم نقلًا عنه بالتصريح لم يلفت النظر إلى الزيدى وصنعه بصدق الترجمتين .

وأقدم من خلط بينهما - أو كاد - الإمام الحميدى في جذوة المقتبس حيث ترجم الرباحى في نحو سطرين وتواً بعده ترجم القلفاط ، ولكتبه مع هذا التبizer بينهما قال<sup>٦١</sup> : « أظنه كان في أيام الحكم المستنصر ولعله الذي قبله » . كان القلفاط من أقران الحكيم أبي عبد الله محمد<sup>٦٢</sup> بن إسماعيل الذى تأدب به الحكم المستنصر وتوفي الحكم<sup>٦٣</sup> أبو عبد الله في سنة ٣٣١ هـ أما القلفاط فما اطلعوا على وفاته ، وكان أحد الأدباء الذى انتخبهم الناصر عبد الرحمن للإشراف على انتساخ شعر أبي تمام الطائى<sup>٦٤</sup> ، ولا يبعد أن يتناول عليه العمر إلى أيام المستنصر كما ذهب إليه الحميدى ولكن جنزحه إلى توحيد الشخصين لا يعد صحيحاً لكون أحدهما غير الآخر بالقطع والعبرة بـ « أثبتته الزيدى أولى وقد كان على صلة بالرباحى وثيقه إلى جانب اطلاعه على القلفاط عن كثب » .

لقد عاش الرباحى بالإضافة إلى وظيفته في بلاط المستنصر رحلة الطلاب المتبحرين ، ولا يأس أن أشير إلى طائفه منهم ونكتقى بسرد أسمائهم على الترتيب التالي :

١ - أبو عبد الله محمد بن عاصم النحوى الشهير بالعاصر ( م ٣٨٢ )

راجع له كتاب الصلة لابن بشكوال : ٤٥٣ - ٤٥٤ رقم ١٠٣٤ .

٢ - أبو مروان عبيد الله بن فرح الطوطالق النحوى ( م ٣٨٦ - ٣٢٤ )

له كتاب متقن في اختصار المدونة ( كتاب الصلة : ٢٨٩ رقم ٦٦٢ ) .

- ٣ - أبو عبد الله محمد بن خطاب الأزدي النحوي (٤٠٠-٥٠٠) انظر التسلسلة لكتاب الصلة لابن الآبار ، ص ٣٧٧ رقم ١٠٣٥ وقال السيوطي توفي سنة ٣٩٨هـ (بغية الوعاة : ٤٠) ولا أدرى من أين علّفه .
- ٤ - أبو عبد الله محمد بن قاسم الأموي المعروف بالجالطي استشهد على أيدي البربرة (سنة ٤٠٣هـ) انظر الصلة : ٤٦٥ رقم ١٠٦٠ .
- ٥ - أبو عمرو معاذ بن عبد الله بن طاهر البلوى من أهل الشيشية (٣٤٢-٤١٨هـ) المرجع الآتف : ٥٩١ رقم ١٣٧٧ .
- ٦ - أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عيسى الحجري يعرف بابن القيم (٤٣٦هـ) المرجع الآتف : ٤٩٩ رقم ١١٥٤ .
- ٧ - أبو عبد الله محمد بن فتحون بن مكرم التجيبى النحوى سرقسطلى الأصل قارب المائة سنة من عمره - المرجع الآتف : ٤٩١ رقم ١١٣٢ .
- ٨ - أبو القاسم سلمة بن سعد الله النحوى - أيضاً المرجع الآتف : ٥١٥ رقم ٢٢١ .
- ٩ - أبو عبد الله محمد بن فضل الله - التسلسلة لكتاب الصلة : ٣٧٨ رقم ١٠٤١ أكثرهم قراطبة ، قيدوا على الرباحى أشياه جمة وجاوا على نمط واحد في التحقق بالأدب واللغة .
- (ب) أبو الحكيم منذر بن سعيد القاضى البلوطى - نسبة إلى فصى البلوط بقرب قرطبة - توفي سنة ٣٥٥هـ ذكر الحميدى<sup>٧</sup> أنه سمع من ابن ولاد بمصر كتاب العين للخليل بن أحد ، وابن ولاد هذا أبو العباس فقد حكى الزيدى ما جرى ما بين أبي جعفر النحاس و القاضى فى قراءة شعر قيس بن معاذ و بالتبع استقلله ابن النحاس حتى منعه رواية كتاب العين فقيل للقاضى أين أنت من أبي العباس ابن ولاد ؟ قال القاضى : فقصدته فلقيت

فلقيت رجلاً كامل العلم والأدب وحسن المروءة وسائله الكتاب فأخرجه <sup>٦٨</sup> إلى .

تمة الفائدة في هذا الصدد أن رواية العين هذه انحدرت إلى أبي على الغساني فقد رواه <sup>٦٩</sup> عن الحافظ أبي عمر بن عبد البر عن عبد الوارث بن سفيان عن القاضي منذر بن سعيد عن أبي العباس أحمد بن محمد بن ولاد التحوي عن أبيه عن أبي الحسن علي بن مهدي عن أبي معاذ عبد الجبار بن يزيد عن الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل .

يضاف إلى ذلك أن نسخة العين التي جلبها القاضي إلى الأندلس كانت في الأصول التي اعتمدوها في مقابلة الكتاب برمم المستنصر وقد عنى بها أبو علي القالي بمرافقة ابنى سيد و محمد بن أبي الحسين ، ثم هؤلاء الرازنة حكموا على نسخة القاضي التي كتبها بخطه أنها أشد النسخ تصحيفاً و خطأ و تبديلاً <sup>٧٠</sup> .

هذا بالإضافة إلى أن كتاب العين بأسره أو مع استثناء قطعة من أوله - فيما يرى الجمهور - منحول على الخليل .

في نهاية المطاف يجدونا أن نسرد طرائف النقاط الهامة التي نشرنا طوابياها في هذا البحث بقصد أبي جعفر المصادرى و مكانته و مدى تأثيره في حقل الثقافة العربية اللغوية بال المباشرة أو بواسطة الرواية عنه فالمتخرجين المتأذين بهم تلخيصاً لما بسطنا و شرحنا و طيماً لما نشرنا و استعرضنا ، حتى يتمكن من شاهد من الوقوف على هذه الفوائد المصنونة بالقاء نظرة خاطفة على السطور التالية .

- ١ - أبو جعفر المصادرى يروى عن أبي عبيدة كتابه بجاز القرآن .
- ٢ - لعله يروى عنه أيضاً كتاب المصادر له و لشدة ولوغه بهذا مع تفوقه في معرفتها نسب إليه فعرف بالمصادرى .

- ٣ - هو يروى أيضاً عن عبد الملك بن قريب الأصمى .
- ٤ - روايته لكتاب المجاز مع النص المتنقى عن أبي عيدة احتوت  
الزيادات التي تلقاها عن غيره .
- ٥ - لأسباب لستنا على تحقق بها لا يسمع دويه في الأوساط الثقافية إلا همساً .
- ٦ - من تأدب به و تتفق شخصان جليلان من كبار أهل العلم في  
التاريخ الثقافي للإسلام ، روايا عنه كتاب مجاز القرآن لأبي عيدة و آخر جاه  
على قاعدة المحدثين من جهالة العين ، أعني بهما :
- (الف) الإمام الشهير محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الجامع الصحيح .
- (ب) وللغوى المعمر ولاد التيمى الذي عرف في بعض الأدوار  
بالمصادرى كما عرف بذلك شيخه أبو جعفر .
- ٧ - انتهت رواية كتاب مجاز القرآن عن ولاد التيمى عن أبي جعفر  
المصادرى إلى الإمام أبي جعفر الطحاوى صاحب معانى الآثار و شرح  
مشكل الآثار و ما إليها .
- ٨ - طبعاً انحدرت أشياء جمة من علوم المصادرى بواسطة ولاد التيمى  
إلى ابنه أبي الحسين ثم بواسطة أبي الحسين إلى ولديه أبي العباس و أبي القاسم  
و غيرهما كأبي بكر بن الحداد المصرى ثم عن أبي العباس و أخيه ابن ولاد  
إلى أبي عبد الله محمد بن يحيى الرباحى الاندلسى الذى نشر ما تلقى  
منها في بلاد الأندلس و تسلسل ذلك إلى عصر ابن خير الأشبيلي صاحب  
الفهرسة ( م ٥٧٥ / ه ١١٧٩ ) .
- ثم ما سمح لي لإراده و أحبنا سرده في هذه العجالة والله ولي التوفيق .  
( تذليل )

من روى كتاب مجاز القرآن عن مؤلفه أبي عيدة ، أبو حاتم سهل  
(٦) ابن

ابن محمد السجستاني ( م ٢٥٥ هـ ) و هذه الرواية قد أشار إليها الدكتور فواد سزـگـين في مقدمته قائلاً ما نصه : أما رواية أبي حاتم والتي روتها أبو سعيد السكري عنه ، فعرفها عن طريق ابن خير حيث ذكر في فهرس ما رواه عن شيوخه ( ص ٦٠ ) كما نعرفها أيضاً عن التعليقات الواردة في حواشـىـ الجـزـءـ الثـانـىـ منـ كـتـابـ المـحـازـ فـ نـسـخـةـ ( إـسـمـاعـيلـ صـائـبـ ) وـ قـدـ ذـكـرـهـاـ ابنـ حـجـرـ فـ المـعـجمـ المـفـهـرـسـ لـهـ ( صـ ٦٢ـ )ـ غـيـرـ أـنـ أـشـارـ إـلـىـ رـوـاـيـةـ الأـثـرـمـ فـ قـتـحـ الـبـارـىـ ( ٢٠٨ / ٦ ) ، ( ٥٣٠ / ٨ )ـ ( انـظـرـ مـقـدـمةـ بـحـاجـ الـقـرـآنـ وـ الـهـوـامـشـ ) .

قلت مما ينبغي الانتباه له أن هذه الرواية قد استمرت تحدّر باتصال السنـدـ عـلـىـ طـرـيـقـ الـمـحـدـثـيـنـ إـلـىـ مـتـصـفـ الـقـرـنـ ثـالـثـ عـشـرـ لـهـجـرـةـ وـ آـخـرـ منـ روـاـهـاـ فـيـماـ عـرـفـاـ .ـ الشـيـخـ مـحـمـدـ عـابـدـ بـنـ أـحـمـدـ عـلـىـ بـنـ يـعقوـبـ الـحـافـظـ بـنـ مـحـمـودـ الـأـنـصـارـيـ السـنـدـيـ ( مـ ١٢٥٧ـ هـ )ـ حـيـثـ يـقـولـ فـ ثـبـتـهـ حـصـرـ الشـارـدـ :ـ وـ أـمـاـ كـتـابـ بـحـاجـ الـقـرـآنـ لـأـبـيـ عـيـدةـ مـعـمـرـ بـنـ الـمـشـىـ فـأـرـوـيـهـ عـنـ السـيـدـ أـحـمـدـ بـنـ سـلـيـمانـ الـهـبـاجـمـ عـنـ السـيـدـ أـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ شـرـيفـ مـقـبـولـ الـأـهـدـلـ عـنـ الشـيـخـ عـبـدـ اللهـ بـنـ سـالـمـ الـبـصـرـيـ عـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـاءـ الدـيـنـ الـبـابـلـيـ عـنـ الـزـيـنـ بـنـ عـبـدـ اللهـ النـحـرـيـ الـخـنـقـيـ عـنـ الـجـمـالـ يـوسـفـ بـنـ زـكـرـيـاـ عـنـ الـحـافـظـ اـبـنـ حـجـرـ عـنـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ مـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ الـمـكـيـ عـنـ سـلـيـمانـ بـنـ حـمـزةـ عـنـ جـعـفـرـ بـنـ عـلـىـ أـنـاـ أـبـوـ الـقـاسـمـ بـشـكـوـالـ أـنـاـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ مـحـمـدـ عـتـابـ أـنـاـ أـحـمـدـ اـبـنـ مـحـمـدـ بـنـ يـحـيـيـ الـحـذـاءـ أـنـاـ عـبـدـ الـوـارـثـ بـنـ سـفـيـانـ أـنـاـ قـاسـمـ بـنـ أـصـبغـ عـنـ أـبـيـ سـعـيدـ السـكـريـ عـنـ أـبـيـ حـاتـمـ سـهـلـ بـنـ مـحـمـدـ السـجـسـتـانـيـ عـنـ مـؤـلـفـهـ ،ـ (ـ حـصـرـ الشـارـدـ )ـ (ـ خـطـ )ـ :ـ الـورـقـةـ الـ ١٣١ـ ظـ - ١٤١ـ بـ ،ـ بـرـقـمـ ١٥٤ـ /ـ ١١٣ـ (ـ فـيـ ذـخـارـ أـفـرـنجـيـ مـحـلـ ،ـ خـزانـةـ الـجـامـعـةـ بـعـلـىـ كـرـهـ )ـ وـ هـىـ فـائـدةـ

دلتنا على انحدارها إلى الحافظ ابن حجر تم إلى الشيخ محمد بن عابد السندي المدنى، و انظر ترجمة السندي هذا في اليابع الجنى ( ص ٦٩ - ٧٣ على هامش كشف الأستار عن رجال معاى الآثار ، ط ديو بند ، و نزهة الخواطر ٤٤٦ ط دائرة المعارف العثمانية ) .

أبو محفوظ الكريم الموصى	كلكتا
-------------------------	-------

(١) راجم الزيدى ، طبقات النحوين و اللغوين : ٣٥ ، ٢٨ نشرة الخانجى ١٣٧٣ / ١٩٥٤ (٢) المرجم السالف : ١٩٤ - ١٩٥ .

(٣) المرجم السالف : ١٨٣ - ١٩٤ (٤) هو فضيلة الشيخ السيد نذير الدين رحمة الله رحمة واسعة ، توفي سنة ١٩٥٣ م كان من ثقات علماء القرن العشرين من خريجي المدرسة الامسلامية في بلدة ( بهار شريف ) قرأ على الشيخ الأجل أصغر حسين ( المتوفى سنة ١٩٥٥ م ) وكان من تلاميذه شيخ الهند محمود الحسن السهار نفو روى رحمة الله .

(٥) كان من كبار الموظفين بمعهد المخطوطات في جامعة الدول العربية قد زار القطر الهندي فيبعثة أو فدودها لانتقاء المخطوطات و تصويرها من مختلف المكتبات القيمة بالهند و اتفق وروده علينا بكلكتا في نيسان سنة ١٣٩٥ هـ قضينا معه أكثر من أسبوعين تبادل الآراء حول النسخ الخطية و كان الفقيد معه خبرته الواسعة بخصوص المخطوطات وأعلاق التراث الاسلامي نسيج وحدة في دمامته الخطيبة وصفاء الوداد ، راضيا مرضيا في سلوكه ، توفي إثر نوبة مفاجئة في سنة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م رحمة الله و تغمده بغراته . (٦) راجع مجاز القرآن لأبي عبيدة ، تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين ، الطبعة الأولى ١٩٤٥ / ١٣٧٤ م ، نشرة محمد سامي أمين الخانجى السكتى بمصر (٧) انظر مقدمة مجاز القرآن : ٢٠ ، ٢١ وقارن فتح البارى لابن حجر ٣٣٩ / ٨ - ٣٤٠ (٨) راجع له الجواهر المصيحة في طبقات الخطفية للشيخ عبد القادر القرشى ( م ٦٩٦ هـ ) الطبعة الأولى ( دائرة المعارف حيدر آباد ١٠٢ - ١٠٥ ) ؛ تذكرة الحفاظ ٣ / ٨٠٨ - ٨١١ رقم ٦٩٧ ( الطبعة الرابعة ) دائرة المعارف حيدر آباد ، ١٩٧٠ .

- (٩) جاء التقى به على أماكن الخرم على هرampus الطبعة نفسها ثم نبه على ذلك الأستاذ السكوثى و دل على نسخة خطوط موثوق بها للغاية في سبع مجلدات ضخامة توجد في مكتبة فيض الله قرب الفاتح بالأسنانة ( انظر حواشى لحظ الأخطاء ص ١٩٥ ، دمشق ، ١٣٤٧ ) أما نسخة رامفور فلعلها لا تساوى النسخة المحفوظة في فيض الله .
- (١٠) راجع ترجمته في الاصابة ٣ / ٤٣ رقم ٦١٠٣ و قارن ترجمة زياد بن لبيه - الاصابة ١ / ٥٤١ رقم ٢٨٦٤ (١١) هو ابن أخي حسان دفن بيت المقدس ، انظر له الاصابة ٢ / ١٣٨ رقم ٣٨٤٦ ، والاستيعاب ( هامش الاصابة ١ / ١٣٤ ) .
- (١٢) ط : ( برفع ) بالموحدة ، وإنما الصواب بثناء تحتية كما قررنا .
- (١٣) قارن مجاز القرآن ص ٣٩ س ٨ (١٤) قارن الجامع الصحيح للبخاري ص ٧٥٥ ( طبعة الهند ) (١٥) ط : ( الصادرى ) بدون اليم - مصحفا .
- (١٦) ط : « أبي عبيد » دون الاء بآخره مصحف (١٧) ط : « أبي عبيد » دون الاء بآخره مصحف (١٨) قارن الجامع الصحيح : ٧٣٦ ( ط الهند ) ، هدى السارى : ١٤٦ (١٩) قال الساخط في ضبطه : بعين مهملة وزاي ، ولكن الصواب بغيرين معجمة فالاء ، وقد ذكره شيخه الحمد في مادة ( الوجر ) وكذا حققه ابن دريد في الاشتراق : ٢٥٢ - ٢٥٣ طبعة الأستاذ محمد هارون عبد السلام ، وانظر معجم الشعراء للمرزبانى : ٣٣ طبعة الأستاذ أحمد فراج ، وهو الذي هدم ( رضى أو رضاه ) صنم كان لزيمة بن كعب بن سعد ( جمهرة أنساب العرب لابن حزم : ٤٩٤ ، ٤٩٥ ) (٢٠) ورد في الاصابة ( المستوزع ) محرفا .
- (٢١) طبقات النحوين واللغويين : ٢٣٣ (٢٢) راجع التنظيم ٥ / ٤٠ رقم ١٠٤ ، طبعة دائرة المعارف العثمانية (٢٣) راجع أباها الرواة : ٣ / ٣٥٤ طبعة مصر ، ١٩٥٥ (٢٤) راجع بغية الوعاة : ٤٠٥ ، طبعة السعادة مصر .
- (٢٥) انظر ابن النديم ، الفهرست : ٨٠ طبعة مصر .
- (٢٦) هذه الفقرة وما يتناولها راجع لها ، أباها الرواة ١ / ٩٩

- (٢٧) البر نakan ، السكساء الأسود على وزن انزعفان (المجد) .
- (٢٨) كتاب الأغاني ١٨ / ٤١٤٠ طبعة السادس .
- (٢٩) طبقات الزبيدي : ٢٣٣ ، بغية الوعاء : ٤٠٥ .
- (٣٠) الزبيدي : ٤٨ - ٤٩ ، مراتب النحوين : ٢٢ .
- (٣١) فارن ابطامع الصحيح : ٤٥٤ باب صفة الشمس و القمر بمحسان (طبعة الهند) ، فتح البارى ٦/٢١٣ ، تهذيب التهذيب ٣/٢٩١ - ٢٩٠ ، و ذكر ابن قتيبة أن أبو عبيدة رأى بجبل الجرдан على النار - راجع الشعراء : ٢٣٠ ، مصر ١٩٣٢ .
- (٣٢) بغية الوعاء « القنبي » مصحفا . (٣٣) راجع له خلاصة الخزرجي : ٣٦ ، أنساب السمعاني : ٤٥٩ و أخل به ابن الأثير في الباب ٢ / ٢٧٥ .
- (٣٤) راجع له الخلاصة ٢١٥ و أنساب السمعاني : ٤٥٩ و الباب لابن الأثير ٢ / ٢٧٥ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٨٣ - ٣٨٤ رقم ٣٨٢ ، الطبعة الرابعة دائرة المعارف سنة ١٩٦٨ (٣٥) أنظر لترجمته : تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٥٧ رقم ٥٧٩ و في أصحاب هذه السكنية كثرة كثرة على اختلاف الأزمنة والأمكنة.
- (٣٦) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣ / ٢٩٠ لسان الميزان ٢ / ٤٦٤ - ٤٦٥ (نقل عن المرزباني) ، البغدادي : خزانة الأدب ١ / ٤٤ ، العيني : الشواهد الكبرى ١ / ٢٧ (على هامش الخزانة) ، الأمدي : المؤتلف والمخالف : ١٢١ نشرة فريتس كريشكو ، القاهرة ١٣٥٤ ، الأصبهاني : كتاب الأغاني ٢١ / ٥٧ .
- (٣٧) هناك أقوال أربعة في تاريخ مولده : ذكر الذهي سنة سبع و ثلاثين وما تلقي (٥٢٣٧) وعن الطحاوى نفسه تسع و ثلاثون و مائتان (٥٢٣٩) و كثيراً ما يقع التصحيف في السبع والتسع بأدنى شطط القلم ، وعن ابن الجوزى ثمان و ثلاثون (٥٢٣٨) ، و عند القرشى في مستهل الترجمة تسع وعشرون و مائتان (٥٢٣٩) ، يراجع تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ / ٨٠٨ - ٨١١ رقم ٧٩٧ (الطبعة الرابعة) والجواهر المضيئة للقرشى ١ / ١٠٣ (٣٨) ترجمه الزبيدي في طبقاته : ٢٣٤ ، والسيوطى في بغية الوعاء (٧)

- الوعاء : ١٣٠ وذكر له كتاب المذهب في النحو ومحضرا في فهائ القرأن انتشره من معانى القرأن للفراء ، وقرأنا في الاقتضاب للبطليوسى بهذا من إصلاح المنطق ولحن العامة له ( الاقتضاب : ٢٢١ - ٢٠٧ ) .
- (٣٩) انظر طبقات الزبيدي : ٢٣٤ - ٢٣٦ ، أباه الرواة للفطى ٣ / ٣٥٤ ، معجم الأدباء ١٣٣ - ١٣٤ طبعة مرجليوث (٤٠) انظر طبقات الزبيدي : ٢٣٣ - ٢٣٦ ( ترجمة محمود ) وترجمه السيوطي في بغية الوعاء : ٣٨٧ .
- (٤١) روى عنه الطحاوى في شرح معانى الآثار ، في باب الفراء ٢ / ٣١ ، ط : دبوبند (٤٢) المزهر في اللغة ١ / ٥٧ (٤٣) المحمدون من الشعراء ١ / ٢ تحقيق الدكتور محمد عبد الستار خان ، طبعة دائرة المعارف العثمانية ١٩٦٦ .
- (٤٤) انظر الطبقات السكري لابن السبكي ٢ / ١١٣ ، تهذيب الأسماء و اللغات للنوى ٢ / ١٩٢ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ / ٨٩٩ رقم ٨٦٦ ( الطبعة الرابعة ) وكان أبو جعفر ابن النحاس يحضر حلقة ابن الحداد هذا ( راجع طبقات الزبيدي . ٢٤ ) .
- (٤٥) الذهبي : سنة أربع وأربعين وثلاثمائة (٤٦) روى عنه ابن ولاد فائدة عن الجرمي عن أبي عبيدة ( راجع المقصور والمددود ١٢٠ ) ذكره الزبيدي استطرادا فزاد مهدا قبل رسم ( طبقاته : ٧٥ - ٧٠ ) توفي سنة ٤٣٠ ( أباه الرواة ١ / ١٢٨ ) وترجم الخطيب ، أحمد بن محمد بن يزداد بن رسم و عنه السيوطي ( بغية الوعاء : ١٦٩ ) كما ترجم الدانى ، أحمد بن محمد بن يعقوب بن رسم ثم عنه السيوطي ( بغية الوعاء : ١٦٩ ) ولعل الثلاثة واحد والخلاف على حذف بعض الأسماء من أئمة النسب (٤٧) راجع الزبيدي : ١٢١ - ١٢٢ و السيوطي : ١٧٩ - ١٨٠ وذكر وفاته في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة .
- (٤٨) ترجمة الزبيدي : ٢٤٠ - ٢٣٩ وذكر وفاته في سنة سبع وثلاثمائة واعله سقط ثلاثون ، وانظر بغية الوعاء : ١٥٧ .
- (٤٩) راجع المقصور والمددود : ٢١ - ٢١ الطبعة الأولى سنة ١٩٠٨ ، مصر .

- (٥٠) معجم الأدباء / ٤٢٠١ دار المأمون : ١ / ٦٣ طبعة مرجليلوث .
- (٥١) قارن الزبيدي : ٢٣٨ و بغية الوعاء ١٦٩ .
- (٥٢) انظر العبر : ٤ / ٤٢١ ط الكويت ، ١٩٦١ .
- (٥٣) حسن المحاضرة : ١ / ٣٠٦ طبع مصر سنة ١٢٩٩ .
- (٥٤) انظر بغية الوعاء : ١٧٢ (٥٥) الفهرسة لابن خير : ص ٤٥ ، العبر للذهبي : ٢٣١/٣ ، معجم الأدباء : ٤ / ٤٢٠١ دار المأمون ، ١/٦٣ طبعة مرجليلوث .
- (٥٦) الفهرسة لابن خير : ٣٨٥ (٥٧) طبقات الزبيدي : ٢٣٩ - ٢٣٦ .
- (٥٨) نفس الرجم الآف : ٣٤٠ - ٣٤٥ (الطبقة السادسة من الأندرسین) .
- (٥٩) الفهرسة لابن خير : ٣١١ - ٣٥٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ (٦٠) ركن فات الزبيدي أن يشير إلى ذلك في ترجمة الرباحي به إنه قال ، فلقي أبا جعفر النحاس فحمل عنه كتاب سيبويه رواية (طبقاته : ٣٣٦) ويقتضي الجمجم بين القولين أن نقول بروايتها الكتاب عن كلامها (٦١) انظر بغية الوعاء : ١١٣ ، و عند المجد : انقلاظ كخزع عال لقب مهد بن يحيى الأديب (القاموس) و اكتفى به الشارح (التاج : ٢١٢) وكذا عند الصافي بورى في متنهى الأدب و عنه دهخدا في لغت نامه : ٣٤٤ الخامس أجزاء القاف والعدد المسلسل الـ ٩ ، طهران ١٣٤٤ ش .
- (٦٢) طبقات الزبيدي : ٣٠١ - ٣٠٥ (٦٣) انظر بغية الوعاء ٤ - ٣٤ (٦٤) ترجمة الزبيدي ) (٦٤) انظر جذوة المقتبس : ٩١ - ٩٢ (ط : القاهرة) .
- (٦٥) انظر طبقات الزبيدي : ٣٠١ - ٣٠٠ (٦٦) المصدر السابق : ٣٠٦ (ترجمة ابن أرقم) (٦٧) انظر جذوة المقتبس : ٣٢٦ و ترجمة الخشني في نضارة قرطبة : ١٧٥ رقم ٤٩ (٦٨) راجم طبقات الزبيدي : ٣١٩ - ٣٤٠ ، ٣٢٠ ، ٢٤٠ .
- (٦٩) انظر المزهري في اللغة ١ / ٥٦ - ٥٧ (٧٠) راجم القصبة بظواهار جذوة المقتبس : ٤٧ - ٤٨ .

## دراسة المازن الأدبية

لم يشتهر إبراهيم المازن بالدراسة الأدبية قدر ما كان يعرف عنه أنه شاعر و فاقد ، ولكنـه كان أدبياً متعدد جوانب النشاط لم يبرز في جميعها أو يحتل منزلة واحدة ، وإنما كان يسمو في بعضها ، ويتعثر في بعضها الآخر ، وعلى الرغم مما أتي من قدرة تعبيرية سمحـة و بارعة ، فإن هذه القدرة لا تحجب - إذا أنسـمـ المرءـ النـظرـ - الخلـلـ الكـامـنـ فيـ قـسـمـ منـ كـتـابـاتـهـ .

و ليس من وكـدـناـ هـنـاـ أنـ نـتـبـقـ إـلـىـ الحـكـمـ عـلـىـ درـاسـاتـ المـازـنـ الأـدـيـةـ قـبـلـ أـنـ نـلـمـ بـفـصـيـلـاتـهـ ، يـدـ أـنـاـ نـسـطـعـ القـوـلـ أـنـ هـذـهـ الـدـرـاسـاتـ تمـثـلـ وـجـهـاـ مـنـ وـجـهـهـ النـقـدـ التـطـبـيقـ لـدـيـهـ ، أـوـ دـعـ فـيهـ شـيـئـاـ مـنـ آرـائـهـ فـيـ الـأـدـبـ وـ مـنـهـجـهـ فـيـ النـقـدـ وـ خـالـصـ فـيـهـ مـنـ اـنـفـعـالـ وـ حـدـةـ لـابـسـ نـقـدـهـ الـذـيـ كـرـسـهـ لـبعـضـ مـعـاصـرـيـهـ كـحـافـظـ إـبـراهـيمـ<sup>١</sup> ، وـ عـبـدـ الرـحـمـنـ شـكـرـىـ ، وـ مـسـطـقـ لـطـقـيـ الـمـنـفـلـوـطـىـ<sup>٢</sup> . وـ مـرـدـ ذـلـكـ إـلـىـ عـلـةـ بـدـيـهـةـ وـ بـسيـطـةـ هـىـ أـنـ الشـعـرـاءـ الـذـينـ تـنـاوـلـهـمـ بـالـدـرـاسـةـ لـمـ يـكـوـنـواـ عـلـىـ صـلـةـ حـيـاتـهـ بـهـ ، وـ مـنـ ثـمـ صـفـتـ بـيـنهـ وـ يـنـهـمـ عـوـاجـ الـحـيـاةـ ، وـ تـرـاءـيـ الـهـدوـءـ وـ الـمـوـضـوعـيـةـ بـصـورـةـ عـامـةـ .

انـ الشـعـرـاءـ الـذـينـ خـصـهـمـ المـازـنـ بـالـدـرـاسـةـ هـمـ : أـبـوـ الطـيـبـ المـتنـبـىـ ، وـ اـبـنـ الـروـمـىـ ، وـ بـشـارـ بـنـ بـرـدـ ، وـ سـنـلـمـ بـعـدـ قـلـيلـ بـالـأـطـرـ الـعـامـةـ لـدـرـاستـهـ إـبـراهـيمـ ، وـ يـدـوـ غـرـبـيـاـ اـعـرـاضـ المـازـنـ عنـ دـرـاسـةـ شـاعـرـ عـربـىـ كـبـيرـ تـفـرـدـ مـنـ بـيـنـ الشـعـرـاءـ الـعـربـ بـالـتأـثـيرـ فـيـ منـحـاهـ الـأـدـبـىـ ، وـ فـتحـ عـيـنـهـ ، عـلـىـ حـقـيـقـةـ الشـعـرـ ، كـاـيـنـهـمـ مـنـ كـلـامـهـ ، ذـلـكـ هـوـ الشـرـيفـ الرـضـىـ<sup>٣</sup> ، وـ قـدـ كـانـ هـذـاـ الشـاعـرـ أـوـلـىـ بـالـدـرـاسـةـ ،

نتيجة لتأثيره، من سواه كي يستقيم التسويف الذي أدلّى به بعض الباحثين و هو اتفاق طرائق الشعراء الذين اختارهم المازني مع التوجهات التجددية التي سخر لها - هو و جماعته - جهودهم و طاقاتهم ٠

وربما كان هذا الظن مقبولاً إذا علمنا أن عباس محمود العقاد، صديق المازني الحيم، احتفل هو أيضاً بابن الرومي فقدم لديوانه، وخصص حياته كتاباً فيما بعد، ييد أننا نعتقد أن صلة نفسية خفية بين المازني وأولئك الشعراء تقبع وراء اهتمامه بهم ٠ فقد كان المازني بربما بحياته وبالناس، ساخطاً عليهما جميعاً، غير شاعر بانتهاه إلىهما، وراغب في الانفصال عنهما ٠ وكان أولئك الشعراء على هذه الشاكلة في بعض مناحي حياتهم ٠ فقد كان ابن الرومي مهملاً من قبل معاصريه، كما هو معروف وكما سرر من تلميحات المازني، اهتملاً يكاد يكون نبذاً، ومن شأن هذا التعامل السلبي أن يصيدهم منزويًا عنهم، سيئي الظن بهم، غير سويٍ في علاقاته معهم ٠ وكذلك الحال بالنسبة إلى بشار بن برد الذي صب غضبه على الناس جميعاً، الصديق منهم والعدو من خلال أهagiie الفاحشة، كما يذكر المازني ٠ وشعر المتنبي بانعزال عنيف عن الناس، وعدم قدرة على التلاقي معهم، واضطراره إلى المداجاة نزولاً عند حكم الزمان ٠ ومن الممكن الاستئناس بأبيات له تكشف عن حالته هذه، من مثل قوله:

و من عرف الأيام معرفتى بها و بالناس روى رمحه غير راحم<sup>١</sup>  
أو: ومن نكـد الدـنيـاعـلـىـالـحرـانـيـرـىـ عـدـواـلـهـ ماـمـنـصـدـاقـهـ بدـ<sup>٢</sup>  
أو: كـفـيـبـكـدـاءـانـتـرـىـالـمـوتـشـافـيـاـ وـحـسـبـالـمـنـايـاـ انـيـكـنـ اـمـانـيـاـ  
ـتـعـيـتهاـ (٨)

تمبيتها لما تمنيت ان ترى صديقا فاعيا أو عدوا مداعيا<sup>٨</sup>  
إلى غير ذلك من الآيات.

و هذا الاتفاق أو التشابه في النظرة إلى الحياة والناس - بصورة عامة -

هو الذي دفع بالمازني إلى تقديم دراسات عن أولئك الشعراء، كما نعتقد. و من المحتمل أيضا الاعتقاد بأنه كان يبحث في شعر أولئك مما يخفف عنه همومه، وما يشعره بأنه ليس المعنى الوحيد من بين الأدباء، وأن هناك شعراء كبارا آخرين عركوا الحياة قبله و عانوا منها ما يعاني. وقد أشار المازني اشارة لا شعورية إلى هذه الناحية حين ذكر أن «الانسان وجهة الانسان، و موضع عناته»، و ليس أدل على مدینته واستثنائه من حبه للترجمة والتاريخ وكلفه بهما<sup>٩</sup>.

دراسة للتنبى :

«كتبت هذه المقالات بمناسبة ظهور مؤلف حديث عن المتنبى وقد تناولنا فيها ما أغفله أو أخطأ فيه المؤلف». فموضوعاتنا محدودة بهذاقصد<sup>١٠</sup>. توضح هذه العبارة احتراس المازني لثلا يظن أنه يعني نقد الكتاب الصادر عن المتنبى، أو أنه يرمى إلى الاستقصاء والاحتاجة. و من ثم فانا تكون أيضا محددين بالأمور التي عرض إليها والتي هي:

١ - سيرورة شعره: إذ رأى أن شعر المتنبى شائع بين الناس حتى أنه - أى المازني - يحفظ له أكثر مما يحفظ للشعراء الآخرين على الرغم من أن حبه الأكبر غير موجه إليه<sup>١١</sup>. و يعتقد أن سر ذلك كامن في تفرد المتنبى بقوة الشعر، وإليها يرد سمو منزلته على الرغم من كونه شاعرا مقللا<sup>١٢</sup>. و عناصر هذه القوة هي استهدافه لما يريد مباشرة، و نضج الفكرة

لديه ، ورضعه ليابها في قالب مسبوك مقتصد لا حشو فيه ولا هذر وضرب  
لذلك مثلا قوله :

ومن عرف الأيام معرفتى بها و بالناس روى رحمه غير راحم  
فليس بمحروم إذا ظفروا به ولا في الردى الجارى عليه بأثر  
قدذهب إلى أن المتنبى ألقى هذه الفكرة القاء رجوليا حازما ، ولم يعنه بعد  
ذلك رأى القارئ أو استجابته . ولو قيض لشاعر آخر أن يسرد هذه  
”الحكمة“ لاصناعها في التفصيلات و ايراد المحاجج والأمثلة والشواهد  
على حين أن المتنبى اكتفى بـ «أحكام التسديد إلى الغاية، والاقتصاد إلى  
الحد الواجب ، وحسن تخيير الألفاظ التي يؤودى بها المعنى ، والخلاوة في  
سبكها وتعليق بعضها بعضٍ<sup>١٣</sup> ، إضافة إلى ما امتاز به من أسلوب  
موسيقى أسر<sup>١٤</sup> .

٢ - شخصيته : ويرى المازني أن اقسام الناس في زمن المتنبي وبعده على فريقين : حب له وكاره ، مرده إلى شخصيته القوية الضخمة<sup>١٠</sup> . ولم يجد ضرورة للاستدلال على هذا الحكم بالاخبار المرورية فاكتفى بالشعر لاحتوائه على صفاتـهـ المتنبيـ وـ ماـ كانـ يـخـالـجهـ . وـ يـعـتـقـدـ المـازـنـيـ أنـ المـتنـبـيـ عـدـ نـفـسـهـ كـفـءـاـ لـلـلـوـكـ ، وـ لمـ يـشـعـرـ بـالـوـهـنـ أـمـامـ القـوـةـ المـادـيـةـ وـ إـنـماـ كانـ يـشـعـرـ بـقـوـةـ لـدـنـيـةـ تـكـافـيـ فيـ نـظـرـهـ قـوـةـ الجـيـوشـ وـ بـأـسـهـاـ ، بـلـ كـانـ يـحـسـ أنـ فيـ وـسـعـهـ أـنـ يـعـتـقـدـ وـ يـسـطـوـ كـذـالـكـ عـلـىـ العـاتـيـنـ وـ السـاطـيـنـ »<sup>١١</sup> .

و ظل هذا الاحساس بالقوة ملازما له مهما واجه من الصعاب أو مني به من الاحباطات ، لأنه انطوى على مراد عظيم ولم يستسلم للشاق التي اعترضت سبيله <sup>١٢</sup> . وهذا - كما يقول المازني - دلالة على الرجولة التامة بحيث أنف من صفات النساء فاضفي على أخت سيف الدولة صفات الرجال

٤٦

حين رثاها ، « و أخر جها من جنسها . ولم يرض إلا أن يجعلها غير ائتي العقل »<sup>١٨</sup> . وكذلك الحال في رثائه لعمة عضد الدولة فقد ذكرها بضمير المذكر <sup>١٩</sup> . وربما كان لنا أن نفسر موقف المتنبي من المال من خلال هذا الاحساس . فقدرأى المازني أن ما أثر عن بخل المتنبي لا يصدق امام النقد ، لما فيه من اختراع ظاهر ، أو لصدره عن مبغضيه ، وان شعره يكشف عن كون حفظ المال حزما ويستعان به على الملك ، فهو و المجد قرينان وهذه غاية معقوله في نظر المازني <sup>٢٠</sup> .

٣ - مدائحه لكافور : ويرى المازني أنها مدائح غير صادقة « وما قرأتنا له قصيدة في كافور إلا هرنا فيها على بيت أو أبيات تشعر بأن المتنبي كان يركبه بالدعابة ويرى نفسه أجل وأخطر شأنًا من أن يمشحه <sup>٢١</sup> . ويوحي كلام المازني بأنه هو الذي تنبه إلى هذا الأمر ، ييد أن بعض الفدامى أدرك ذلك أيضًا . وخاصة ابن جنى ، وهو صديق المتنبي ، وأشار إلى مدارستهما الشعر معا ، وأنه كان يقول للتنبي أن في قولك في كافور هجاء ضئيلاً فيتتسم لهذا التعليق ويسكت دلالة على الموافقة <sup>٢٢</sup> . وخلاصة القول أن المازني بنى هذه الدراسة من خلال شعر المتنبي نفسه ، مستخلصا منه سجياته و مناياه ، لاجئا في بعض الأحيان إلى أخبار مروية بعد امتحانه إليها امتحان باحث مدقق لتعيينه على الرؤية الصائبة و توجيهه للنصوص الشعرية . وفي هذا ما ينبي عن عدم اخضاعه شعر المتنبي عن عدم اخضاعه شعر المتنبي إلى تحليل في بقدر ما كان يعني بفرز المعانى المتوازدة أو المحتملة للنص .

دراساته لابن الرومي :

قدم المازني لهذه الدراسة برأيه في كتابة السير التي أثرت عن العرب :

والطريقة التي اتبعت فيها فذهب إلى أنها طريقة سقيمة ، وأن العرب قصرروا أشد التقصير وأسوأه ، فيما كتبوه عن عظمائهم ، ولم يصدروا عن وعي وفهم ونظر ، كما يفعل الغربيون ، بل أنه يكاد لا يتورع في اتهام المؤلفين القدماء وكتاباتهم بهم قاسية كقوله : « كان لم يكتبها انسان وهبته الله عقلاً وفهماً وقواداً ذكياً وذهناً يتذكر وقلباً يتذكر ، أو كأنما كانوا يكتبونها وهم رقود ! حتى ابن خلدون الذي عاب من سبقه من المؤرخين ، وفطن إلى مواضع الضعف فيهم ، ليس خيراً حالاً !! »<sup>٢٣</sup> .

ويرى أن مكمن العيب عند العرب اهتمامهم بالدولة دون الأمة وبالحكومة دون الشعب ، وانشغالهم بذكر الحروب والفتح وتعاقب الولاة<sup>٢٤</sup> .

واتتقل بعد ذلك إلى أن الإنسان وجهة الإنسان ، وموضع عنایته ، وأن اهتمامه بالتاريخ والترجمة متآثر من هذا المنطلق ، وأفاض في ذكر استثناس الإنسان بأثار أخيه الإنسان ، واحتفائاته بها ، ومشاطرته إياها فيما يعن له<sup>٢٥</sup> . وكأنه يعني من وراء ذلك سندًا لللامتحنة التي نحا بها على العرب ، وإيحاء إلى القارئ بأن مؤرخينا القدامى لم يفطنوا إلى هذه الناحية بصورة دقيقة ولم يعيروها ما تستحق من اهتمام ، ولذلك اقتصرت مدوناتهم على أول الأمر ومن اتصل بهم كما أنها لم تعكس النهج العلى السليم ، فتراهم يلجأون إلى رص النصوص بعضها إلى بعض غير آبهين بصحتها أو معقوليتها ، تاركين مهمة تحليلها وتمحيصها .

ولم يكتف المازني بالعيوب التي سرده ، وإنما أضاف إليه عيوب ظاهرين آخرين هما « فساد في الذوق وشطط في الذهن عن السبيل السواء »<sup>٢٦</sup> .

ورد ذلك إلى طبيعة الحياة التي كانوا يحيونها ، حتى أنهم جمعوا متناقضات

الصحراء في أفكارهم و مشاعرهم و تعايرهم . ولذلك فضل الشعر العربي على الشعر العربي قائلًا : « هذه حقيقة لا موضع فيها للشك ، وما ينكر ان الشعوب الآرية افطن لمحات الطبيعة و جلاله النفس الإنسانية و جمال الحق و الفضيلة الا كل مكابر ضعيف البصيرة أو رجل اعمى » العصبية الباطلة عن ادراك ذلك <sup>٣٧</sup> . و لهذا السبب - في رأيه - كان شعراء الكبار ذوي المنزلة الرفيعة في الأدب العربي من أصل آرى ، مثل بشار و مروان بن أبي حفصة و أبي نواس و ابن الرومي و مهيار . الخ <sup>٣٨</sup> . و حسب القارئ أن يقارن بين قصيدة لابن الرومي و أخرى لغيره من صميم شعراء العرب في أي باب من المعانى ليعلم الفرق بين المتنزعين ، وكيف أن ابن الرومي أقرب إلى شعراء الغرب وبهم أشـكـل ، وان بقـى عـربـياـ في لـعـتهـ و مـوـضـاعـاتـهـ <sup>٣٩</sup> .

ولم يقدم المازنى دليلاً على دعواه غير سرد الأسماء ، ييد أنه كشف بمحلاه عن إيمانه بالتمايز العرقي و عن كون هذا التمايز سبباً لتفاوت مستويات الأدب ، لا بين الأمم و حسب ، وإنما بين أبناء الأمة الواحدة أيضاً فيما إذا تحدروا من أصول مختلفة و هذه النظرة العرقية هي السبب في تفضيله لابن الرومي على شعراء الآخرين ، العرب صلبة منهم في الأقل ، كما أن تفضيله مفتاح يكشف سر غيظه من المؤرخين العرب لأنهم لم يتركوا لنا شيئاً مجدياً عن هذا الشاعر الآرى ، و لأنهم كانوا يقرنون ذكره بمولاه ، مولى عيسى بن جعفر <sup>٤٠</sup> مثل ابن الرومي لا يذكره المؤرخون إلا مقترونا بأنه كان مولى لهذا المخلوق ! و تجاوز غيظه إلى الخلفاء الذين عاصرهم ابن الرومي و الذين لم يسطوا له يد العون فبقى سادراً في فقره و رقة حاله و خصائصه على الرغم من أن ذكره كان يدور في مجالسهم ، وأن شعره كان يقرأ عليهم <sup>٤١</sup> .

ويوحى المازني أن هذا هو كل ما نعرفه عن ابن الرومي، ومن ثم فإنه لا يمني نفسه، وقراءه أيضاً، بكتابه ترجمة حكمة الحدود واضحة التفاصيل «فما نعرف رجلاً أصابه ما أصاب ابن الرومي، ولا شاعراً تهاون به الناس حباً و مينا و تناسوا ما يجب له إلا هو»<sup>٣٢</sup>. وعلل المازني ذلك التهاون بشخصية ابن الرومي المتميزة بالشذوذ و غرابة الاطوار، وإن أجمل ملامحها تطيره الذي شاع بين الناس فأثبت المازني روایاته.

و حين أراد أن يقف على الأسباب الحقيقة التي كونت شخصية ابن الرومي و طبعتها بـذلك الطابع الغريب الذي يتراوی للناس، أورد منذ البداية ذكرًا بعض «الحقائق التي صاحبها القياس و أيدتها كل الدلائل في هذا العصر، أن العقرية و الجنون صنوان، وأنهما جمعاً مظهران لشر واحد هو اختلال التوازن في الجهاز العصبي»<sup>٣٣</sup>. و ندرك في الحال أن المازني يرمي إلى القول بأن ابن الرومي، العقرى، يحمل علامات الخصلة الثانية: الجنون. فأثبت استنتاجاً، أو حكماً شائعاً، قبل أن يأتي بالدلائل التي تجعل حكمه مقبولاً في نظر القارئ. و هذا توجّه منهجي غير سليم فيما نظن، لأنّه يضطر، و الحالة هذه، إلى قسر في توجيه النصوص توجيهاً يلائم الحكم المسبق. و هذا ما وقع فيه المازني كما سنرى.

من الطبيعي أن أمرين أساسين يتعاونان على الجنون هما: الوراثة و النشأة. و لم يجد المازني لدى المؤرخين اشارة إلى الحالة العامة، و من ضمنها الحالة العقلية، لأبوي ابن الرومي. و من ثم فإنه افتقر إلى ما يسند به رأيه وفق الأساس الأول: الوراثة. ييد أنه لم يتركه دونما اشارة - في المقامش - إلى رثاء ابن الرومي لوالدته بقوله:

ولست أراني مذهبلي عنك مذهبلي يد الدهر إلا أخذة الموت بالكمضم  
رجعنا

رجعنا وأفردناك غير فريدة من البر والمعروف والخير والسرم  
 فـلا تعدى أنس المحل فطالما عـكفت فأنت المحارب في الظلم  
 فـلـقـ عـلـيـها قـائـلاـ : فـوـعـفـها كـاـ تـرـىـ بالـتـقـوىـ وـالـصـلـاحـ . وـلـاـ يـعـدـ آـنـهـ  
 جـرـىـ فـيـ ذـلـكـ عـلـىـ عـادـةـ الشـعـرـاءـ كـاـ لـاـ يـعـدـ آـنـ يـكـونـ صـادـقاـ فـيـهاـ عـزـاهـ  
 إـلـيـهاـ مـنـ شـدـةـ التـقـوىـ وـفـرـطـ الصـلـاحـ . فـانـ صـحـ الثـانـيـ كـاـنـ ذـلـكـ شـاهـداـ  
 عـلـىـ اـعـتـلـاـهـ ، لـاـنـ الـغـلـوـ فـيـ أـىـ شـيـ دـلـيلـ عـلـىـ اـضـطـرـابـ الـذـهـنـ وـاـخـتـلـالـ  
 التـواـزنـ فـيـهـ ٢٠ .

وـلـاـ يـحـتـمـلـ النـصـ هـذـاـ التـأـوـيلـ ، وـلـاـ يـنـطـوـيـ عـلـىـ اـشـارـةـ إـلـىـ الشـدـةـ  
 وـفـرـطـ الـلـدـنـ حـشـرـهـماـ المـازـنـ . وـلـمـ يـعـنـغـ الشـاعـرـ أـكـثـرـ مـنـ القـوـلـ بـأـنـ أـمـهـ  
 كـانـ تـقـيـةـ وـرـعـةـ وـيـرـجـوـ أـنـ تـصـيرـاـ اـنـسـاـ خـافـ ظـلـمـةـ الـقـبـرـ . وـلـكـنـ المـازـنـ  
 أـرـادـ قـسـراـ أـنـ يـشـيرـ الشـكـ فـيـ الصـحـةـ الـعـقـلـيـةـ لـوـالـدـةـ اـبـنـ الرـوـمـيـ وـصـوـلـاـ  
 إـلـىـ اـثـيـاتـ جـنـزـنـهـ هـوـ . وـلـيـسـ مـنـ الـضـرـورـيـ أـنـ يـكـونـ أـحـدـ الـأـبـوـينـ  
 الـقـرـيبـيـنـ مـصـابـاـ بـخـلـلـ عـقـلـ لـكـيـ يـسـتـقـيمـ التـعـلـيلـ . أـضـفـ إـلـىـ ذـلـكـ أـنـ الـغـلـوـ  
 لـاـ يـقـومـ دـلـيـلاـ . دـائـماـ ، عـلـىـ اـخـتـلـالـ الـأـعـصـابـ .

وـقـدـ لـازـمـ هـذـاـ العـسـفـ الـمـبـرـاتـ الـأـخـرـىـ الـتـىـ اـسـتـبـطـ المـازـنـ بـعـضـهـاـ  
 مـنـ شـعـرـ اـبـنـ الرـوـمـيـ ، وـالـتـىـ لـاـ تـمـتـ بـصـلـةـ . كـاـ نـعـتـقـدـ إـلـىـ الصـمـةـ الـنـفـسـيـةـ  
 وـالـعـقـلـيـةـ . فـقـدـ أـورـدـ أـيـاتـاـ مـنـ رـثـاءـ اـبـنـ الرـوـمـيـ لـأـبـنـائـهـ الـثـلـاثـةـ لـيـقـولـ :  
 « وـلـيـسـ يـخـفـيـ أـنـ فـقـدانـ أـوـلـادـهـ جـيـعاـ فـيـ حـدـائـتـهـمـ لـاـ يـدـعـ مـسـاغـاـ لـلـشـكـ  
 فـيـ اـعـتـلـالـهـ وـاـضـطـرـابـهـ ، وـاـنـهـ لـمـ يـكـنـ صـحـيـحاـ مـعـافـ فـيـ بـدـنـهـ ٢١ . وـهـذـاـ  
 اـسـتـدـلـالـ غـرـيـبـ ، وـكـاـنـ المـازـنـ نـسـىـ مـاـ قـالـهـ عـنـ قـفـرـ اـبـنـ الرـوـمـيـ وـحـرـمانـهـ  
 الشـدـيدـ حـتـىـ اـنـهـ كـاـنـ يـسـتـجـدـىـ الـكـسـاءـ مـنـ أـوـلـىـ الـأـمـرـ ٢٢ ، وـلـمـ يـحـتـمـلـ أـنـ  
 اـبـنـاءـ الرـوـمـيـ تـوـفـواـ لـسـوـهـ تـغـذـيـتـهـمـ مـثـلاـ ، وـلـنـ مـاتـ لـشـخـصـ مـاـ أـوـلـادـهـ

فهل يدل ذلك على حتمية مرضه ؟ وهل يعني ذلك أن المازني كان بدوره معنلا و مضطربا وغير معاف لأن ابنته توفيتا صغيرتين فضلا عن وفاة زوجه الأولى<sup>٣٧</sup> ؟

وعد المازني أهاجي ابن الرومي وأكثاره من ذكر أعضاء التناسل فيها دليلا آخر على الانحراف الصحي ، ذاكرا ان اتهام الناس له بالعنة والتخت لابد أن يستند إلى أصل<sup>٣٨</sup> . موحيا بذلك أن ابن الرومي كان يشعر بالقص من حيث قدرته الجنسية فلجأ إلى تغطيتها . ومن العجب أن يذكر المازني هذا الأمر وهو الذى ذكر أن لابن الرومي ثلاثة أبناء وافتهم المنية .

ويخيل إلى أن المازني كان مبالغًا في استدلالاته إلى حد جعل من طباع ابن الرومي كلها دلالة على مرضه ، وهي طباع كان المازني أيضًا يختلف بها<sup>٣٩</sup> ، من ذلك قوله : لا وليس أقطع في الدلالة على ضيق خلق ابن الرومي ونزع طبعه وقصر انانه . من اهاجيه هذه ، وظاهر منها انه كان يندفع في الشتم والذم وبسط اللسان في الناس لاهون سبب ومن أجل أشياء لا تهيج الرجل السليم الرشيد ، كأن يعييه واحد بشيته أو ينعنى عليه صلبه ، فيفور فائزه ويمتلئ غيظا على عائمه ويتناوله بكل قبيح ويلتصق به كل سوءة شنعة ومرة دهماء . وفي ضيق الخلق وتوعره برهان على الاضطراب و اختلال توازن الاعصاب<sup>٤٠</sup> .

وأغلب الظن أن المازني هذا انطباع الناس على علاته ، وراح يؤكده تأكيدا غير قويم فيها نرى . ولذلك أورد الأخبار التي رويت عن طيرة ابن الرومي دون تمجيص أو تدقير ، وهي أخبار رواها القدامى الذين عاب عليهم المازني عدم تدقيقهم ورصهم النصوص ، كما ذكرنا ذلك من قبل . ومن شأن الباحث أن يخصنع مثل هذه الأخبار لامتحان شديد ، فقد لاتكون

لاتكون دقيقة من حيث تفصيلاتها في الأقل ، وهذا ما لم يفعله المازني مع ما لصق بابن الرومي و فعله مع المرويات عن المتني و بشار فرفض ما لم يطمئن إليه .

و بالإضافة إلى ذلك فإنه لم يستنتج من سلطة لسان بشار - مما سسلم به فيما بعد - و ذمه للناس صديقهم و عدوهم أن بشارا مصاب بالجنون . و لكنه آل إلى هذه النتيجة فيما يتعلق بابن الرومي . و هذا يعني أن المازني لم يكن <sup>هذا</sup> رؤية واضحة ومحددة ينطلق منها إلى معالجة المتشابه من الأحوال ، ويقوم من جهة أخرى دليلا على إيمانه بما ألمح إليه الأقدمون بصدق حالة ابن الرومي ، و ابتعى هو لذلك الایمان سندًا بالاعتماد على ما ذكره «النفسانيون»، حديثا ، و لكنه - فيما يظهر - لم يكن مستوعبا لكتشوفات هؤلاء استيعابا جيدا و عميقا ، لحداثة عهده و عهد العرب بها ، فكان أن حل النصوص ما لا تحتمل و وجهها كما شاء دون أن يمتاز عمله بعنصر الواقع . وكتب المازني بحثا آخر عن ديوان ابن الرومي<sup>٢</sup> بين فيه أنه لا يهدف إلى تحليل شعره ، لأن العقاد وفي التحليل حقه في مقدمة الديوان . و من ثم فإنه يرکن إلى وصف ذلك الشعر و تقريره إلى القراء و تحبيبه إليهم<sup>٣</sup> . مستهلا عمله باعادة بعض أفكاره السابقة عن فقر ابن الرومي واستهانة الناس وأقربائه به ، وعن تطويره<sup>٤</sup> .

و تكلم على أصل ابن الرومي ، و جعله روميا حقيقة ، و عزا اشتهراره بتلك الكنية إلى ذلك الأصل لا إلى ما كان عليه من ملاحة في صباح كا يظن . و إن ابن الرومي نفسه أشار إشارات واضحة إلى نسبه في مواضع متفرقة من شعره<sup>٥</sup> . وعلى الرغم من أنه ولد بين العرب ، و صارت العربية لغة له

إلا أنه لم يكن كالعرب طبعاً وفناً، ولا في أساليب تفكيره بل حتى  
و لا في عاداته وأخلاقه<sup>١٥</sup>. ومن هنا كان شديد الاحساس بروميته التي  
كان يباهي بها، و غربته و فقدانه «طنه» و لعله الوحيد الذي فرق بين الجنسية  
الدينية والجنسية القومية وأحس الألم لفقدان الوطن<sup>١٦</sup>. ويرى أن  
التنبيء إلى رومية ابن الرومي يمثل مفتاحاً لفهم شعره حق الفهم، وأن  
الرومية كانت سبباً لتبيذه من الشعراء الآخرين، وحتى الغرباء منهم، أي  
من لم يكن من أصل عربي، لاحتفاظه بخصال العرق الذي تحدى منه على  
خلاف الآخرين الذين لم يحتفظوا بذلك الخصال<sup>١٧</sup>.

بيد أن المازني لم يسترسل في الكشف عن تأثيرات هذه الميزة  
وانعكاساتها في شعر ابن الرومي، ولجأ إلى الكلام على شخصيته في مقالين.  
تحدث في أولهما عن لطف شعوره، ودقة حسنه، وقوة خياله. وأن  
امتياز ابن الرومي بهذه الصفات دفع به إلى التبرم من الظلم والغبن  
و احتلال الموازين، وما كان ذلك بوحى من الحسد أو الحقد بل بوحى  
النفس الذكية المثقفة التي لا ت يريد أن تكيف على مقتضى الظروف  
والاحوال. فصار من الطبيعي أن تبرز ذاتيته في أشعاره<sup>١٨</sup>.

وتناوله في المقال الثاني حسن ابن الرومي في شبابه، واقتناصه  
فرص الحياة دون أن يحسب لكبره حساباً، فأورثه ذلك الأسلام  
والآوصاب. كما أنه كان مكباً على القراءة والاطلاع حتى أنه أحاط  
بالعلوم المعروفة في عصره، ويرى المازني أن أولئك جميعاً أدى إلى اضطراب  
اعصاب ابن الرومي واحتلال توازنه، وأعاد - تأكيداً لمرضه - ذكر  
ما سبق له ذكره عن وفاة أبنائه واستهانة الناس به وطيرته ٠٠٠ الخ<sup>١٩</sup>.

وخصص المازني مبحثين لـ «السخرية» في شعر ابن الرومي، وهما

ليسا

ليسا لدى قيمة نقدية تذكر لفهم هذا الجانب والإهاطة به في شعر الشاعر، ومرد ذلك إلى أنه عرض إلى هذا الموضوع عرضا عاماً ونظرياً، ولا نكاد نجد صلة بينه وبين شعر ابن الرومي، وإن استدل بعض أبياته الهجائية على توثيق رأيه، وهي أبيات تدور حول عيوب خلقية كالقصر والخديب، وعيوب معنوية كالبخل .

والسخرية توجه عام، ولا تقتصر كما نعتقد على غرض شعرى واحد كالمجاهد مثلاً . وأن ابن الرومى أراد تقرير تلك الصفات، أو تجسيدها لتلقيه، والسخرية من تنازع الهجو أكثر من كونها وسيلة للهجاء، ومن هنا كان الناس يفزعون من السنة الشعراء بخافه أن تسومهم هجاء يدر عليهم زراية وتشمتا .

ولا يعني هذا أن المازنى كان يحتال على النصوص جميعاً، لأننا نجد شيئاً من السخرية، بوصفها وسيلة، في شعر ابن الرومي . ويخيل إلى أن ييتا واحداً ما استشهد به المازنى يحشر في هذا الباب، وهو :

غدونا إلى ميمون نطلب حاجة فارسلنا منعاً جزيلاً بلا مطل ..

وموقع السخر في الشطر الثاني، لأن ميموناً تمنع حالاً وقبض على يديه ولأن الشاعر قرن المنع بصفة من صفات الشكر وهي «الجزيل» . ومع أن الفكرة عادية فإنها أقرب إلى أن تكون ظرفًا .

ولئن فرضنا جدلاً أن المازنى كان مصيناً في إثبات السخرية في شعر ابن الرومى فانا لا نجد دافعاً لذلك المنحى، ولا تسويفاً ينسجم مع الواقع من جهة ، ولا يصطدم بسخرية الناس واستهزائهم بابن الرومى من جهة ثانية .

واستخلص المازنى في مقالته الآخرين ملخص من فلسفة ابن الرومى،

وعدل عن هذه التسمية إلى «مذهب في الحياة»، في ثانياً حدثه<sup>٩١</sup> . وهو يرى أن تقصى هذا المذهب منطق و معمول؛ لأن ابن الرومي شاعر «من كبار الفحول»، وأنه كان يحس الحياة بكل جارحة فيه، بل يقبل الحياة و ينشد الاحساس بها و يعرى أعصابه لها، ليتملى من الشعور بها و يلبسها بروحه، و يدير عينيه و يقلبها تارة في نفسه و تارة أخرى فيها حوله، ولا يمل التأمل، ولا يفتر عن التدبر، ولا يكفي عن المقايسة و المقابلة، وعن ارسال النظر رائداً، واجلة الفكر حاصداً<sup>٩٢</sup> .

ويخيل إلى أن هذه الاشارة تناقض و دعوى المازني حول عصاية ابن الرومي، لأن العصاية لا ينطلق إلا من الوهم في نظراته و تصوراته . و مما يكن من امر فان فيها اجتناؤه سابقاً ما يقسم نظرة ابن الرومي إلى نفسه وإلى ما حوله، و هذان الجانبان متداخلان حتى يعسر الفصل بينهما، و ربما كان هذا هكذا لشعور ابن الرومي الشديد بذاته كما قال المازني<sup>٩٣</sup> .

ويصطبغ مذهب ابن الرومي في الحياة بصبغة التشاؤم، وإن الشؤم يلد مع الإنسان حتى أن بكاءه ساعة ولادته يكون «لما تؤذن الدنيا به في صرفها»، وأنه منذ ذلك الحين إلى يوم وفاته «رهن النوايب»، على أن أقسى ما يتعرض له هو فقده لشبابه، و ما دام المال إلى الموت فليس في الحياة مغبطة، و ان هو الانسان تشاغل منه عن الحوادث المرتقبة . و تقدم عمره يهرم همته و يحرمه من الابتهاج بما كان يسره سابقاً، بل أن الأمور جميعاً تفقد قيمتها عنده، فسواء متّع المرء أولاً فإنه غير معبون، سلم من الزمان أو نكب، منح أو منع، كسي أو سلب . . . الخ على كل أولئك سواء و ليس بذى قيمة، لأنه مرهون بالحظ، وكثيراً ما يرفع الحظ

الحظ أناسا لا يستحقون الحياة ، ويضع أناسا هم في نفافة العجواز « وإذا كانت الدنيا كذلك ، وكان الشر فيها غالبا ، فالحذر واجب والحزم فرض ، ليقل التجنى على المقدور ، وعلى المرء إذا ظن شراً أن يخافه ! » .  
وإلى جانب ما سبق فإن لابن الروى رأيا في الأدب ونظرة إلى الجمال . أما رأيه في الأدب فقد ذكر المازنى أنه يراه فنا يؤخذ بالعناية وينقطع له . و من ثم فإن للآدib حقا على الناس و حرمة واجبة الرعاية . وأن الفن كالكتان الحى في نشأته و شبابه و هرمته .

ويتراءى لي أن هذا الرأى هو الذى يوضح نظرته إلى الجمال من حيث تعامله الخاص مع الطبيعة . وبين المازنى أن ذلك التعامل يتجلى في تحسسه الطبيعة احساسا شعريا ، ينشط خياله حين يتأملها ، ويفيض عليها من حياته ، ويعبرها من أحاسيسه و خوالجه حتى تبدو « حية نابضة مثله ، لها حس و روح و ذاكرة ، بل إرادة » . وأنه سحر لاحساسه الجمالى جميع حواسه ولا سيما اللمس والشم ، ولذا تكاد تلمس الزهرة التي يصفها و تشم أريحها . ويصور لك الروضة المبهجة تصوير الفتاة تزين و تتجمل و تظهر في أبهى الحال » .

دراساته لبشار بن برد :

خصص المازنى لهذه الدراسة كتيبا صغيرا يقع في ١٣٣ صفحة ، بدأها بذكر تاريخ ولادة بشار ، واسم أبيه ومهنته ، وأصله الفارسي ، معتمدا على شعر بشار نفسه الذي يتضمن افتخاره بسبه غير العربي ، وعلى بعض المرويات من الأخبار <sup>٨</sup> التي اتكأ عليها أيضا لوصف بشار جثمانيا من حيث كونه أعمى ضخم الجثة . وأنه نهل من العلوم و سال الشعر على لسانه و تعرض إلى الناس بالهجاء <sup>٩</sup> .

وقد التمس المازني لهجاء بشار سبباً يفترق عما أشبع بأنه كان يدافع الحقد والضغينة، فربطه بشعوره بعهده وبكونه مولى، فقال: «ولم يكن واعده بالهجاء والتقدم على الناس بالشتم، لقدر دفين ينطوي عليه، وعدارة كامنة يمسكها في قلبه، وصرامة طبيعية بالشر، بل لأنّه كان يشعر بالنقص من ناحيتين: أنه كفيف وأنه من الموالي، فلا يزال من أجل هذا يعالج أن يعوضه إذ كان لا يملك أن يغير ما به، فما إلى رد بصره من سبيل، ولا ثم حيلة يعرفها هو أو سواه يخرج بها من طفة الموالي سوى ما كان من تحريضه لهم على ترك الولاء، وفي طباع الناس أن يستر ضعفه، أو يحاول أن يفيد عوضاً عما حرمه أو فقده. ولما كان بشار قوى البدن موفور الصحة وكان إلى هذا عانى اللسان أغراه ذلك بالهمس العوض الميسور وهو إفاده القوة الأدبية وإشعار نفسه والناس قدرته على البطش المعنوي الذي سدت عليه سبله المادية»<sup>١٠</sup>.

وهذا استدلال نفسي على هجو بشار، ويتجدد بمبدأ «التعويض» عن المعنى، وخاصة أن بشاراً كان ذا احساس شديد بعاهته<sup>١١</sup>. ولكنه صب ذلك الاحساس على الناحية العملية، وذلك بتقارنه «بين حاجته واستغناه غيره، وعجزه واقتداره، وتقيده وحريرتهم». أما قيمة النظر وجدواه في إفاده الصور والمعانى فأمر نشك في أنه كان يدركه على حقيقته، أو يفهمه ويعرفه إلا توهماً وتخيلاً<sup>١٢</sup>.

واقتصر المازني على تقصي أثر المعنى، ولم يشر بشيء إلى أنّ النقض الثاني وهو كون بشار مولى. وما ذلك فيما نظن إلا لتوهم المازني في هذا الصدد وإدراكه لوهمه، إذ لم يشعر بشار بذلك النقض، بل كان يفخر بنسبه الفارسي كما قال المازني في موضع آخر<sup>١٣</sup>.

ولبشار

ولبشر مكانته متميزة ، ولقى احترامه و اكراما من قبل علماء العربية اعترافا بفضله كـ «الأصمى» و خلف بن أبي عمر العلاء ، و خلف الأحرر<sup>٦٢</sup> ، و يرى المازني أن ما لقيه بشار من العلماء نتيجة تصيرورة الشعر عنده وسيلة من وسائل الوصول إلى الجاه و بسطة العيش ، و الوقوع في الرغد و نعيم الحياة ، و الاستمتاع بما يفيده شعره من التعظيم إذ لم يكن له قديم يرجع إليه<sup>٦٣</sup> . وربما وقف هذا التسويف وراء شعور بشار شعورا مفرطا بالذات ، ونزعه إلى التجبر ، و الضجر من الناس<sup>٦٤</sup> .

و تكلم المازني على فكر بشار أو عقيدته ، و ذكر أنه مستخلص من البيئة التي عاش فيها ، وهي بيئه عربية خالصة ، و إنه عاصر ظهور الفرق الإسلامية المختلفة و اتصل بأصحاب الكلام فنزع إلى التحرر ، بل أن اتصاله بأصحاب الكلام د كان من الأسباب التي قوت روح التمرد التي طبع عليها و التي ظهرت في حداهته<sup>٦٥</sup> . و يرى أن انتهاء بشار إلى الزندقة أو ما يشبهها مردود إلى عوامل هي : أصله الفارسي . و تزدهر بطبعه و نتيجة لأصله ، و نشأته في بلاد «لا تستقر على حال أو رأي». و عيشه في زمن انقلاب أدى إلى انتصار العنصر الفارسي الذي كان مغلوبا ، إضافة إلى الحرية الفكرية التي كانت سائدة ، وارتياح بشار لماهل العلم و الفكر حتى اضطربت عقيدته و انتهت إلى اتهامه بالزنادقة أو «انتهت إلى ما يشبه أن يكونها»<sup>٦٦</sup> . ولم يقطع المازني بهذا الاتهام لأن علمه عند الله ، و لأنه ليس من اليسر الكشف عن سرائر النقوس ، و لأن الاخبار المتعلقة بالتهمة تدور حول استخفاف بشار و عدم مبالاته فيما يقول أو يفعل ، و عدم تقواه و روعه ، وإن هذه أمور لم تقتصر على بشار ولكن الأبصار وجهت إليه لكونه مشهورا<sup>٦٧</sup> .

و لعدم اطمئنان المازني إلى زندقة بشار وجه بعض أشعاره التي يفضل فيها النار على الطين ، أو يقدم إبليس على آدم ، توجيهها غير منطق كأن نظن ، إذ قال عنها : « وكله كلام لا محصول وراءه . وقد يكون الغرض منه الزرارة بالناس الذين يقال إنه كان يتبرم بهم ، ويضجر منهم ، ولكن على الحالين لا يعد مذهبها أو رأيا يستحق أن يسمى رأيا . وإنه لاحق بأن يسمى كلاما فارغا »<sup>٧٠</sup> . ثم استطرد في نقى الزندقة عن بشار وإنه لم يقتل لذلك السبب ، وإنما كانت هناك أسباب أخرى تكن وراء قتله »<sup>٧١</sup> .

وفي مبحث « بشار و المرأة » ذكر المازني بأن العين « هي الأداة الأولى والكبيرة للإحساس بالجمال ، والالتفاتات إليه ، والاحتاطة بمعانه » . ولا مفر من أن يحدث كف البصر أثرا في منزاج الإنسان و تفكيره و احساسه . فما يبق للكشف من وسائل الإحساس بالجمال ، وإدراك معانه سوى السمع واللمس والشم »<sup>٧٢</sup> . ولذا فإن بشار لم يستخدم غير تلك الوسائل للكشف عن الحب الذي فان يكتنه النساء ولئن كان في مقدوره أن يلتجأ إلى ذكر الأوصاف التي سمعها من الناس فإنه لم يكن قادر على الإحساس الحقيقي بالحسن و تجده في العين ، أو التقاط الحركات الخفية التي تبعث في نفس الرائي شعورا خاصا تجاه من يحب »<sup>٧٣</sup> . ومن ثم كانت الأوصاف التي أضافها على حبياته حسية تنسب إلى السمع واللمس والشم فقط »<sup>٧٤</sup> .

و استطرد المازني بعد ذلك إلى ذكر شعراء كانوا عميأ أيضا ، لكي يعزز رأيه ، و وجد في أبي العلاء المعري شهيدا ، وكشف عن رأيه بالمرأة و سوء ظنه بها »<sup>٧٥</sup> لينتهي ، و دون مسوغ على مقبول ، إلى أن بشارا كان هو الآخر سبيلا للظن بالمرأة »<sup>٧٦</sup> . كما أورد لعلى بن جبلة العكوك أخبارا ليقول إنه يشبه بشارا »<sup>٧٧</sup> . وتلمس بعض المعانى التي أتى بها بشار ، والتي

يظهر فيها أثر عماه و من ثم استخدامه اذنه ، جذرا عند ابن عباس وغيره <sup>٧٨</sup> .  
ولم يخضع المازني غزل بشار لنظرية فاحصة من جهة المعنى ، و كأنه  
اكتفى في هذا الصدد بما ذكره في مبحثه عن « بشار و المرأة » . ولذلك  
جرى حديثه على الشكل وحده في هذا الموضوع . فرأى أن شعر بشار الغربي  
لا ينتظم كله نسق واحد ، فهو ينحو في بعضه منحى حوشيا و يسرى على  
خطى المولدين في البعض الآخر ، من حيث اختيار الألفاظ الملائمة و الأبخر  
المرقضة الرقيقة ، و توخي السهولة و إبراز المعانى التي تدور على الحس و ما  
إلى ذلك <sup>٧٩</sup> . وقد عد غزله الحسى واقعيا ، ذاكرا أنه لم يتجاوز الحس  
إلى سواه ، غير معنى بالصدق في الأعراب عن عاطفته « و إنما كان معنيا  
بسيرة الشعر و شهرته » <sup>٨٠</sup> .

و في هذا شيء من التناقض ، فيما نظن ، إذ كيف يمكن للشعر أن  
يكون واقعيا و هو غير صادق ؟ و أغلب الظن أن المازني لم يقصد المعنى  
الأصطلاحى لـ « الواقعية » وإنما عنى بها المعنى العام من حيث انتهاز الفرص  
السانحة وصولا إلى الوطر من النساء <sup>٨١</sup> .

#### شعر بشار :

يقول المازني : « و لغة بشار متينة ، و عبارته جيدة رصينة ، و لا سيما  
إذا مدح أو هجا أو قال في غرض جدى ، و كان ثغورا بذلك مدللا به ،  
من هوا بأنه نشأ في حجور الفصحاء من الشيوخ ، و كان معترفا له بالصحة  
و سعة العلم بكلام العرب و بالفطنة و جودة القرىحة و النقد <sup>٨٢</sup> » .

و هذا حكم عام متعلق بشكل الشعر من جهة ، و بثقافة بشار من  
جهة ثانية . و سرعان ما راح المازني يتكلم على شعر بشار من حيث معناه  
مركزا كلامه على غرض الهجاء رأينا أن بشارا كان مقدعا فيه ، أو قل

أن هجاءه كان سبا صريحاً، وأنه لم يختبر المعانى الاجتماعية يرمى بها المهوjo كالحبس وعدم المروءة وسقوط الهمة والذلة وما إليها، وإنما أخشد وبالغ في تناول الأعراض وركب الشطط وأساء إلى الخلق السليم والأدب، ويرى المازنى أن هذا الاتحاء في المهوjo كان من عمل شعراء لا ينتسبون إلى العرب في الأصل كبشرى وأبي نواس وابن الرومى، أما الشعراء العرب صلبة فلم يكوفوا كذلك كأبى تمام والبحتى والشريف الرضى والمتبنى وغيرهم، وإن تأثر العرب بالفحش نتيجة اتساع رقعة الدولة العربية والانحلال الروابط الاجتماعية<sup>٤٣</sup>.

و الواقع أنه الأخلاص ظاهرة اجتماعية لا صلة لها بأمة دون سواها، أو بأبناء جالية دون السكان الأصليين، وليس من المنطق عزوه إلى أبناء جنس بشرى معين وَكَان سوادم كانوا في معزل عن حركة التفسير الاجتماعي، لأن مثل هذا التفسير يغرس بالسؤال عن السبب في عدم تأثير العرب الأخلاقية في أولئك الموالي، وبذلك تظل المسألة دائرة في حلقة مفرغة، غير أن التأويل المعقول لهذه الظاهرة صار من البديهيات وهو الانحلال الاجتماعي الذي حصل نتيجة لكثرة الإمام والجواري والرقيق، واكتناز المال في الأيدي، وميل الناس - أو بعضهم - إلى اللهو والاستمتاع بالحياة على الطريقة التي ارتأوها، والشعراء كانوا ندامي للطبقة المترفة المنعمه، فتأثروا بقيمهم ونظاراتهم ولغتهم أيضاً.

ومهما يكن من شيء فإن المازنى يرى في بشار شاعراً لا يحمل في جوانحه عاطفة قوية أو عميقة، «ولم يكن له أكثر من ملحة التشيه، تشيه الأشياء المحسوسة بعضها بعض»<sup>٤٤</sup>. ويوحى بذلك أن بشار مستوى شعرياً واحداً لم يطرأ عليه تغير ولم يلحظه تطور «ونقرأ شعره فولا

فلولا من قيل فيهم - مدحاً أو هجاءً - لما عرفت أهوا من شعر الصبا أم من شعر الكهولة، فان النفس واحد، والروح لا يتفارق أو يختلف فيها عدا ما كان يتلهى به من الهزل والعبث<sup>٨٥</sup>.

و الغريب أن المازني الذي أورد آراء العلماء في بشار بصورة تم على اقتناعه بصحة تشخيصهم لمنزلة بشار و شاعريته<sup>٨٦</sup>، يعود إلى تقويم شعره من خلال طبائمه، فيقول إن بشاراً كان لا يها طول حياته، مشغولاً أبداً بطالب الجسد وشهوات البدن، ومن ثم فإنه لم تستول عليه عاطفة ولم تستغرقه فكرة، ولذلك لم يرتفع «شعره فقط إلى عليا مراتب الفن، حتى حكمته لم تكن إلا ثمرة التجربة للحياة و مواقفها»<sup>٨٧</sup>.

ولم يعزز المازني حكمه على العاجب الفنى من شعر بشار، وهو أقرب إلى أن يكون حكماً تأثرياً، ولكنه جاء باستدلالات على حكم بشار، وتكلم عليها و كأنها حكم عادية<sup>٨٨</sup>، وهذا وجهة نظر على أية حال، يد أن ما يمكن الاشارة إليه هو أن الحكمة لا تكون من بنات الوهم، وجميع الشعراء الذين ضمنوا أشعارهم حكماً كانوا يستقونها من تجاربهم الحياتية. والنھل من الواقع دلالة على بناهه الشاعر، ونظره إلى الأمور و تفكيره فيها، وإلا لمر بها كما يمر الآخرون دون أن تعمل فيهم عملها أو تبصرهم بشيء. وفي هذا ما يجعل حكم المازني على بشار بأنه لم تستغرقه فكرة ما حكماً قائماً على أساس غير صحيح، إلا إذا كانت الفكرة الفلسفية مقصده، ولا موضع للواحدة في هذه الحال لأن بشار لم يكن «فیلسوفاً» أو يسع إلى الفلسفة، وإنما كان شاعراً له نظرته الخاصة إلى الحياة، وقد عكس نظرته على سلوكه اليومي و علاقاته بالناس، فكان إن اساء الظن بهم جميماً، ولم يتورع من أيّ منهم، وترك نفسه على سجيتها في القول - غزواً و هجاءً،

وفي الفعل بالعكوف على ملذات الحياة، ولعله أراد بذلك التفيس عن همومه باغرائها في الملذات لأنه لم يجد أمامه طريقا آخر.

والامر كذلك في حكم المازني على معانى بشار بأنها «وسط أو لا جديد فيه»<sup>٨٩</sup>، إذ لم يعلل حكمه، واكتفى بسرد نماذج من شعره<sup>٩٠</sup> من غير أن يدل القارئ على ما يطمئنه إلى حكمه.

وقد خصص المازني القسم الأخير من دراسته لسرقات بشار، أو السرقات منه<sup>٩١</sup>، ولم يصير من مفهوم محدد للسرقة منطلقا له في هذا البحث، ولذا اكتفى بذكر بيت لبشار مثلا ثم من سرق أو من سرقه، ولا نجد عنده مفاضلة بين يقى السارق والمسروق، ولئن وجدنا شيئا من هذا فهو لا قيمة له، وهو أقرب إلى أن يكون قوله غير مسؤول كتعليقه في موضع «وبيت بشار أصنع»<sup>٩٢</sup>.

وخلاصة القول أن دراسة المازني لبشار تنقسم على قسمين : قسم خاص بحياته وشخصيته استعان في الكشف عنها بشعر بشار والتوصص المأثورة بعد تدقيقها واعتماده على ما وثق منها، وبعض المبادئ النفسية التي ألم بها . و القسم الثاني خاص بدراسة شعره ، وهى دراسة مختلطة لا تعتمد منهجا قويمًا ، فقد أورد آراء القدماء في شعر بشار وأردفها باحكامه العامة غير المعللة والمناقضة لنظرات السلف ، وترك القارئ من جرام ذلك في حيرة بين احكام السابقين التي لم يفندوها موضوعيا واحكامه هو ، على الرغم مما دعا به في مقدمة الكتاب باتهاجه تحليل شعر بشار<sup>٩٣</sup> . ويخيل إلى أن هذا القسم من دراسته لا ينطوى على قيمة تذكر - في تاريخ الأدب - لاتسامه بسطحية المعالجة بصورة عامة .

و الواقع أن هذا التصور ينسحب على دراستيه السابقتين أيضا ، فلم يجمع بينها منهج واحد ، فاختلطت تارة طريقة نفسية وتارة أخرى وصفية ،

و فسر بعض الحالات و جوانب من سلوك ابن الرومي و بشار من خلال شخصيته و سلوكه هو ، و ربما أضفى عليها شيئاً من خللاته .  
 ولا يغير من هذا الرأى شيئاً - فيما نظن - ما أضافه الدكتور محمد مت دور من قيمة على دراسات المازني بتلميذه إلى تفرده في دراسة وصف ابن الرومي وفق نظرية لسنجه<sup>٢٤</sup> . ونحسب أن في هذا الرأى مبالغة ، إذ لم يكن المازني أكثر من مفصل لآراء العقاد ومحاته . أضف إلى ذلك أنه لم يتمتع بعمق النظرة في دراساته الأدبية ، ومرد ذلك إلى عدم بلورة مثل هذه الدراسات عند العرب المحدثين آنذاك ، ولذا فإن المازني لم يجمع بين التحليل والتفسير والتقويم . وهي عناصر الدراسة الأدبية ، وإنما كان يكتفى بأحدتها بصورة عامة . ومع ذلك فإن جهود المازني في هذا الميدان أهميتها من حيث شقها طريقاً جديدة أمام الباحثين اللاحقين للدراسة الأدب دراسة جديدة . ولئن كانت أعمال المازني منطوية على الخل أو التواقص فما ذلك إلا لجدة هذا الميدان ، و لا تكون المحاولات الأولى - عادة - مكتملة و حسبها أنها مهدت الطريق .

Abbas Toufic

كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين

العراق

### المواضيع

- (١) نقد المازني حافظاً في سلسلة من المقالات نشرها في جريدة عكاظ عام ١٩١٣ ، ثم جمعها و طبعها في كتيب بعنوان «شعر حافظ» عام ١٩١٤ / ١٩١٥ .  
 (٢) ينظر المازني (بالاشتراك مع العقاد) : الديوان ١ / ٥٠ و ما بعدها ، ٢ / ٨٦ و ما بعدها ، و نقد المنفلوطى في المصدر نفسه ٢ / ١ ، و ما بعدها .

- (٣) عز الدين الأمين : نشأة النقد الأدبي الحديث ص ١٩٦ .
- (٤) د. محمد مندور: النقد والنقاد المعاصرون ص ١٨٨ . د. نعيمات أحمد نؤاد: ادب المازني ٢ .
- (٥) عباس توفيق : إبراهيم عبد القادر المازني المبحث الخاصل بشخصيته ، و الفصل الخاصل بشعره .
- (٦ و ٧ و ٨) عبد الرحمن البرقوق : شرح ديوان المنبي ٤ / ٢ ، ٢٣٨ ، ٩٣ / ٢ ، ٤١٧ .
- (٩) إبراهيم المازني : حصاد الهشيم ص ٢٠١ .
- (١٠) المصدر السابق ١٢٦ .
- (١١ و ١٢) المصدر السابق ١٢٦ - ١٢٨ .
- (١٣) المصدر السابق ١٣٠ .
- (١٤) المصدر السابق ١٣١ .
- (١٥) المصدر السابق ١٣١ - ١٣٣ .
- (١٦ و ١٧) المصدر السابق ١٣٤ .
- (١٨ و ١٩) المصدر السابق ١٣٥ .
- (٢٠) المصدر السابق ١٥٠ - ١٥٤ .
- (٢١) المصدر السابق ١٣٥ ، وقد أورد الأبيات التي تغزر فيه في ص ١٣٧ - ١٣٩ .
- (٢٢) يقول ابن جنى إن عامة شعر المنبي في كافور من هذا النوع ، وأشار إلى أنه أوضحها ، ينظر الفسر ٤ / ٤١، ٤٣، ٤١٠، ٢٩ ، ٦٣ . وقد استشهد المازني ، بكلام ابن جنى ، على يديت واحد ينظر حصاد الهشيم ص ١٣٦ - ١٣٧ .
- (٢٣ و ٢٤) إبراهيم المازني : حصاد الهشيم ٢٠١ .
- (٢٥) المصدر السابق ص ٢٠١ - ٢٠٩ .
- (٢٦) المصدر السابق ص ٢١٩ .
- (٢٧) المصدر السابق ص ٢١٨ .
- (٢٨ و ٢٩) المصدر السابق ٤٢٠ .
- (٣٠) المصدر السابق ٤٢١ .
- (٣١) المصدر السابق ٤٢٤ - ٤٢١ .
- (٣٢) المصدر السابق ٤٢٥ .

المصدر

- 
- (٣٢) المصدر السابق . ٢٢٧ - ٢٢٨ . (٣٤) المصدر السابق . ٢٢٩ - ٢٢٣ . (٣٥) المصدر السابق . ٢٢٩ - ٦٩ . د. نعيمات أحمد فؤاد: ادب المازني ٧٣، ٧٠ . عمر أبو النصر: المختار من الأدب العربي ص ١٤٠ . (٣٧) إبراهيم المازني: حصار الهشيم . ٢٣٠ . (٣٨) عباس توفيق: إبراهيم عبد القادر المازني: البحث الخاص بشخصيته . (٣٩) إبراهيم المازني: حصاد الهشيم . ٢٣١ . (٤٠) إبراهيم المازني: حصاد الهشيم . ٢٣٢ - ٢٨٧ . (٤١) المصدر السابق . ٢٢٣ ، و يلاحظ مقدمة العقاد لـ*الديوان ابن الرومي* ١ / ج - م . وقد فصل المازني بعض آراء العقاد التي أودعها في مقدمته . (٤٢) إبراهيم المازني: حصاد الهشيم ص ٢٣٤ - ٢٣٧ . (٤٣) المصدر السابق . ٢٣٨ - ٢٣٩ . (٤٤) المصدر السابق . ٢٤٠ ، ٤٦ . (٤٥) المصدر السابق . ٢٤١ - ٢٤٦ . (٤٦) المصدر السابق . ٢٤٢ - ٢٤٣ . (٤٧) المصدر السابق . ٢٤٣ - ٢٤٧ . (٤٨) المصدر السابق . ٢٤٤ - ٢٤٥ . (٤٩) المصدر السابق . ٢٤٦ - ٢٥٣ . (٥٠) المصدر السابق . ٢٤٧ - ٢٥٣ . (٥١) المصدر السابق . ٢٤٨ - ٢٤٩ . (٥٢) المصدر السابق . ٢٤٩ - ٢٥٠ . (٥٣) المصدر السابق . ٢٤٩ - ٢٥١ . (٥٤) المصدر السابق . ٢٥١ - ٢٥٣ . (٥٥) المصدر السابق . ٢٥٣ - ٢٥٤ . (٥٦) المصدر السابق . ٢٥٤ - ٢٥٥ . (٥٧) المصدر السابق . ٢٥٥ - ٢٥٦ . (٥٨) إبراهيم المازني: *بشار بن برد* ١٤ - ١٨ . (٥٩) المصدر السابق . ٢٥٦ - ٢٥٧ . (٦٠) المصدر السابق . ٢٥٧ - ٢٣ . (٦١) المصدر السابق . ٢٥٧ - ٢٣ . (٦٢) المصدر السابق . ٢٣ - ٢٧ . (٦٣) ينظر ص ٨ مثلاً من المصدر السابق .

- 
- (٦٤) المصدر السابق . ٣٩ . (٦٥) المصدر السابق . ٣٨ .
- (٦٦) المصدر السابق . ٥٥ . (٦٧) المصدر السابق . ٤٤ .
- (٦٨) ، (٦٩) المصدر السابق . ٤٤ - ٤٥ .
- (٧٠) المصدر السابق . ٤٧ - ٤٦ . (٧١) المصدر السابق . ٥٤ - ٤٠ .
- (٧٢) المصدر السابق . ٦١ . (٧٣) ، (٧٤) المصدر السابق . ٦٧ .
- (٧٤) المصدر السابق . ٨٣ - ٨٢ . (٧٥) المصدر السابق . ٨٢ - ٧٦ .
- (٧٦) المصدر السابق . ٨٧ - ٨٤ . (٧٧) المصدر السابق . ٨٧ - ٨٤ .
- (٧٨) المصدر السابق . ٩٤ . (٧٩) المصدر السابق . ٩٤ - ٩٠ .
- (٨٠) يمكن الاطمئنان لهذا المعنى من خلال استطراد المازني إلى ذكر أخبار  
بشار مع النساء في المصدر السابق . ٩٥ - ٩٩ .
- (٨١) المصدر السابق . ١٠٠ . (٨٢) المصدر السابق . ١٠١ .
- (٨٣) ، (٨٤) المصدر السابق . ١٠٧ .
- (٨٥) المصدر السابق . ١٠٣ - ١٠٢ ، ٣٩ .
- (٨٦) المصدر السابق . ١١٢ ، ١٠٨ - ١٠٧ .
- (٨٧) المصدر السابق . ١٠٨ - ١٠٩ .
- (٨٨) المصدر السابق . ١٠٩ - ١٠٨ .
- (٨٩) المصدر السابق . ١٠٩ .
- (٩٠) المصدر السابق . ١١١ - ١٠٩ .
- (٩١) المصدر السابق . ١٢٥ - ١١٥ .
- (٩٢) المصدر السابق . ١١٦ ، وهذا هو التعليق الوحيد في ذلك البحث .
- (٩٣) المصدر السابق .
- (٩٤) د. محمد مندور : النقد والنقاد المعاصرون ١٨٨ - ١٨٩ .

## المصادر

إبراهيم عبد القادر المازني :

- بشار بن برد ، ١٩٤٤ ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية .
- حصاد الهشيم ، ١٩٦١ ، القاهرة ، المطبعة العصرية ، الطبعة السابعة .
- الديوان ( في الأدب والنقد ) ، بالاشتراك مع عباس محمود العقاد ، ١٩٢١ ، ( القاهرة ) ، د ٠ مط .
- شعر حافظ ، ١٩١٥ ، القاهرة ، مطبعة البوسفور ، الطبعة الأولى .

ابن جنى :

- الفسر ، أو شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، تحقيق د ٠ صفاء خلوصى ، ١٩٧٨ ، بغداد ، مطبعة الشعب ، الجزء الثاني .

أحمد عبيد :

- مشاهير شعراء العصر ، ١٩٢٢ (دمشق) ، مطبعة الترقى ، الطبعة الأولى .

عباس توفيق :

- إبراهيم عبد القادر المازني ١٨٩٠ - ١٩٤٩ ، ( غير مطبوعة ) .

عباس محمود العقاد :

- ديوان ابن الرومي (المقدمة) ، اختاره وصنفه كامل كيلاني ، ١٩٢٤ ، القاهرة ، مطبعة التوفيق الأدبية .

عبد الرحمن البرقوقي :

- شرح ديوان المتنبي ، ١٩٧٩ ، بيروت ، دار إحياء الكتاب العربي .

عز الدين الأمين :

- نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر ، ١٩٧٠ ، القاهرة ، دار المعارف .

عمر أبو النصر :

— المختار من الأدب العربي ، ١٩٧٠ ، بيروت ، منشورات مكتب عمر

أبو النصر •

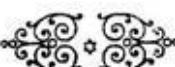
د . محمد مندور :

— النقد و النقاد المعاصرون ، د . ت ، القاهرة ، مطبعة ههضة مصر •

د . نهاد أحمد فؤاد :

— أدب المازني ، ١٩٦١ ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة

و النشر ، الطبعة الثانية •



## حياة الأمير صديق حسن خان و مآثره

ولد الأمير صديق حسن خان يوم الأحد وقت الضحى في ١٩ / جمادى الأولى عام ١٢٤٨ هـ، ببلدة «بانس بربيل»، بولاية اترا برديش، في بيت جده لأمه الشيخ الفاضل المفتى محمد عوض العثماني، ولما سمع الوالد بالنبا سر به كثيراً، واشتاق لرؤيته فجاءت به أمه إلى موطن والده وأسرته بمدينة «فوج»، وترعرع بين أحضان أبوين كريمين، كان لدينهما وتقواهما، وثقافتهما وتراثهما أثر كبير في حياة الأمير، وكان ذلك اللبنة الأولى لاعداد هذه الشخصية العظيمة التي كانت أمة وحدة بالخدمات الجليلة والأعمال الضخمة التي سرعاها في البحث القادر.

ولما بلغ الأمير خمسة أعوام من عمره فقد الأب الشفوق الذي كان يسهر على تربيته وتنقيفه وأصيب بيتم، ولم يكن في الأسرة من الكبار من يكفله ويعينه في التعليم والتربيه ولا يقوم له في التواب و النوازل ، ولم يترك الوالد من إرثه إلا قطعة أرض و مكتبة قيمة<sup>١</sup>، فكلما يذكر حالة بيته ، ينشد شعراً فارسياً معناه : «أني أعلم حالة الأطفال جيداً ، لأنني أصبحت يسم في طفولتي»<sup>٢</sup>، وكتب يقول: كان نبينا صلي الله عليه وسلم يتبنا وأميماً ، ومع ذلك كان ناسخاً لمجتمع الأديان والملل ، وسراجاً منيراً ، ينير الطرق ويضيّع السبل ، ومن الشرف أن يتنعم الإنسان إليه ، ويصدق على قول الله عز وجل أيضاً : «ألم يجدك يتبنا فأوى» . كانت أمه هي التي تولت أمر تربية الأمير بعد وفاة والده ، وكانت كما ذكرنا ابنة عالم جليل وداعية كبير، وشخصية فعالة ساهمت شخصياً في الثورة

التي انفجرت خلاف الاستعمار الانكليزي لتحرير البلاد ، فقد كانت امرأة مؤمنة مثالية ، يضرب بها المثل في التقوى والورع والعقل والفهم و البصيرة ، و تربية الأولاد تربية اسلامية فاضلة<sup>٢</sup> كانت لها ملائكة عجيبة و مهارة فريدة في التربية و التعليم ، فعقدت العزم على أن تربى طفلها الصغير تربية مثالية مع فقرها و قلة امكانياتها ، و شمرت عن ساق الجد لهذا العمل الجليل ، فأشرقت على شوؤن تربيته و تعليمه ، و وجهته توجيهها اسلامياً قوياً منذ صباه ، ذكر الأمير عن حياته في الطفولة<sup>٣</sup> :

«كنت في السابعة من عمري ، وكان المسجد قريباً من بيتي ، وعند ما يؤذن لصلاة الفجر وأنا في سبات عميق هادئ ، كانت أمي - رحمة الله عليها - توقفني وتوصي وتبغضني إلى المسجد ، ولا تتركني بأن أصل إلى البيت ، وإن لم أقم من نومي ترش الماء على وجهي<sup>٤</sup> »

هكذا تربى الأمير منذ طفولته تربية دينية على غرار الصالحين والمتقين والأبرار ، ولم يتقارر عن وظائفه الدينية طول حياته ، ولم يزعزع عقيدته وطريقته المنصب الحكومي والجاه الدنيوي والصيت العالمي فيما بعد ، كانت الأم الحنون تمنى أن ينشأ ابنها هذا النشأة دينية و علمية يخلف أباه في العلم الدين والدعوة ، نخطط له خطة مرسومة وأعدت جدولًا لأعماله اليومية ، سارت طيلة حياتها وشجعته للخوض في ميادين الحياة ، وأشارت عليه نفسها ، فلما بلغ سن الفراسة ، عينت له معلماً لقراءة القرآن الكريم على عادة مسلمي الهند بأنهم ييدون تعليم الطفل بالقرآن ، فقرأ أجزاء منه على هذا المعلم ، ثم أكمله بنفسه بعد مدة من الزمن ، وقرأ بعض الكتب الفارسية ، ومؤلفات الشيخ سعد الشيرازي (٦٩١ - ٦٠٦) خاصة ، واعتنى باللغة الفارسية لأنها لاتزال كانت لغة رسمية بالبلاد في ذلك

ذلك العصر، ولو أن الانكليز كانوا قد بدؤا يسيطرون على البلاد ويفوضون لغتهم وثقافتهم على سكان البلاد. وكان الأمير بذكاءه الواقاد ورغبة الشديدة وشغفه الكبير للعلم قرأ بنفسه كثيراً من الكتب واطلع عليها، كما ذكر :

” كان الشيخ حسينٌ لما نشر الكتب في الشمس لحفظها من الفساد والأكلة والمحشرات، كنا نلعب بهذه الكتب بأن نفتح كل كتاب تقرأ ورقة أو ورقات من كل كتاب ، نفهم أحياناً ولا نفهم في كثير من الأحيان، ولكننا استفادنا بتصفح هذه الكتب واستأنسنا بها ”  
ويقول ما ملخصه<sup>٦</sup> : بأنه ازداد شوقاً إلى معرفة محتوى الكتب التي يشاهدها، فيحاول أن يقرأ كل كتاب يجده، ويعمل حسب ما يقال : ”خذ ما صفا ودع ما كدر“ و بذلك علق بالذاكرة الكلمات الخلوة والجمل المفيدة مما قرأه في صباح .

وكان الأمير كثيراً ما ينسخ الكتب ويتمرن على الكتابة والخط فصار جيد الخط وقد تحسن أكثر فيما بعد لكثره الكتابة و التقل و النسخ، وأصبح سريع الكتابة حسن الديباجة .

قرأ بعض الكتب العربية الابتدائية على شقيقه الشيخ أحمد حسن (م ١٢٧٧ هـ) من الصرف والنحو والمنطق والبلاغة كميزان الصرف وتصريف الزبدة، مختصر المعاني والتهذيب، شرح التهذيب وبيع الميزان؛ ثم اتقل إلى بلدة فرخ آباد مع الشيخ أحد على الفرج آبادي تلميذ والده ومربيه الخاص وأقام في بيته شهوراً، ودرس على الشيخ محمد حسين الشاهجهان بورى، الكافية لابن الحاجب وشرحها للجامى وهداية النحو ويساغوجى في المنطق على الشيخ أصغر حسين، وشرح الشمسية للقطب

الرازى و مير قطبي للسيد شريف الجرجانى و در المختار فى الفقه الحنفى و مشكاة المصايم على بعض الأساتذة الـكبار هناك ؛ و دعاه بعض تلامذة أبيه العلامة إلى كابور ، فدرس هناك على العالم الكبير الشيخ محمد مراد البخارى وعلى الفقيه المحقق الشيخ محب الله البانى بي ، ولكن حسب ما قال الأمير : إن هذه الدراسة كلها كانت غير منتظمة و كان هذا الوقت قد انقضى على غير رؤية و فكر<sup>٧</sup> و لكن نشأت بذلك في نفسى رغبة عديدة إلى العلم و ذوق ثقافى كبير . و نهل في خلال اقامته بمدينة كابور و فرخ آباد من مناهلها العلمية الصافية و أوساطها الاصلاحية . و استفاد من الأساتذة الـكبار و خلفاء الشهيد أحمد بن عرفان رحمة الله أمثال الشيخ مردان على البدايونى و الشيخ سلامة الله الكشفي و الشيخ عبد الحليم الـكھنوى و الشيخ زين العابدين الإله آبادى<sup>٨</sup> ، و الشیوخ يحيى على و فیاض على العظیم آبادی و نخر الدین و الشاه غلام رسول الكانفوری ، و استفاض من مواعظ الشيخ محمد على التونى شقيق الشيخ حیدر على التونى و خليفة السيد أحمد الشهید في قنوج<sup>٩</sup> ، و قد جاءَ بـكار خلفاء السيد الشهيد رحمة الله و القائمون بأمر الجهاد و الدعوة بعده المشايخ ولايت على و عنایت على و زملاؤهم من صادقبور بمحافظة بـنه ( ولـاية بهار ) وكانت معهم زوجاتهم ذهبن لمقابلة والدتهن الـکریمة ، و أوصـاهـ الشیخانـ لـدیـ عـودـنـهـ بـقرـاءـةـ "ـ بلـوغـ المـرامـ "ـ وـ كانـ الـامـیرـ فـالـثـانـیـ عـشـرـ مـنـ عـمـرـهـ ، وـ قدـ نـفـذـ الـامـیرـ بـهـدـهـ الـوـصـیـةـ فـیـهـ بـعـدـ وـ شـرـحـهـ بـاسـمـ "ـ مـسـكـ الـخـتـامـ "ـ حـینـهـ صـارـ نـاظـرـاـ لـلـمـدارـسـ فـیـ بـهـوـبـالـ وـ أـرـسـلـ نـسـخـهـ مـنـهـ إـلـىـ عـالمـ عـربـ جـلـيلـ هوـ الشـیـخـ سـعـدـ الدـینـ الـاـنـصـارـیـ الـیـنـیـ الـذـیـ لـقـیـهـ فـیـ «ـ حـدـیدـةـ »ـ عـنـدـ رـحـلـتـهـ إـلـىـ الـحـجـازـ ، وـ قدـ سـرـ بـهـ الشـیـخـ وـ مدـحـهـ بـقـصـیدـةـ طـوـیـلـةـ .

و بذلك

و بذلك ندرك أن الأمير استفاد كثيراً بعلماء عصره و تشرف بلقاء الدعاء الأجلة في صغره و خلال دراسته بياده و المدن المجاورة له كما يذكر العلامة المؤرخ الشيخ عبد الحفيظ الحسني :

« ولقي العلماء والشيوخ ، ولقي بعض خلقه السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد و دعاته وهم يعطفون عليه لأن والده من أصحاب السيد الشهيد رحمة الله ». كان السيد الأمير يذكر دائماً بفخر و اهتزاز و غبطة و سرور مجلس الشيخ الداعية المجاهد ولait على و مواعظه الحسنة و ثأثيرها في القلب و تعلقلها في سويدة قلبه و أحشائه » .<sup>١٠</sup>

و استفاد كثيراً من العارف الرباني الشيخ فضل الرحمن الكنج مراد آبادى ( ١٢٠٨ - ١٣١٣ھ ) الذي كان يتردد إلى بلدته قنوج و يشرفه في بيته و يعطف عليه وعلى شقيقه أحد حسن و يجدهما جماً ، و كان هذين العالمين الكبارين فضل كبير في علمه و فضله و خدمته و فكره وأعماله الإصلاحية و التعليمية و التوجيهية في حياته المقبلة كما سيأتي .

لقيه واحد من أصدقائه في مدينة « كانبور » هو القاضي كلو و شجعه بإن يرحل معه إلى دهلي عاصمة الهند - منذ القدم إلى الآن وكانت دائماً عاصمة دولة العلم و الفضل و الدين ، و مركز الثقافة و الحضارة و المدينة - لينهل من مناهلاها العلمية الصافية النقية ، و يستزيد من العلم و الفضل ، فرضى أن يرافقه و ذلك عام ١٢٦٩ / ٥ ١٨٨٢ م ، و نزل ضيفاً على العلامة القاضي بشير الدين القنوجي ( م ١٢٩٥ھ ) من بلده وقرأ عليه بعض الكتب العربية و استفاد منه ، ثم نقله الإمام الحق العلامة الأديب صدر الأفضل الشيخ صدر الدين خان بهادر ( ١٢٠٤ - ١٢٨٥ھ ) مفتى القارة الهندية آنذاك - إلى بيته ، و من ثم إلى دار الأمير مصطفى خان بهادر

( ١٢٣١ - ١٢٨٦ھ ) الذي كان قصره ببحي چتلي قبر ( سوئيواان ) و أقام الامير في دهلي عامين كاملين ، درس على سماحة المفتى : مختصر المعانى للسعد التفازانى في البلاغة كاملاً ، و شرح الوقاية ( قسم العبادات ) و الهدایة ( قسم المعاملات ) في الفقه الحنفى والتوضیح و التلویح في أصول الفقه ، و القطبی و میر قطبی كاملین و سلم العلوم للحب الله البهاری و شروحه ملا حسن و حمد الله و القاضی مبارك و ملا جلال في المنطق ، و الصدرا لصدر الشیرازی إلى بحث ما يعم الأجسام ، و الشمس البارزة و شرح المواقف إلى بحث الوجود و میر زاهد إلى مذهب المنصور في الفلسفة ، و شرح المطالع و تحریر اقلیدس في الاقلیدس و المقامات الحریریة و المقامات الهندیة ، و بعض الأجزاء من الحماسة لأبی تمام و النصف من دیوان المتنی و المعلقات السبع في الأدب العربي ، و شرح العقائد النفسیة للسعد في علم الكلام ، و تفسیر البيضاوی ( البقرة ) و أربعة أجزاء من الجامع الصحيح للإمام البخاری فرامة و البقیة ساماعاً .

وقرأ الامير علوم الحديث على الشيخ زین العابدين بن محسن بن محمد السبعی الانصاری الحدیدی الیمانی ( م ١٢٩٥ھ ) و الشيخ عبد الحق المحدث البنارسی الهندی ( م ١٢٨٦ھ ) تلمیذ الإمام الشوکانی ( م ١٢٧٦ھ ) . كما نال إجازة في علم الحديث من الشيخ يحيی بن محمد الحازمی قاضی عدن في ١٢٩٥ھ ، و العلامة السيد نعیان خیر الدین الالوسی مفتی بغداد في ١٢٩٦ھ ، و القاضی الشيخ حسین بن محسن الحدیدی الیمانی شقيق الشيخ زین العابدين ، و الشيخ محمد يعقوب الدهلوی سبط الشيخ المحدث عبد العزیز الدهلوی في عام ١٢٨١ھ <sup>١١</sup> ، و لما أتم ستین کاملتين في دهلي ، استأذن أستاذه و مرییه سماحة المفتی صدر الدين للعودۃ إلى الوطن ، فنحوه إجازة و شهادة

بخط يده و ختمه باللغة الفارسية الرابعة في الهند بذلك الحين ، وقد سجلها الأمير في كتابه «سلسلة العسجد» ، وهو بالفارسية ، وأن ملخص ما كتبه سماحة المفتى هو «أن الشيخ صديق حسن القنوجي صاحب ذكاء سليم ، قوى الذاكرة ، صحيح الفهم للكتب ، وحصلت له ملكة رائعة لاطلاعه ودراسة ، وقد فرأ على التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والمنطق والحكمة والعقائد والأدب واستفاد من فائدة تامة ، وهو يتمتع على أقرانه وأترابه بفهمه وبصريته وذكائه وبره وسعادته وحسن خلقه ونبالة فكره وصفاء عادته وحياته واحتشامه بارك الله تعالى فيه» .  
 استطاع الأمير أن ينفع باقامته بدهلي اتفاعاً تاماً ، ويغرس في ذهنه وفكرة غرس العلم والدين ويركز العلوم المتعددة في ذاكرته وشعوره وحسه ، ويملاً قلبه بالإيمان والإذعان واليقين والثقة على الله ثم على النفس ، وما لا يشك فيه اثنان بأن هاتين الستين من عمره اللتين قضاهما في دهلي ، كانتا نقطة تحول في حياته ، فقد تضلع فيها بعلم جم وثقافة واسعة وتجربة عظيمة وخبرة حكمة في كل ناحية من نواحي الحياة العملية والدينية والسياسية والحكومية ، فكانت مدينة دهلي كما ذكرنا مركزاً حيوياً خطيراً لجميع مجالات الحياة ، وكان يقول رحمة الله : «لولا الستنان طلك النعمان» . نسخ بهذه المدة بعض الكتب كترجمة منبهات ابن حجر المكي الأردية ، والحل المتنين والأربعين في أصول الدين للإمام أبي حامد الغزالى ، وألف شرح مختصر الميزان باللغة العربية ، وكان يلقى دروساً على بعض الطلبة الذين يتعلّقون حوله أحياناً ، وتلقى بعض الآسانيد العلمية التي تصل بعضها إلى الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوى بواسطة وسجلها في كتابه «سلسلة العسجد» ، وورد كل مجلس على

و محفل اجتماعي و سط هفافي و محيط سياسي و منهل من الجميع و استفاد و لقى كثيرا من كبار علماء عصره و الأمراء و الرؤساء و ولادة الأمر و أولياء العهد لدولة المغول ، و تشرف بزيارة الملك المغولي الأخير أبي ظفر محمد سراج الدين بهادر شاه ( م ١٢٧٨ هـ ) و ابنه خفر الدين بهادر ، و صحب المفكرين و المحدثين كالشيخ سيد نذير حسين الحدث الدهلوى المعروف بـ « میات صاحب » ( ١٢٢٠ - ١٣٢٠ هـ ) ولم يستفد منه إلا قليلا ، و الشيخ فيض الحسن السهارنbori الذى كان زميلا بحلقة المفقى صدرالدين خان و الشيخ فضل حق الخيرآبادى و يتمتع بنفحات زاوية الميرزا مظهر جانجوان الشهيد ( ١١١٣ - ١١٩٥ هـ ) و يقطف من ثمار روحانية الشيخ أحمد سعيد ( ١٢١٧ - ١٢٧٤ هـ ) و الشاه عبد الغنى ( ١٢٣٥ - ١٢٩٦ هـ ) في نفس الزاوية و استفاد من مجالس الشعراء السكبار للغة الأردية في ذلك العصر ، أمثال ملك الشعراء الشيخ إبراهيم ذوق الدهلوى ( ١٢٠٥ - ١٢٧١ هـ ) و الشيخ إمام بنخش الصبهانى و الميرزا أسد الله خان العالب ( ١٢٨٥-١٢١٢ ) الذى دخل في مجلسه مرة بدون موعد ، فتهلل وجهه بشرا و استشهد بالمثل الفارسى السائر معناه « تفضل إليها الآخ و شرف » ما الذى أتقدم به إليك أيها الشريف احتفاء بك ، ثم قال : إننى استضيفك بقصيدة قرضاها بطلب من البلاط الملكى ، و هي قصيدة طويلة معروفة . للشاعر الكبير ، فكان السيد الأمير يقرأ هذه القصيدة و يذكر هذا المجلس بحب و لطفه و حنان طيلة حياته ، و يستعيد ذكريات إقامته بدھلی و يطرّب و يهتز و يتغنى بها<sup>١٤</sup> :

سوق الله وقتا كنت أخلو بوجهمك و شغري الهوا فى روضة الانس ضد حنك  
أقنا زمانا والعيون قريرة وأصبحت يوما و الجنون سواكب  
عاد الأمير بعد أن قضى ستين فى العاصمة ، وكان عمره إذ ذاك واحدا

وعشرين سنة ، إلى بلده « قنوج » ، ولم يستطع الإقامة فيها إلا أشهراً ، لأنه لم يكن في البيت رجل يكفل العائلة ويقوم بشؤون البيت ، فوُقعت عليه المسؤولية ، وذكره ذلك بأسى وحزن ويتآلم في كتابه « روض الخصيب » و « إبقاء المتن » ، وعقد العزم على أن يخرج من بلده عملاً بقوله تعالى : « فامشو في مَا كَبِّهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ » ، وارتحل في ١٣ / رجب ١٢٧١هـ إلى إمارة بهو بال المسلمة التي سمع عنها كثيراً من جاره « محمدى » ، الذي كان يسكن بحارته .  
إمارة بهو بال :

ويجدر بنا أن نعطي القارئ الكريم فكرة مؤجزة عن إمارة بهو بال الهندية التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ المسلمين بالهند ، فقد كانت قرية صغيرة بين بحيرتين قد أنشأها ملك هندي « راجه بهوج بال » بناءً سد على هاتين البحيرتين عام ٤٠٩هـ / ١١٨٥م وسماها « بهوج بال » باسمه ، و « بال » معناه « الجسر » في اللغة المحلية ، وسقطت « الجيم » بكثره التداول وثقلها على النطق فصار « بهو بال » وسميت فيما بعد الإمارة بهذا الاسم ، وهي في وسط الهند تحوى على سبعة ، سكانها أكثر من مليون ، وهي الآن بعد الاستقلال ولاية من إحدى ولايات البلاد تسمى « مدھیہ پردیش » ، وجعل في مدينة بهو بال باسم « تاج المساجد » امام قصرها « تاج محل » لا يحول بينهما إلا بحيرة صغيرة ماؤها عذب فرات ، كانت تود أن يكون هذا المسجد من أكبر المساجد وجامعة للعلوم في آسيا ، خصصت له أراضي واسعة وميزانية ضخمة ، ولكن المنية عاجلتها قبل بلوغ أمنيتها ، فبقى الجانب الذي لم يكمل وهو معظم المسجد ينتظر عملاقاً يبرز ويتقدّم ويكمّل هذا العمل الجليل ، فقد تغافلت عنه ابنتهما التي خلفتها في الحكم هي الأميرة سلطان جهان وابنها الأمير حميد الله

مع أن بعض المؤمنين الخاصين لفتوأ أنظارهم إلى إمام المسجد ولكن قدر الله عز وجل أن يكون هذا العملاق هو الشیخ محمد عمران خان الندوی و تتحقق على يده الکریمة تلك الأمانیة النیلۃ الجميلة التي عاشت لها الأمیرة فاعجلتها المنیة قبل أن تتحقق بصورتها التي أردات لها، فقد قام الشیخ عام ١٣٦٨ / ١٩٤٨ م و شمر عن ساق الجد تحت إشراف العلامة السيد سليمان الندوی رحمة الله، لتأسيس مدرسة باسم دار العلوم في ساحة « تاج المساجد » المهجورة إكال هذا المسجد، وكاد أن يكتمل وهو من أروع المساجد وأجلها في العالم، وبدأت دار العـلوم التي تأسست في هذا المسجد، تؤدي رسالتها الإسلامية الخالدة، و تنشر العلم والدين، و يعقد في باحة هذا المسجد الواسعة الفسيحة اجتماع عظيم بجماعة الإصلاح والتبلیغ سنوياً، يأتي إليه الناس زرافات و وحدانا من كل جانب و صوب، ومن كل ناحية و ارجاء الهند و من خارجها أيضاً، هكذا بقیت مدينة بهوبال تؤدي رسالتها العظيمة في الدعوة والاصلاح و نشر العلوم والثقافة و الحفاظ على التراث الإسلامي المجيد .

حياته الاقتصادية، والجهد للوظيفة والمعاش :

تحدثنا سابقاً بأن الأمیر لما عاد من دھلی إلى الوطن، وقعت على كاهله الضعف مسؤولية البيت ومصارفه، وكان حالة العائلة الاقتصادية ضعيفة للغاية، ارتحل لطلب الوظيفة ليعيل أسرته التي لم يكن لها عائل غيره، إلى إمارة بهوبال التي عرفنا جيداً بأنها كانت حينذاك موئل العلما و الصلحاء، و مأوى أصحاب الحاجات والأرب، و مركز أصحاب العلم و البحث و الفضل، فوصل إليها في ٢٥ يوماً واستأجر بيته و سكن فيها، و بدأ يذكر في الوصول إلى الأمیرة المعظمة سکندر جهان بیگم،

(١٧) ولم

ولم يكن له ناصر وزعيم ولا صديق حسيم بهذه الغربة ليأوي إليه و يستنجد به و يتوسط له لدى الأميرة و الحكام الآخرين<sup>١٦</sup>، فاستخار الله تعالى و تقدم يطلب - ثقة بالله و متوكلا عليه ، شرح فيه أحواله و كفأاته و صلاحياته - إلى النائب الأول و مدار المهام (رئيس الوزراء) للإماراة الشيخ محمد جمال الدين ، وكان من حسن حظه بأن الشيخ على عباس الجرياكوئي كان جالسا عنده و كان يعرف الأمير و والده الفاضل ، فتوسط له وأيد طلبه تأييضا قويا ، كان الشيخ جمال الدين بمحنة منصبه الرفيع و جاهه الكبير و ثروته الطائلة ، رجلا صالحا محبا للخير والبر و المعروف ، و شفوفا على المحتاجين ، و مقدرا للعلم و الفضل سخيا جوادا ، لا تزال الولاية تذكر جوده و سخاءه و بره و خيره ، معروفا بأخلاقه الكريمة بين الناس و محبا في البلاد ، سلف العقيدة ، شديد التمسك بالكتاب و السنة و طريقة السلف الصالح ، لا يخالف في الله لومة لائم<sup>١٧</sup> ، قدم طلب السيد صديق حسن إلى الأميرة و توسط إليها يزكيه و يمدحه و يصف علمه و فضله و أخلاقه و نبله و نسبه ، فطلبته على الفور ، وكان الوقت ليلا و ذهب رجال البلاط وأعيان الدولة وبق خاصة الخاصة من رجال الحكم ، فلما جاءها رحبت به ترحيبا حارا و ألقى عليه بعض الأسئلة و تحدثت معه في كثير من الشؤون العلمية و السياسية ، و سرت بأجوبيه و لياقته ، وأقبلت إلى رئيس الوزراء قائمة : كان الشاب جديرا بأن يعيش في كنفي - أى كانت أحبت أن تختره زوجا لبنتها الوحيدة « شاه جهان ييكم » ، ولية العهد ، ولકنى أتأسف بأنها خطبت و صدر قرار من الحكومة الإنجليزية بزواجها مع رجل آخر<sup>١٨</sup> ، خطرت هذه الخاطرة في قلبها ولم تكن تعلم بأن الله عز و جل سيحقق أملها هذا بعد ١٦ عاما ، ثم طلبته السيدة الأميرة في اليوم الثاني وقت الضحى ،

واحتفت به أكثر من اليوم الأول، وأصدرت بأن يعين الشيخ صديق حسن في ديوانها الخاص كتاباً براتب ثلاثين ريبة، في أول رمضان سنة ١٢٧١هـ وعمل الأمير بحمد واجتهاد واخلاص ووفاء، وكان الشيخ بطبيعته داعياً دينياً فقام بالوعظ والارشاد كل يوم الجمعة في «مسجد إبراهيم خان».

تذكر الشيخ ذات يوم الوطن والبيت والوالدة والإخوة، فاضطرب واشتاق إليهم وخطر أن يرجع البلد، وكان الراتب قليلاً لا يكفي والخنان شديداً لا يختفي وقاد أن يقدم الاستقالة إلى الأميرة، ولكن الرجل يفكر والله يدبر، شاء الله أن ينجد عبده، كان بعمله الجسدي وخدماته الدائبة وأخلاقه الكريمة النليلة افت أنظار الأميرة إليه واطمأنت به، ورفعته إلى رتبة أعلى وازداد بها راتبه إلى ٤٠ ثم إلى ٥٠ ريبة، وشعرت الوظيفة هذه باقالة الشيخ عبد العلي خان بن الشاعر الهندي المعروف «ميان مسکین»، لخطاء صدر منه وشرفت الأميرة الشيخ صديق حسن بتقديمه خلعة السكّاب كان ثمنها ١١٥ ريبة في ذلك الحين في سنة ١٢٧٢هـ، ولكن سرقت هذه الخلعة في الطريق فكان يتأسف عليها كثيراً، وبعد مدة من الزمن رجع الشيخ عبد العلي إلى منصبه لأن الأميرة سماحت عنه فعاد السيد الأمير إلى منصبه الأول.

كان السيد الأمير شاباً حديث العهد بالدراسة فكان يحب أن يتسع في العلم بالبحث والتحقيق والمناقشة في المسائل والقضايا الفقهية ولم تحصل له حركة وتجربة الحياة المعقّدة والتعمق في التفكير عن النتائج، فعرض عليه بعض الناس أن يناقش الشيخ على عباس في مسألة «تدخين النار جيلة»، الذي كان الشيخ يراه مكروهاً والأمير يبيحه، فأدت المناقشة إلى غضب الشيخ وسخطه<sup>١١</sup>.

وذكر السيد الأمير هذا الحديث بتأمل وأسف ما ترجمته<sup>٢٣</sup> :

«لأجل بعض الأصدقاء صدرت مني هذه المناقشة مع الرجل الذي أحسن إلى وأسدى إلى معرفة بأن كان قد توسط لي الوظيفة في الإمارة، أساءت بها إليه وأنقضبته وسببت إقالتي وعطلي عن العمل».

قرر السيد صديق أن يعود إلى الوطن بعد الأقالة ضاربا بالمثل السائر «الدنيا غور ونجد، لا راحة للؤمن فيها ولا مجد»، وخرج من بهو بال في ١٩٦١ / ١٢٧٣ م، ومرض في الطريق، و كان معه خادم يحمل متساعه وزاده على بعلة فهرب بها على غفلة منه، ففي وحيدا لا زاد ولا متع، ووصل عن طريق كانبور إلى بلده قنوج، و التقى بالوالدة، و حمد الله على ما أصيب به من المحن والفتنة، وقال: «النصيب يصيب»<sup>٢٤</sup>.

كانت حالة الأسرة الاقتصادية سيئة للغاية، تعيش في ضيق وضنك وقد ازدادت سوءا وضعفا بعد عطل السيد الأمير عن العمل، فلم يقر له قرار في الوطن، وعقد العزم على الرحيل إلى بلدة كانبور القرية من بلده طلبا للوظيفة، ولكن لم يستقر به المكان حتى نشب الثورة الكبرى (١٢٧٤ / ١٨٥٧ م) خلاف الإستعمار الإنكليزي، و اشتعلت بسرعة هائلة و انتشرت كذار الغابة من أقصى الهند إلى أقصاها. ففكرا في العودة إلى «قنوج» ليشارك أهل بلده في هذه المحنـة و الفتنة و السـفاح، و ذكر هذه الثورة و ويلاتها في كتابه «الروض الخضـيب» بحزن بالغ و حـمية و غيرـة دينـية و وطنـية، و كان بلـده بعيدـا عن الثـورة و كانت شـكـة لـفرـقة من الجنـود الثـائـرين بـقربـه من مـحافظـته فـرـخـ آبـادـ، فأـغـارـ عـلـيـهاـ الإنـكـليـزـ و عـلـىـ المـدنـ و القـرىـ المجـاـوـرـةـ لهاـ و عـاـثـواـ فـيـهاـ الـفـسـادـ و الـقـتـلـ و الـفـتـكـ و الـتـدـمـيرـ، فأـشـارـ عـلـيـهـ بـعـضـ مـرـيـدـيـ والـدـهـ و تـلـامـذـتـهـ بـأنـ يـتـحـولـ مـعـ الـأـسـرـةـ إـلـىـ

مدينة « بلسکرام » المعروفة برجال العلم و الفضل و أصحاب المؤلفات الكثيرة ، وكانت تقع على الشاطئ الآخر من نهر « کنج » ، فركب السفينة هو و والدته وأخواته واستأجروا بيتا صغيرا وعاشوا عيشة ضيقة ، فقد نفد ما جاموا به من الامتعة والأغذية ولم يبق لديهم إلا اليسر ، ومن الملابس ما كان على أجسادهم وهي تمزقت ، و كانوا يغسلونها بأيديهم ، و حدث مررة بأن السيد صديق حسن ذهب إلى النهر ليغسل ثيابه و يغتسل ، و لما خلع ثيابه و غاص في النهر لينغتسل مرت بنفس الوقت فرقة من الثوار الوطنيين فحسبته انكلزيزا بماله و ياضن وجهه و جسده ، فصوبت إليه البنادق إذ رأه عمة البلد ، و كان يعرفه جدا فصاح بهم أنه فلان ابن فلان لا تقتلوه ، فلما ثبتوا جدا بعد التحدث معه تركوه و راحوا ، فحمد الله عز وجل على براءته ، و قررض قصيدة طويلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم في اللغة العربية ، و سماها « القصيدة العنبرية في مدح خير البرية » ، أذكر أبياتا منها :

اخترت بين أماكن الغراء دار السكرامة بقعة الزوراء  
هل لي مكان فيه أطلب راحتى من دونها في البر و الدمام  
ما فضلها فوق الموضع كلها إلا لعرف فاح في الأرجاء  
قلبي يطير إلى طيور مروجها  
بابي بلا قعها التي فاقت على  
كيف الوصول إلى منازل طيبة  
إني عشقت على إقامة طابة  
ليس البلوغ بأرضها في قدرنى  
شنان بين الهند و الزوراء  
كيف الذى يرجو نزول ربوعها  
إن بات جسمى نازحًا عن أرضها  
فالقلب فيها عمدة الوكالء

ولقد ثملت بفتحة أنسية من روضة محفوفة بيهاء  
نفسى الفداء لتربة قدسية فيها نبى سيد البطحاء  
طوى لها من حيث حل يسوحها نور تجلى فوق سبع سماوات  
أشار السيد الامير في هذه القصيدة الغنبرية إلى زيارة النبى صلى الله عليه  
وسلم في منامه واعتنى بحاله الرسول الاكرم وتحدى إليه وأعطاه رمانتين،  
أول بهما الامير أنه سيحظى بزيارة الحرمين الشريفين، وقد عبر عن  
عواطفه الجياشة .

وقد اغتنم الامير فرصة إقامته في « بلكرام » بدون عمل <sup>١</sup> أن بدأ  
بحفظ القرآن الكريم أول رجب ١٢٧٤ هـ وأتم حفظه بمدة قصيرة ،  
وشكر الله تعالى على هذه الملة العظيمة <sup>٢</sup> .

الثورة الوطنية معروفة ببلادنا بثورة ١٨٥٧ م - ١٢٧٤ هـ ، كانت  
محاولة الهنود لطرد الإنكليز من الهند ، ولكنها أخفقت ، لقى الهنود على  
أثرها باضطهاد وتعذيب وتشديد واعدام وجلاء عن البلاد ، وال المسلمين  
خاصة ، لأنهم كانوا قد ذي في أعين الاستعمار ، فقد قاوموا الإنكليز منذ  
أول يوم شعرووا بخطر الإنكليز ، وثاروا ضد قوانينهم الجائرة ومشاريعهم  
المعادية لعقيدتهم ، فعند ما أصدر الآباء اليهودى دى ، أيد مند أو امره إلى  
موظفي البلاد : أن الهند صارت الآن تحت نظام واحد هو نظام الإنكليز  
فيجب أن يكون الدين واحدا أيضا ، و ذلك عام ١٨٥٥ م ، فغضب المسلمين  
من هذا الأمر ، و عاهد العلماء المسلمين على أن ينقذوا قومهم من هذه  
المخنة ، وقد نجحوا في هدفهم ولو أنهم قدموه له تصحيات كبيرة ، فلم  
يقبل المسلمون إلى المسيحية إلا قليلا نادرا ، وأما الهنداك فدخلوا فيها بكثرة  
و استجلبوا عنابة الإنكليز و تولية المناصب الكبرى في الحكم ، و حرم المسلمين

منها إلى مدة طويلة، نشبّث الثورة بأمر بسيط هو أن الهند سمعوا بأن «الطلقات» التي يقدمها الإنكليز تصنع من شحم البقرة أو الخنزير و كان يجب عليهم أن يفتحوها بأفواههم فرفض المسلمون والهندوسيون على السواء في ٩ / ٥ / ١٨٥٧ م، وكانت أول كتيبة رفضت تتشكل بـ ٨٥ جندياً فوكموا محاكمة عسكرية و جردوا من الثياب وألقيت في أرجلهم الأغلال وزجوا في السجون، فثار الجنود، و انتشرت نار الثورة في البلاد، و كان آخر الملك المغول «بهادر شاه ظفر» في القلعة الحمراء يعيش كسجين، ليس له حول ولا طول، فأراد الهندوسيون جعله قائداً أعلى للقوات المسلحة الوطنية، و جاء إليه الجنرال «بخت خان» يرجوه الخروج من القلعة و تسلّم القيادة، ولكن الملك كان يهرف جيداً بأن النجاح غير مأمولة، فقال له:

”أيها البطل، إني أؤمن بأنك صادق في قولهك، وأحب رأيك وأقدره من قلبي، ولકنى أفوض أمرى إلى الله، دعنى على حالى، و توكل على الله وحده، اذهب من هنا و برهن على الناس بأنك بطل، إن لم أستطع أنا ولا واحد من أسرتى فلتكن أنت وسواك يحافظ على كرامة الهند و مجدها، لا تفكّر عنى، و قم بواجبك“.

خرج الجنرال بخت خان والجنود الأبطال، و الشیخ أحمد الله شاه وكثير من العلماء والمجاهدين معه، و قاتلوا الإنكليز فتلا شديداً، و كاد الإنكليز أن يخسروا المعركة، ولكن الخيانة قلب الأمور على أعصابها، و وقع المجاهدون صرعى في ميدان الحق والحرية، و من هنا بدأ ثأر الإنكليز، فقتلوا أبى الملك المغولي شاه ظفر: الميرزا مغل و الميرزا اخضر سلطان و حفيد الملك الميرزا أبو بكر، و قدموا رؤسهم في طبق إلى الملك هدية، فأدار وجهه عنهم وقال:

هكذا

” هكذا كان أبناء تيمور يأتون إلى آباءهم بدم من البطولة ،  
ولله الحمد والله الحمد ” .

و نفوا الملك إلى بورما و مات في عاصمتها رنكون موت الغرباء والأشقاء ،  
و أقيمت محكمة الاعدام على مفترق الطرق و الشوارع والأزقة . في كل  
بلد و قرية ، و قامت مجزرة رهيبة قل ما شهدتها التأريخ ، قتل فيها المسلمون  
بمئات الآلاف ، هتك الأعراض ، أريقت دماء الأطفال والنساء والعجز ،  
لا يعرف عددهم إلا الله وحده ، وأرسل المشير لورد رابرتس إلى والدته  
مكتوبا في ٢٠ / ٥٧ م يقول فيها : « إن عقوبة القتل المؤثرة ، هي نصب  
الجانى على فم المدفع و اطلاقه ، انه لمنظر رهيب جدا ، ولكتنا لا نستطيع  
التجنب عنه حاليا ، ان هدفنا الوحيد هو أن نبرهن على هؤلاء « المسلمين  
الاشرار » بأن الانكليز يقون حكام الهند و مالكيها بنصر الله ، انه  
لحنة من مظالم الاستعمار على المسلمين في الهند خاصة و الهند عامة ولا يسعني  
المجال هنا لأسباب في الكلام عن هذه الثورة وهي أدهى وأمر . »

الرحلة إلى مرزا بور و تونك و العودة إلى بهوبال :

سمع الأمير بأن نار الفتنة خمدت ، وعادت المياه إلى مجاريها وبردت  
سورة النار للإنكليز وعم السلام بالبلاد ، فرجع بأسرته إلى « قنوج » ،  
ولكن الحياة الضيقية لم تدعه هانى البال ، فشد الرحل في ١١ / ١٢٧٤ هـ  
إلى مرزا بور ، و أقام عند واحد من معارف والده الشيخ أكبر على خان ،  
فاكرمه و أقامه ضيفا في بيته ، وصادفه الحظ بأن تلق طلبا من الأميرة  
سكندر جهان ييكم ، وكانت الأمطار الغزيرة تنزل متواصلة فوصل إلى بهوبال  
بعصوبه و تأخر عن الميعاد و اتصل بالشيخ جمال الدين ( مدار المهام ) و قص  
عليه ما لقى في الطريق من المصاعب ، فحزن الشيخ و ذهب به على الفور

إلى الأميرة وحكي لها ما جرى معه ، ولكن الحساد كانوا قد وجدوا الفرصة لإثارة غيظ الأميرة بتأخره فأبى أن تتيح له العمل بل أصدرت الأمر لغادرته الإمارة بأول فرصة ، فرأى السيد الأمير الدنيا ضاقت عليه بما رحب ، ولكن اليأس لم يتسرّب إلى قلبه ، وقرر بأنه سيذهب إلى إمارة تونك المسلمة موئل المجاهدين ومثوى العلماء والغزا ، وقد لاذ بها أصحاب السيد أحمد الشهيد رحمة الله عليه وفلول جيشه ، وكان منهم من يعرف والده ، فلما دخل بلدة تونك ، رحب به كثير من الناس ، وكان أمير البلاد محمد وزير خان من خيرة المؤمنين يقدر العلماء وكان يعرف والده ، فقدم له وظيفة براتب قدره خسون ريبة ورجاه أن يقيم لديه ، ولكن الجو لم يلائم فطلب بعد مدة إجازة من الأمير لأربعة أشهر ، وفي خلال هذه المدة استلم رسالتين من إمارة بهوبال : إحداهما من الأميرة و الثانية من الشيخ جمال الدين ، يطلبان قدومه إلى بهوبال لتسليم منصب ، فسر الأمير بهذا النباء ، لأنّه كان يرى في إمارة بهوبال مجالاً واسعاً للعمل العلمي وميداناً فسيحاً للدعوة والإصلاح والبناء ، وأخير من ديوان أمير تونك بأن طلبه للإجازة قبل ، فارتاح إلى بهوبال فرحاً مستبشرًا ، بل فائزًا متصرّاً وقد أقبلت عليه الدنيا وهي راغمة وكان زاهداً فيها ، فاستغلها للدعوة والإصلاح ونشر العلم والدين .

وفرض إليه أمر تأليف تاريخ بهوبال براتب ٧٥ ريبة شهرياً ، وكان ذلك أول نواة للعمل المشرّف المستقبلي ، بجد واجتهاد ونال عطف الأميرة وعانتها به ، فكتب إلى الأمير وزير الدولة يعتذر عن عودته إليه وأرسل مع الرسالة مؤلفه الجديد « تحفة الفقير » هدية إليه تقديرًا وحباً وإكراماً للأمير المجاهد المؤمن ” .

## زواجـه الأول :

سلم السيد الوظيفة . وبدأ يبذل جهده الكبير لتأليف تاريخ بهو بالتنسيق جديد وبأسلوب رشيق ، فاسترعى انتباه الأميرة ولفت أنظار الشيخ جمال الدين النائب الأول للإمارة ، بمحبه و جودة عمله و أمانته ، وقد كان الشيخ مقدرا له بكفاءته و مواهبه ، و علمه و عقيدته السليمة ، فأراد ضمه إلى أسرته وتزويجه مع ابنته الارملة ، التي فقدت زوجها منذ مدة ، وكانت عالمة تقية مؤمنة . وكان زواج الأرامل في بلادنا شوئما ، حتى في الأسر العلمية ، وقد أنهى هذا التقليد السيد أحمد الشهيد رحمه الله فأراد الشيخ عملا بالآية الكريمة "فانكحوا الآيات منكم ۰۰۰" واتبعا بالسنة المطهرة فعرض على السيد الأمير هذا الأمر ، فرضي السيد بالطلب بإحياء للسنة ، وعقد الزواج يوم الجمعة ٢٥ / من شعبان ١٢٧٧هـ ، في جمع من الأمراء والعلماء ، وألقى الشيخ جمال الدين خطبة رائعة عن النكاح الثاني و تزويج الآيات <sup>٦</sup> .

## الشيخ جمال الدين النائب الأول للإمارة بهو بال :

وأحب أن أذكر بالمناسبة نبذة من حياة الشيخ جمال الدين خان وخدماته و تشجيعه للسيد الأمير لنشر رسالة الدين و العلم ، و مد يد العون لترقيته إلى المناصب الكبرى في الإمارة ، ولد الشيخ في قرية «كوتانه» بقرب من دهلي عام ١٢١٦هـ / ١٨٠١م في أسرة تتبع إلى سلالة محمد بن أبي بكر رضي الله عنه ، قضى طفولته في كنف والديه ، و نال الدراسة الابتدائية في القرية ثم ارتحل إلى دهلي لينهل من مناهلها العلمية ، فكث عند سيدة كانت بينها وبين والدته معرفة و صداقة متينة ، فكانت تعطيه ثلاثة رية شهرياً للتعليم و المعاش ، و انضم إلى حلقة الشيخ علوك على المدرس بالمدرسة الإنكليزية آنذاك ، و اواكب على حضور مجالس الوعظ و الدرس للشاه عبد العزيز المحدث نجل الشاه ولـي الله الدهلوى و أكب على الدراسة

و الاستفادة ب تمام الجد والاجتهد ، و لكنه كان في ريعان الشباب فصادق بعض شباب السوء ، فبدؤا يقضون معه وقتا طويلا يلعمون الشطرين والزند والالعاب الأخرى شغله عن التعليم والدين و صادف أن ماتت السيدة التي كانت تتفق عليه ، وأصابه هو أيضا مرض شديد جعله طريح الفراش ، فهجره أصدقاؤه أولئك في هذه الأزمة ، وبقى وحيدا يسب حظه و نصيه .

وبما أن الشيخ كان يداوم حلقة الشاه عبد العزيز الدهلوى فقد له مدة فسأل عنه ، خبره رجل كان يعرفه : أنه سريض ، فذهب لعيادته ، وأعانه و لقنه الصبر والطمأنينة ، فتأثر به الشيخ كثيرا و تاب عن زلاته ، و انهمك في الدراسة ، وقرأ على أنجال الإمام الدهلوى الشاه عبد العزيز و رفيع الدين الدهلوى وأتم دراسته على الشيخ إسحاق والشيخ يعقوب ، وكان يحضر محافل الشعراء مؤمن خان مؤمن وإبراهيم ذوق والشيخ صهباي ، ثم خرج يطلب الوظيفة ، وتوظف في مكتب وكيل المندوب البريطاني بمحافظة « اندور » براتب قدره ١٥ ريبة ولكن لم يعجبه المكان ، فطلب رسالة وساطة من الشيخ رفيع الدين الدهلوى إلى الشيخ إسلام الله خان الذي كان مقينا في بهو بال ، فرحب به وأسلمه رسالة إلى الأميرة « قدسية ييكم » أميرة البلاد ، توسيط له بوظيفة ، فرفضت الأميرة إتاحة العمل له على أساس أنه ليس من مواطنى الإمارة ، وكانت تميز بين الوطنيين وغير الوطنيين ، فأرسله مرة ثانية إلى ولية العهد « سكيندر ييكم » بر رسالة قال فيها : « إن هذا الرجل سيف يقطع بين بهو بال و لندن ، فتأثرت بالكلمة ولية العهد كثيرا ، فقدمت له وظيفة صغيرة ولكنه بجهوده المتواصل و عمله الدائب ، تقدم إلى المناصب الكبرى إلى أن وصل إلى كبرى المناصب وهي النائب الأول للإمارة في عهد الأميرة سكيندر ييكم عام ١٢٦٣ھ / ١٨٤٦ م ، وكانت تثق به كثيرا لاماته و وفاته ، خطط للإمارة نظاما محكمة متستقة على أسس

جديدة ، تقدمت الامارة تقدما ملموسا فاقت الامارات الهندية الأخرى في الاقتصاد والسياسة ، والسلام والرفاية ، ففتحته الأميرة وساما فضيا ولقب « مدار المهام » و « خانى » و « بطل » ، وجعلته أمين سرها ، وأفطعت له ضيعة دخلها أربع و ثلاثون ألف ريبة سنويا ، وضيعة خاصة له ترثها ذريته نسلا بعد نسل ، قدرها ستة آلاف ريبة سنويا ، ونال وساما خاصا من البلاط الإنكليزي على خدماته ، وكان قد أرسل مساعدة كبيرة للخلافة العثمانية بأيام الحرب مع روما وروسيا ، فشرفه السلطان عبد الحميد خان وساما مجيديا بالرتبة الثالثة ، وهكذا نال ثقة الإمارة والحكومة الإنكليزية والخلافة العثمانية ، وكان الناس يحبونه كثيرا لخدماته الجليلة ومكارمه الحميدة ، كان الشيخ موحدا سلفي العقيده متمسكا بأحكام الدين وواجباته ، وكان شفوقا بنشر السنة وأحكام الدين ، فجمع الكتب الدينية ودعا العلماء للإقامة في الإمارة لبث التعليم والخلق النبيل في ربوع الإمارة ، وأسس مدرسة في قصره « موتي محل » عين منها ورواتب للطلبة والأساتذة من جيده الخاص ، وكان يلقى دروسا بنفسه في المدرسة ، ودرس القرآن خاصة ، وقرات عليه الأميرة شاه جهان ييكم وسلطان ييكم وبسطاه فور الحسن وعلى حسن خان ابن السيد ، كان محبا لبيت الشاه ولـ الله الـ دهـلوـي مـقدـرا لـخدمـاتـهم لـلـاسـلام وـالـأـمـة ، فيـهم بـنشرـ أفـكارـهم وـكتـبـهم ، نـشرـ كتابـ الإمامـ القـيمـ « حـجـةـ اللهـ الـبـالـغـةـ » ، أولـ مرـةـ سنـةـ ١٨٦٩ـ مـ /ـ ١٢٨٦ـ هـ ، وـأـلـفـ هوـ كـتابـ عنـ معـانـيـ القرآنـ باـسـمـ الكـوكـبـ الدـرـيـ » ، كانـ الشـيخـ بـجـانـبـ مـيزـاتـهـ هـذـهـ سـخـنـاـ ، مـضـيـافـاـ ، مـتـخلـقاـ بـأـخـلـاقـ نـبـوـيـةـ ، فـلـمـ يـكـنـ يـأـكـلـ وـحـدـهـ ، بلـ يـجـتـمـعـ عـلـىـ سـفـرـتـهـ عـدـدـ كـبـيرـ مـنـ الضـيـوفـ وـالـاصـحـابـ ، وـكـانـ يـنـفـقـ كـثـيرـاـ مـنـ دـخـلـهـ عـلـىـ الـأـيـتـامـ وـالـأـرـاملـ وـالـمـساـكـينـ وـمـطـاعـمـهـ وـفـيـ رـمـضـانـ خـاصـةـ ، حدـثـ ذـاتـ مـرـةـ بـأـنـ جـاهـ مدـيرـ المـطـبـخـ وـقـالـ : لـمـ

يق في ميزانية المطبخ عليهم ، فاضطر الشیخ و بدأ يفكّر ، إذ سمع صوتاً يدق الباب فإذا بساعي الأميرة و يده ٢٢ الف ریة وقال : إن الأميرة شاه جهان يیگم كانت تتصفح الأوراق فرأت ورقة عليها بقية لک منذ عهد والدة الأميرة ، فقبله مبتهجاً ، و طلب مدير المطبخ و سلمه المبلغ<sup>٦٧</sup> . ذهب لتأدية الحج مررتين : في سنة ١٨٥٧ / ١٢٧٤ م مع ابنته ذکیه يیگم زوجة السيد الأمير و أم أولاده ، والمرة الثانية مع الأميرة سکندر يیگم عام ١٢٨٠ / ١٨٦٣ م . انتقل الشیخ جمال الدين إلى رحمة ربہ في ١٢٧٤ / ١٨٦٣ م و خلف بنین و هما : رجبی يیگم و ذکیه يیگم ، والأخیرة هي الزوجة الأولى للأمير صدیق حسین خان ، وإليكم نبذة من حیاة هذه السيدة الكريمة التي لعبت دوراً هاماً في حیاته .

#### السيدة ذکیه يیگم :

كانت صغرى بنتي الشیخ جمال الدين، ربها تریة حسنة، و درسها اللغة العربية والقرآن الكريم بنفسه، و تأثرت بشخصيته و سيرته كثيراً، وأنقذت اللغة الفارسية والأردية، وكانت مؤمنة تقية، داعية للدين، مستحسنة له، كانت تجتمع النساء في بيتها و تقرأ لهن الكتب الدينية و تعظهن للتمسك بالدين، كانت بارعة في اللغة الفارسية و تحب كتابي الشیخ سعدی الشیرازی: گلستان و بوستان ، و تحفظ الحكم و الأمثال الكثيرة منها و تضرب بها في مواطنها ، ذكر ابنها الأصغر الشیخ على حسن خان بأن المندوب الإنگلیزی السيد آسبورن قدم إلى أبيه كتاب « حیاة الشیخ سعدی » باللغة الإنگلیزیة وكانت على ورقتها الأولى صورة للشیخ سعدی، فأعطاني إياه وقال لي: اذهب بها إلى أمك فانها ستسر بها، فلما رأتها فرحت كثيراً و دعت النساء لمشاهدتها و ذكرت المناسبة كثيراً من أقوال الشیخ و حکمه<sup>٦٨</sup> . تشرفت بالحج و الزيارة مع أبيها كما ذكرت، فكانت

فكانت تذكر الحرمين بحب و شوق و لففة ، زوجها أبوها مع رجل صالح ولدت له ولكن توفى عنها في سن مبكرة ، فزوجها مرة ثانية عملا بالحديث وإحياء بالسنة مع الأمير صديق حسن خان لما توسم فيه العلم و الدين و الخلق الحسن .

عاش الأمير معها عيشة هنية هادئة ، ساعدته في أعماله العلمية والحكومية ، وكانت زوجة وفية كما ذكر الأمير وقال<sup>٢٩</sup> : « إنها كانت طبقا للحديث : « تسکح المرأة لأربع مالها و جها و حسبها و دينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » ، فكانت متصفـة بأربع ، ولو أني لم أتمتع بما لها فقد أغناـي الله عنه » ، و يذكر في مكان آخر<sup>٣٠</sup> :

« كانت امرأة سعيدة ، لم أصب في حياتها بيلاء ، ومصيبة و محن ، ولما ماتت اندلعت على مصابـ و محن و آلام و أزمـات لا تقدر و لا تتصور » مرضت بوجع القدم و اشتـد و ازداد يومـا فيـومـا حتى توفـيت في رمضان عام ١٣٠١ / ٥ ١٨٨٣ م ، فحزـن على وفاتـها الـأمير كثـيرا و قال : كانت كـما جاءـ فيـ الحديث : « أـلـيـنا اـمـرـأـةـ مـاتـ و زـوـجـهـاـ عـنـهـ رـاضـ دـخـلـتـ الجـنـةـ » و قال : غـفرـ اللهـ لـنـاـ وـ لـهـ وـ جـمـعـنـاـ فـيـ دـارـ كـرـامـةـ وـ رـحـمـةـ »<sup>٣١</sup> .

و شاء الله أن يتمكنـ في إـمـارـةـ بـهـوـبـالـ وـ يـسـتـقـرـ فـيـهاـ ، وـ يـعـثـ فـيـهاـ حـيـاةـ دـيـنـيـةـ وـ عـلـمـيـةـ جـدـيـدةـ ، وـ كـانـ اـسـطـاعـ أـنـ يـتـولـ مـنـصـبـاـ كـبـيرـاـ فـيـ الـحـكـمـ فـتحـسـنـتـ حـالـتـهـ الـاـقـتـصـادـيـةـ ، فـطـلـبـ وـالـدـهـ وـ شـقـيقـاتـهـ إـلـيـ بـهـوـبـالـ ، فـاجـتـمـعـتـ العـائـلـةـ وـ عـاشـتـ عـيشـةـ طـيـةـ ، تـوـفـيـتـ أـمـهـ الـحـنـونـ عـامـ ١٢٨٥ / ٥ ١٨٦٨ م ، وـ مـاتـ الشـقـيقـاتـ الـكـبـيرـىـ وـ الـوـسـطـىـ بـعـدـ سـتـةـ أـشـهـرـ مـنـ وـفـةـ الـأـمـ ، فـحزـنـ الـأـمـيرـ عـلـىـ هـذـهـ الـحـوـادـثـ الـفـاجـعـةـ كـثـيراـ ، وـ لـقـنـتـ أـمـيـرـةـ الـبـلـادـ الصـبرـ وـ السـلـوانـ وـ قـدـمـتـ سـتـيـاـنـةـ رـيـةـ وـ خـلـعـةـ حـسـبـ تـقـالـيدـ الـإـمـارـةـ لـلـعـزـاءـ »<sup>٣٢</sup> . وـ أـرـسـلـ

السيد صديق حسن أشخاصاً ليحجوا عن أبيه وأخيه وشقيقاته على طريقة المذهب الحنفي<sup>٣٣</sup>، وشيد مسجداً وداراً للضيافة العامة مع بئر للياه باسم أمه صدقة جارية.

رحلة للحج وزيارة :

كان الأمير صديق حسن خان يحن إلى الحج وزيارة و الإقامة في الحرمين الشريفين يتمتع بنفحاتهما العلمية والروحية والقدسية، ويستجلب كتابا لا يجد لها في البلاد، فتقدما يطلب إلى الأميرة سكيندر جهان بيكم لسماع له بالرحلة إلى الحج، ولكتنها مرضت و اشتد المرض إلى أن لقيت ربهما سنة ١٢٨٥ھ / ١٨٦٨م، وخلفتها بنتها الأميرة شاه جهان بيكم، فاستأذنها بعد مدة من الزمن، فسمحت له وفوضت إليه توزيع بعض الهدايا والتبرعات للآعيان والعلماء والفقراء بالحرمين، خرج الأمير مودعا للإسرة والأصدقاء في ٢٧ / شعبان ١٢٨٥ھ إلى الأرض الطاهرة<sup>٤</sup>، كانت أول رحلة له من طريق البحر فأصيب بالصداع والدوار والغثيان بعد أن هاج البحر و ماج، ولم يبق ذلك إلا أياما، وحفزته روحه العلمية إلى نسخ كتاب «الصارم المنكى في الرد على السبكي» خلال سفره غالباً آخرة<sup>٥</sup>.

مررت الباحرة بعدهن و من ثم الحديدة ، وأرسلت على مينائها أثني عشر يوما ، فأقام عند استاذه الشيخ حسين الانصارى ( م ١٢٣٧ هـ ) وكان ذلك في ٢٠ / رمضان ١٢٨٥ هـ فلقي العلماء والمحدثين هناك و استفاد منهم و قدم مؤلفه الجديد « الخطة بذكر الصالحة الستة » إليهم ، و زار الشيخ سعد الدين بن المؤيد هبة الله البيني الذى كان أثني على كتابه « مسک الخثام » كثيرا ، فسر بلقائه وقال الشيخ البيني : « إن وجود مثلكم في هذا الزمان من نعم الله تعالى لو كانوا يعقلون » .

و انتهی

وانتهز الأمير هذه الفرصة ونفع خمساً وعشرين رسالة من رسائل السيد محمد إسماعيل الأمير صاحب "سبل السلام" و اشتري الكتب التالية : "اقضاء الصراط المستقيم" لشيخ الإسلام ابن تيمية ، و "ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق في الأصول" و "نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار" (النصف الأول ) ، و "فتح القدير" لشوكان<sup>٦</sup> . ولما "حركت السفينة لبناء جدة ، اشتد الحنين وهدى به الشوق إلى الحجاز ، ولم تكن المسافة إلا أسبوعاً ولكنها وقت في مأزق شديد بـأن خالفت الرياح فاستغرقت الرحلة شهراً واحداً ، وعند ما دخل مكة المكرمة كان لسانه ينشد :

أبطحاء مكة هذا الذي أراه عياناً وهذا أنا

و قضى جل وقته في العبادة والدراسة و نقل الكتب النادرة ، فنسخ في مكة كتاب "السياسة الشرعية" للعلامة ابن تيمية ، و اشتري عدداً كبيراً من الكتب القيمة ، ثم شد الرحال إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما تشرف بزيارة المسجد النبوى و روضة الرسول عليه الصلة و السلام انشد البيت :

بطيب رسول الله طاب نسيمها فما المسك والكافور والصندل الرطب  
وأقام فيها يتعبد ويتهلل إلى الله ، ويشغل بالعلم والاتفاق بعلمانها ، و اشتري  
هذا أيضاً بعض الكتب مثل : المدخل لابن الحلاج (الجزء الأول) ،  
والزرقاني في شرح المؤطا ، و تاريخ الحسين ، والتعريفات ، ومعنى الليب ،  
والرياض المستطابة ، و مجموعة رسائل السيوطي مع بهجة المحافل ، وشرح  
السائل ومواهب الرحمن ، وسبل السلام ، وزاد المعاد ، وفتح القدير ، والعواصم  
(جزئين) ، ومشكاة المصايح ، وسنن الفسائي ، والجامع الصحيح للبخاري ،  
وتفسير البيضاوى ، وإحياء العلوم للغزالى ، ونسختين من الزواجر و تاريخ مصر

وفريدة العجائب، وجموعة كتب الملا على القاري، وتلخيص الحبير، وكتاب الفوائد، وحسن المحاضرة في أحوال مصر والقاهرة للسيوطى، والبيجورى على الشهائل والأذكار، صحيح مسلم مع النوى (نسختين) والكتب الأخرى؛ ونقل رسائل وكتباً عديدة، ونال إجازة من بعض المحدثين في الحرمين الشريفين - زاد الله شرفهما<sup>٢٧</sup>.

و استعار سبن الدارمى من الميرزا أمير بك صهر الشيخ المحدث محمد يعقوب سبط الشاه عبد العزiz الدهلوى ، كانت عليه تعليقات بقلم الشاه ولـى الله الـدهلوى ، فنسخـه في طـريق العـودـة إـلـى الـبلـاد ، ثـم أـعـادـه إـلـى المـيرـزا . رـجـعـ الـأـمـيرـ بـعـدـ ثـمـانـيـةـ أـشـهـرـ إـلـىـ بـهـوـبـالـ عـامـ ١٢٨٦ـ هـ ، فـرـحـ بـهـ الـأـقـرـبـاءـ وـالـأـصـدـقـاءـ وـفـرـحـواـ بـعـودـتـهـ بـسـلـامـةـ وـعـافـيـةـ ، كـانـتـ الجـلـسـةـ هـذـهـ مـفـيـدـةـ جـداـ ، غـيـرـتـ بـحـرـىـ حـيـاـةـ الـأـمـيرـ فـيـ مـجاـلـاتـهاـ مـتـوـعـةـ<sup>٢٨</sup> .

**زواجـهـ الثـانـىـ مـعـ الـأـمـيرـةـ شـاهـ جـهـانـ يـسـكـمـ :**

كان السيد الأمير عرف بخدماته الجليلة وأعماله الدائمة و الأخلاصه و وفاته للإماراة بين الأوساط الحكومية والشعبية، وكانت المغفور لها الأميرة سكدر جهان يسكم ترقـهـ وـتـسـكـرـهـ وـتـثـنىـ عـلـىـ أـعـمالـهـ الجـيـدةـ؛ وـلـاـ اـعـتـلـتـ اـبـنـهـ شـاهـ جـهـانـ يـسـكـمـ عـلـىـ عـرـشـ الإـمـارـةـ وـكـانـ عـلـمـهـ مـؤـمـنـةـ محـبـةـ لـلـاصـلـاحـ فـيـ الـحـكـمـ وـيـتـسـيـرـهـ عـلـىـ أـسـسـ قـوـيـةـ حـكـمـةـ ، فـأـلـقـتـ نـظـرـةـ عـامـةـ عـلـىـ شـؤـونـ الإـمـارـةـ وـنـظـمـهـ ، وـأـقـامـتـ بـحـولـاتـ فـيـ مـدـنـهـاـ وـقـرـاـهـاـ تـصلـحـ الـأـمـورـ وـتـقـضـىـ الـمـسـائـلـ وـتـفـصـلـ الـقـضاـيـاـ ، وـأـصـدـرـتـ أـوـامـرـ أـمـيرـيـةـ لـكـلـ فـردـ فـيـ الشـعـبـ أـنـ يـرـاجـعـهـ فـيـ حـاجـةـ أـوـامـرـ فـيـ كـلـ حـينـ وـآنـ ، فـشـعـرـ الشـعـبـ بـأـنـ أـمـيرـهـ هـذـهـ أـكـثـرـ اـهـتـمـاماـ وـأـحـسـنـ نـظـاـمـاـ لـلـأـمـورـ ، وـلـمـاـ كـانـ أـمـرـ التـعـلـيمـ خـطـيرـاـ جـداـ ، فـوـضـتـ أـمـرـهـ إـلـىـ السـيـدـ الـأـمـيرـ لـمـاـ رـأـتـ

فيه منذ سبعة عشر سنة نشاطاً و حيوية و علماً و القيام بالواجب خير قيام .  
ناظراً للعارف :

تحول الأمير إلى منصبه الجديد ، وتمكن أن يقوم بتطبيق نظام التعليم الصالح و تربيته الجيل تربية حسنة ، و أنشأ مدارس و معاهد دينية و علمية و تربوية ، و كأنه قد وجد سوله ، و نال غايته ، و أصحاب هدفه ، و هو يقول بكل اعتزاز و غبطة <sup>٣٩</sup> : « انى ارى هذه الخدمة العلمية أفضل من جميع الخدمات السابقة واللاحقة ، و هي أمل و غايتها » ، بقى الأمير على هذا المنصب سنة واحدة فحسب ، و لكنه قام بأعمال لا يمكن لغيره إلا أن يقوم بها في سنوات ، فقد انتخب المدرسين الأكفاء و العلماء البارزين و المفكرين الممتازين و عينهم في المدارس و للأعمال الثقافية و العلمية ، وأكرمهم و قدم لهم رواتب ضخمة ، و كان يحمد الله على هذه النعمة التي أسبغها بها و أتاح له هذه الفرصة .

رئيساً للديوان الأميرى :

توسعت أعمال الإمارة في عهد الأميرة شاه جهان يكيم ، فاحتاجت إلى توسيعة في الديوان و تعين رئيس له قادر بكتابه الرسائل و الوثائق ذات قيمة ، والإشراف على شؤون الانشاء و تنسيق الملفات الحكومية ، فوقع نظرها على الأمير صديق حسن الذي لم يكن يتولى أمراً في الإمارة إلا أتقن وأجاد ، فنقلته من نظارة المعارف إلى الديوان و منحته منصب سكرتيرها الخاص ، و ذلك في شعبان ١٢٨٧ / ٥ / ١٨٧٠ م و شرفه لقب « خان » ، فقام بهذا المنصب خير قيام ، أحب به الناس و احتل مكانة جليلة لدى الأميرة بعمله الجيد و خلقه النبيل و علمه الغزير و وفاته النادر .  
كانت مسائل الإمارة و قضائها قد توسعت كثيراً ، و الحكومة الإنكليزية

بسطت نفوذها، وازدادت مطالبها ومراسلاتها وأوامرها، ولو أن الإمارة كانت مستقلة في شؤونها الداخلية ولكنها كانت تحت رصاية الإنكليز، ووكيلهم يقيم بقرب منها، والأميرة وحدها تقوم بجميع هذه المسؤوليات الضخمة، وكانت متوجبة و كان زوجها الأمير نظير الدولة الباقي محمد خان - التي تزوجت به عام ١٢٧١هـ وعاشت معه اثنتي عشر سنة وولدت له بنتين ، بقيت إحداهما على قيد الحياة وهي سلطان جهان يسمى ولية العهد وأميرة البلاد بعدها - مات عنها قبل اعتلاتها الإمارة بخمسة أشهر عام ١٢٨٤هـ ، وشعر الوكيل الإنكليزي بصعوبة الأميرة فأشار عليها خلال الرحلة إلى كشكته لقاء سمو الأمير « ديوك آف آيدنبرا » الذي قدم لزيارة الهند أن تختار لها زوجاً صالحاً بحيث يعارضها في مسؤوليات الحكم ، فقالت : إن نكاح الأيامى في ديننا لا يمنع ، فقد قال ربنا تعالى : « انكحوا الأيامى منكم » ، ولكننى سأفكر في الموضوع ، وإن وجدت كثواً أستاذن الحكومة حسب القانون الإنكليزى .

عادت الأميرة إلى بهوبال واستشارت بعض مخلصيها ، وقررت بعد ذلك بأن تتزوج مع السيد الأمير صديق حسن خان ، وأحب أن يقرأ القارئ ما كتبته الأميرة بنفسها عن هذا الزواج :

« إنني انتخبت لهذا الأمر الحسن بعد أن استشرت أعيان الإمارة وأمراء الحكم ومحبي الأسرة ، السكرتير السيد صديق حسن خان ، أنه موظف في الإمارة منذ سبعة عشر سنة . كان كتاباً لأمي الأميرة سكتدر يسمى مدة من الزمن ، ثم لما رأت الأميرة المغفور لها فيه العلم والفضل والكفاءة فوضت إليه أمر تدوين تاريخ بهوبال وجعلته رئيساً لهذا القسم ، وصار بعد ذلك ناظراً للعارف ، وأخيراً انتخب سكرتيراً في ديواننا الخاص ، وقام

و قام بهذه الخدمات ب تمام الحنكة و التجربة و الحكم و السرعة ، بحيث لم يترك عمل اليوم للغد ، و وجدت جميع الأعيان و إخوان الإمارة و محبيها يرضون بعمله و خدمته و أخلاقه و سيرته ، أنه علم نابع في العلوم العقلية و النقلية و اللغة العربية و الفارسية ، و الأدب و الكلام و غيره من العلوم ، و هو ينتهي إلى أشراف بنى فاطمة الذين بين المسلمين خيرة الأمة ، و اشتهرت من مؤلفاته كتب كثيرة في اللغات العربية و الفارسية و العلوم الإسلامية ، ولم يتم لهم منذ أن ورد الإمارة و تعين في المناصب بمحرمة و معصية و لائم كانوا موظفين الآخرين ، كانت أمي رحمة الله ، تحبه و تكرمه كثيرا ، و اشتغل بالدراسة و البحث و تدریس العلوم و الفنون دائما ، كان والده السيد ولاد حسن البخاري القنوجي : اسم جده السيد أولاد على خان الملقب به «أنور جنك» من قبل إمارة حيدر آباد الذي كان يحتل منصبا كبيرا في الإمارة ، و هكذا - نظرا للأمر الإلهي الذي جاء في القرآن الكريم ، وإشارة من الحكماء ، اتفاء لمواضع التهم ، لأن السكريتير يتعدد كثيرا إلى الأميرة لأمور حكومية ، و الخلوة مع الأجنبي بدون نكاح ثير الريمة . فتزوجت معه بمشهاد من النائب الأول للإمارة الشيخ جمال الدين خان و قاضي الإمارة الشيخ زين العابدين و كبار علماء الإمارة وأعيانها .

وعند ما تسلمت الأميرة إذن الحكومة الإنكليزية رسميا ، أمرت بعقد حفلة العرس العامة باشارة من النائب الأول للإمارة الشيخ جمال الدين في ١٧ / ٢ / ١٢٨٨ = ٥ / ٨ / ١٨٧١ م ، اشترك فيها قاضي القضاة و العلماء و الأعيان و الشخصيات البارزة في البلاد و عامة الشعب ، و تقدم الجميع بالتهاني الحارة إلى الزوجين ، و أخبر الحاكم العام للهند ، و بواسطته ملكة بريطانيا و كتوريا ، فانهالت التهاني من قبلهما ، و من الجهات الحكومية الأخرى .

وقد ذكر عن هذا الزواج الشيخ عبد الحفيظ الحسني كما يلي :  
 « و كان يتردد (السيد الأمير) بحكم منصبه إلى نواب شاه جهان يكمل ملائكة بهوبال ويمثل بين يديها ، فألقى الله في قلبها محبتة فقربته إلى نفسها وكانت أياما ، مات زوجها النواب باق محمد خان قبل سنوات ، وقد اقتربت عليها الحكومة الإنكليزية بالزواج ليكون زوجها بمحوارها ، ليساعدها في شؤون الحكومة والإدارة ، فتزوجت به لما علمت من شرف نسبه وغزاره عليه واستقامة سيرته ، سنة سبع وثمانين و مائتين وألف ، ومنحه إقطاعا من الأرض الخارجية تغل له خمسين ألف ريبة في كل سنة » .

والمجدير بنا أن نقدم نبذة من حياة هذه الأميرة العظيمة التي تمتاز بمحب تدبيرها للحكم و تيسيرها - بدقة الإمارة ورعايتها للشعب والأمة بالتمسك بالكتاب والسنن وأحكام الدين ، والإشراف على المدارس و المراكز التي تجمع فيها الأفذاذ والنوابغ من العلماء ، وأخيرا تزوجت بعد وفاة زوجها الأول ، العالم الجليل السيد صديق حسن خان خلافا لتقاليد أسرتها ورغم إرادة جدتها وابتها ، وذلك حبا للدين والعلم والكفاءة والمجدارة .

**الأميرة شاه جهان يكمل :**

لما نشب الخلاف بين الأميرة سكندر جهان وزوجها الأمير جهانگير خان انتقلت الأميرة إلى عائلة أبيها بحسن ، إسلام نگر ، وهناك ولدت منها الأميرة شاه جهان يكمل عام ١٢٥٤ هـ وتربيت بين أحضان الأم ، وتعلمت ونبعت وتدربت على الجنديه ، وكان لها شغف كبير بالقرآن الكريم وقرأت معانيه على الشيخ جمال الدين خان .

ولما توفي أبوها الأمير جهانگير خان وهي في التاسع من عمرها

تولت أمر الإمارة ، و تحولت مع الأم إلى بهو بال ، ولكن الأم طلبت من الحكومة الإنجليزية بأن تنصبها هي على الإمارة لأن الفتاة صغيرة فرضيت الفتاة أن تتنازل عن الحكم إلى رغبة الأم و تبقى ولية للعهد ، و تولت الإمارة بعد وفاة أمها سنة ١٢٨٥ هـ و تقدمت الإمارة في عهدها سياسياً و اقتصادياً و ثقافياً و ديناً و خلقاً ، و لها من كبرى على شعبها و أيدى يضاء في إشعاع روح العلم و الفكر و بث الأفكار الإسلامية الصحيحة في المجتمع ، فقد فتحت مدارس كثيرة أكبرها المدرسة الجمانكيرية باسم أبيها ، و المدرسة السليمانية تذكاراً لبنتها سليمان جهان ، التي توفيت في صباها ، و بدأت تشييد مسجداً عظيماً باسم « تاج المساجد » و معه « الجامعة للعلوم » ، كانت تريد أن يكون أكبر مسجد وأكبر جامعة في العالم ، ولكن وافتها الميتة قبل أن تكملها ، و قام باكمال هذا العمل الجليل فضيلة الشيخ محمد عمران خان الندوى بعد خمسين سنة من وفاتها .

و شجعت الأميرة العلامة والأستانة والعاملين في ميدان من ميادين الحياة ، و تحولت في البلاد و شاهدت الأحوال بنفسها ، و أعادت ثقة الشعب و شجعه للعمل و الخير و الرفادة ، و سافرت إلى بيروت و دهلي و كلكته لتشترك في الحفلات التي عقدتها الحكومة الإنجليزية ، و نالت بأوسمة و لقب « تاج الهدى » ، و تشرفت بوسام الخاتمة العثمانى الغازى عبد الحميد ، وهكذا كانت الحكومة الإنجليزية و الخلافة العثمانية تثق بها و تقدر خدماتها ، كانت عالمة و كاتبة بارعة ، لها كتاب : تاج الإقبال في تاريخ بهو بال ، و تهذيب النسوان ، و ديوان الشعر بالأردو ، توفيت عام ١٣١٩ هـ يقول عنها العلامة الحسني<sup>٤</sup> :

« و كانت صاحبة الفضل والكرم و ربنة النعم ، عمرت الديار و أحبت

المدارس العلمية، بنت المساجد العظيمة و قررت الوظائف الفخيمة ، و حفرت الآبار و غرس الحدائق و الأشجار ، وأحدثت العمائر الكبار ، وأسبلت ذيول المنح و العطايا على أهل الفضل من أهل الهند ، وأهل الحرمين الشريفين ، واليمن و العراق و الشام و غيرها من البلاد ، و أعطت الطلبة ألوقا من المصاحف و الكتب الدينية و أوقفت أرزاقا كثيرة على الفقراء و المحاوّيج ، ولم تزل تمنح العفاة و الواردين بملكتها من الحجاج و الغزاة و المسافرين و الطلبة و المساكين من الأقشة و الأموال و البيوت و الرواتب الشهرية ، و أوقفت مالا عظيما على طبع المصحف و التفسير و الحديث و اللغة و غيرها من العلوم و الفنون ،

ويقول عنها الأمير صديق حسن خان زوجها الثاني أيضا :

« ولدت بحسن « إسلام نكر » على ثلاثة فراسخ من بهو بال سنة ١٢٥٤هـ و حصلت الفنون الفارسية و تعلمت الخط و الكتابة و استفادت سلية الرئاسة و السياسة حتى برعت في ذلك القرآن ، و امتازت بينهم في القدرة على ترجمة القرآن ، و تحرير الرسائل الدينية و تقرير المسائل الدولية ، و جامعة للفضائل الدينية و الأخروية ، يضرب بها المثل في الذكاء و الحفظ و الكرم و الرحمة و الجود ، فهي إنسان عين الشهود و عين انسان الوجود » ،  
ويقول أيضا :

« ولم تحرم من نواها و جودها إنسانا و أوقفت أرزاقا كثيرة على الفقراء و المحاوّيج و قررت لهم وظائف جمة من النقود و الغلات ، ولا تزال تعطى العفاة و الواردين بملكتها من الحجاج و الغزاة و المسافرين و الطلبة و المساكين من الأموال و الأقشة و البيوت ما يسر حده و يطول عده ، إلى إن سالت سيول فيوضها العامة لكل حاضر و بادى ، و جالت خيول جودها

جودها في كل بادية و وادي ، و أمن الناس في ظلها الوارف من كل خوف تاًد و طارف ، تحرى الصدق و الصواب في كل إيمان و ذهاب ، و تقييم الصلاة و الصوم عند كل يقظة و نوم ، .

مساعدة الأميرة في تدبير شئون الحكم والإمارة :

كان الزواج الثاني هذا خطوة جريئة للأميرة شاهجهان يسگم في المجتمع الهندي الذي لم يكن يتصور أن تتزوج المرأة بعد وفاة زوجها ، و كان المجتمع المسلم في بلادنا تأثراً بالتقاليد الهندوسية ولو أنه لم يصل إلى الدرجة التي كان عليها الهندوك الدين كانوا يبحرون المرأة التي يموت عنها زوجها أن تحرق نفسها مع الزوج الميت فلم يكن لها حق الحياة بعده ، ولكن المسلمين عامة لا يحبون أن يعقدوا الزواج الثاني للمرأة ، وأول من نادى بنكاح الأيامى وأحياناً هذه السنة هو الشهيد أحمد بن عرفان ، فبدأ الناس يعملون بهذه السنة و يطبقونها في حياتهم ، ولكن كثيراً من العائلات التي لم تلتور بنور دعوة الإمام الشهيد بقيت على تلك التقاليد ، و كانت منها أسرة الأميرة شاه جهان يسگم ، لذلك ساءها هذا الزواج من هذه الناحية ، وكانت هناك أمور أخرى ، سبب خلافاً و عداء للأمير صديق حسن خان ، فالأسرة ساءها أن تتزوج الأميرة في غير أسرتها ومع رجل جاء من به آخر توظف في الإمارة ، ولم يكن يتسمى إلى العائلة الأميرية بصلة ما ، و ثانياً : خافت على أن تحرم الأسرة من الحكم إن أنجبت الأميرة منه كما ذكرت الأميرة سلطان جهان ولية العهد في كتابها « ترذك سلطاني » .

ولم تكن هذه الخطوة الجريئة إلا بمحافز من الشريعة الإسلامية التي تشع برؤحها الأميرة ، و تسربت أحكامها في قلبها و ذهنها ، فقد كانت دينية تقية مؤمنة ، و رأت في الأمير صديق حسن خان الدين و الخلق و العلم

والجدارة والكفاءة ورأته خير مساعد لمشروعاتها الإصلاحية في البلاد وتطویرها إلى إمارة مسلمة تقوم دعائهما على الأسس الخلقية والمبادئ الدينية، فقد كانت بحاجة إلى مساعد تطمئن إليه وتأمن عليه، ولم يكن في الإمارة كلها أفضل من الأمير حسماً جربته طوال هذه السنين التي اشتغل في الإمارة على مناصب عديدة، وأخيراً كرئيس الديوان الأميري، واتقاء لخط الأسرة وغضبها، اختارت طرقاً حكيمه فلم تسرع في الأمر ولم تستعجل في الزواج ولم تسمح للأمير بأن يبرز سريعاً إلى مساعدتها في الحكم وطلبتها له بالألقاب وتسهيلات من الإمارة والحكومة الإنكليزية ولم تبت الأمر إلا بشهاد من الأعيان والأمراء ورجال الأسرة وفي حفل عام بالبلطط الأميري وبإشارة من وكيل الإنكليز لإمارة بهوبال وامر من الحاكم العام للهند، وتسليمت الأميرة التهانى وتأييد التام وعقدت حفلة كبيرة بمناسبة تقديم التهانى من أوساط الشعب والحكم، وللبيان بأن الأمير صديق حسن عين النائب الثاني للإمارة ومعتمد المهام وقدمت له ضيافة كبيرة وقصراً مع مرافقه، فقال السيد الأمير عن هذا الزواج وعن المناصب الرفيعة له<sup>٤٣</sup>:

« والله يشهد بأنني لم أسع له ولم أحب يوماً ما، ولم تكن لي حيلة في التخلص من الأمر، لأن الأميرة هي التي فكرت ولم تكشف عن الفكرة سابقاً، يقدر بها عما سيحدث. وكان أمر الله قدرًا مقدوراً» أرادت الأميرة أن لا يبيق الأمير صديق حسن أقل رتبة من زوجها الأول فطلبت مرة ثانية من الحاكم الإنكليزي أن يمنح له جميع التقديرات والألقاب التي منح بها زوجها الأول وهي:

كان الزوج الأول لقب من قبل الدولة البريطانية بلقب «نظير الدولة»

فينبغى أن يمنح الأمير لقباً والخلع الفاخرة من قبل حاكم الهند الإنكليزى، واطلاق المدافع سبع عشرة طلقة حين زيارته لمنطقة بهوبال ذهاباً وإياباً، أو عند لقاء الحكام الإنكليز، وتقديم الهدايا والتذور حين منح الخلع من قبل رؤساء الجيش الإنكليزى، وقدوم وكيل الدولة البريطانية لترحيب الأمير إلى قنطرة جهانكير آباد، وأمناء الوكالة الإنكليزية لمنطقة «سيهور» و«أندور» يتقدمون للترحيب إلى باب «بدهواراه»، بهوبال وعند ما يأتي الحكام الإنكليز إلى بهوبال، يذهبوا لزيارة الأمير بقصره.

قبلت الحكومة الإنكليزية جميع هذه المطالب بدون شرط، ومنتخت له ضيافة كبيرة كانت تغلب بكتوج نحو ٧٥ ألف ريبة سنوياً، وخلعت عليه بالملابس الفاخرة ولقبته «نواب والاجاه» أمير الملك سيد محمد صديق حسن خان بهادر، وأمر له بالترحيب والتقدير في ربع الهند كلها وبذلك أصبح المحال واسعاً للعمل باشارة من الأميرة ومؤازرتها طبقاً للشاريع والمخططات للإماراة.

ذكرت سابقاً بأن حركة الشاه ولی الله الدهلوی حركة اصلاحية شاملة خرجت تلاميذ نجباء أوفياء، وصل بعضهم إلى إماراة بهوبال منهم الشيخ تلميذ نجل الإمام الشاه عبد العزیز الدهلوی و تولى منصب النائب الأول للإماراة، و حاول محاولات جدية أن تحول الإماراة إلى إماراة مسلمة تؤدي رسالة الدعوة الولی اللاھیة، و أشرف على تربية ولیة العهد شاه جهان بیگم التي قرأت عليه القراءات و الحديث و الفقه و بعض العلوم الأخرى، فتشبعت بروح إسلامية نقية، و الرجل الثاني الذي استطاع أن يصل إلى الإماراة و يتولى المناصب فيها بواسطة الشيخ جمال الدين كان ينتهي إلى مدرسة الشاه ولی الله الدهلوی و حركة الشيخ أحمد بن عرفان الشهید، و هو السيد

الأمير صديق حسن خان ، و نال ودا و تقديرا من قبل الأميرة سكيندر جهان و شاه جهان ، و تحقق حلم الشيخ جمال الدين بأن تزوجت الأميرة شاه جهان بيًّغم مع السيد صديق حسن ، و من هنا بدأ عهد جديد زاهر لإمارة بهوبال ، و أشرقت الأرض و السماء بنور الإيمان و العلم و الخلق و أبشرت الإمارة بالصلاح و العدل و الخير و البر و الإحسان .

لم يكن الأمر هينا للإصلاح العام الشامل الذي كان الزوجان يغيّبان بتحكيم الشريعة الإسلامية و تنفيذها ، لأن الإمارة منذ مئات السنين كانت تحت سيطرة حاكمين لا يفهمهم إلا الحكم والاستيلاء و تصدير الأوامر مطلقا سواء كانت عادلة أو جائرة ، ولم يكونوا عالمين بالشريعة ، عارفين بروح الإسلام ، عاضين بالكتاب و السنة ، فكانت القوانين متعددة حسب الظروف و الحاجات و مطالب الأمراء و أحكام الإنكليز ، وكان الشعب معتادا بها ولو أنه كان يشعر باشمئزاز و ازعاج من القوانين الجائرة و الضرائب المرهقة ، فكان الأمر في غاية الصعوبة ، حافا بالمخاطر مفعما بالأشواك ، محدقا بالأخطر ، كان يحتاج إلى جرأة نادرة ، و قوة عظيمة ، يحتاج إلى بطل مغوار ، لا يخاف في الله لومة لائم ، و يقدم له كل رخيص و غال ، و يتحمل كل غث و سين ، و يتصرّ على كل تحرّج و تأليم و تعذيب ، وكان ذلك البطل هو الأمير صديق حسن و معه قرينه الأميرة شاه جهان بيًّغم التي ساعدته و خاضت المعارك معه ، مقدرة بالمخاطر و المشاكل ، فقد كانت الأسرة ناقفة على زواجهما الثاني و كان الشعب معتادا لتقاليده و رثتها من مئات السنين ، ولكن قصدت الأميرة مع زوجهما الأمير للإصلاح و التطوير في البلاد ، و ألقى الأمير نظرة شاملة على أمور الإمارة و شؤونها ، وعلى كل ناحية من نواحي شعبها ، و خرج مع الأميرة لزيارة كل منطقة و مدينة

و مدينة و قرية و كفرة عدة مرات ، واجتمع مع المسؤولين و العمال و عامة الشعب و أعلن بأن يعرضوا عليه مشاكلهم بحراة تامة و بدون خجل و خوف و تلسكاً ، فعرف بذلك الداء واستأنس به الشعب ، فقرر أن يقوم بالإصلاح في الأمور التالية خاصة :

- ١ - تحديد الأراضي و توزيعها بين الفلاحين كما يستحقون .
- ٢ - تحديد الاقطاعية و إعادتها إلى أصحابها .
- ٣ - رفع الضرائب الثقيلة .
- ٤ - تنظيم نظام الزكاة طبقاً للشريعة الإسلامية .
- ٥ - تنظيم محاكم و تعين قضاة عادلين .
- ٦ - إصلاح نظام الشرطة و البوليس .
- ٧ - تأسيس مدارس في أنحاء الإمارة للتعليم و التربية .
- ٨ - فتح مكتبات عامة زاخرة بالكتب .
- ٩ - إنشاء إدارة الحسبة ( مكتب التفتيش و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ) .
- ١٠ - إنشاء المطابع الحجرية لطباعة الكتب القديمة و الحديثة .
- ١١ - إحياء إدارة الشؤون الدينية ، و التعين فيها علماء صالحين ، و تنظيم المساجد ، و تشييدها في العاصمة و المدن و القرى ، و إنشاء الكتاتيب فيها قراءة القرآن و مبادئ الإسلام .
- ١٢ - إنشاء مجلس الشورى للحكم على أساس « و أمرهم شوري بينهم » .
- ١٣ - تنظيم جيش الإمارة من جديد و تحديد الرواتب حسب المراتب .
- ١٤ - إنشاء مساحة للبناء و التشيد للبنيان الحكومية و المساكين الشعبية .
- ١٥ - نشر الوعي الإسلامي و بث التوعية الفكرية و الخلقية في الإمارة .

١٦ - الترغيب إلى نكاح الأيمى وزواج الأرامل ، و تحريم الربا و الرشوة  
و تعاطى المسكرات و القمار التي كانت عامة في الإمارة .

إنه استعراض عام للخطوة الإصلاحية التي قام بها السيد الأمير بتأم الحكمة  
والحكمة والأخلاص ، ولم يرد بذلك إلا رضاه ربه تعالى وصلاح الأمة المسلمة  
و فلاحها ، و رافق الأميرة بعد الزواج في رحلاتها إلى مدن الهند الكبيرة  
و الصغيرة وكانت متحجبة ، و اهتمت بالحجاب بعد زواجهما مع الأمير خاصة .  
 وسلمت الأميرة رسالة من حاكم الهند أخبرها بأن حفلة كبيرة ستعقد  
في مدينة بمبى لينج ها تقديرا لخدماتها الجليلة للبلاد وسام «نجمة الهند»  
فذهبت مع الأمير إلى بمبى عام ١٢٨٩ / ٥ ١٨٧٢ م .

أراد ولـي العهد لـدولـة بـريـطـانـيـة أن يـزـوـيـ الهندـ وـيعـقـدـ حـفـلـةـ عـامـةـ فيـ  
مـديـنـةـ كـلـكـتـهـ بـشـرـقـ الـهـنـدـ ، وـأـرـسـلـ الدـعـوـةـ إـلـىـ الـأـمـيرـ لـلـاشـتـراكـ فـيـهاـ  
معـ الـأـمـيرـ ، فـذـهـبـتـ مـعـهـ سـنـةـ ١٢٩٢ / ٥ ١٨٧٥ مـ ، وـلـمـ تـلـقـبـتـ مـلـكـةـ وـكـتـورـيـهـ  
بـ «ـقـيـصـرـةـ الـهـنـدـ»ـ عـقـدـ مـهـرـ جـانـ كـبـيرـ لـلـاعـلـانـ العـامـ أـمـامـ الشـعـبـ الـهـنـدـيـ  
بـ دـهـلـيـ ، فـاـشـتـرـكـتـ الـأـمـيرـ وـرـاقـقـهاـ السـيـدـ الـأـمـيرـ سـنـةـ ١٢٩٣ / ٥ ١٨٧٦ مـ .  
وـ أـخـيـراـ ، أـخـبـرـ حـاـكـمـ الـهـنـدـ الإـنـكـلـيـزـيـ بـاـنـهـ سـيـعـقـدـ اـجـتـمـاعـاـ عـامـاـ فيـ  
كـلـكـتـهـ ، فـالـتـمـسـ مـنـ الـأـمـيرـ أـنـ تـشـرـكـ فـيـهـ مـعـ الـأـمـيرـ وـولـيـةـ الـعـهـدـ وـأـعـيـانـ  
الـإـمـارـةـ ، فـذـهـبـتـ مـعـهـمـ سـنـةـ ١٢٩٩ / ٥ ١٨٨٢ مـ وـكـانـتـ المـقـاعـدـ لـلـجـلوـسـ  
فـيـ الـاجـتـمـاعـ رـصـفـتـ مـنـ قـبـلـ الدـوـلـةـ بـرـيـطـانـيـةـ كـالتـالـيـ :

الـكـرـسـيـ الـأـوـلـ : لـلـأـمـيرـ شـاهـ جـهـانـ يـسـكـمـ ، وـ الـكـرـسـيـ الثـالـثـ : لـلـأـمـيرـ صـدـيقـ  
حـسـنـ خـانـ ، وـ الـكـرـسـيـ الثـالـثـ بـعـدهـ : لـوـلـيـةـ الـعـهـدـ سـلـطـانـ جـهـانـ يـسـكـمـ ؛ فـضـبـتـ  
وـلـيـةـ الـعـهـدـ سـلـطـانـ جـهـانـ يـسـكـمـ مـنـ هـذـاـ التـنـسـيقـ لـلـكـرـاسـيـ وـ طـلـبـتـ الـأـمـيرـ صـدـيقـ  
حـسـنـ عـلـىـ الفـورـ وـسـأـلـهـ : لـمـ وـضـعـتـ كـرـسـيـ بـعـدـ كـرـسـيـكـمـ مـعـ أـنـيـ وـلـيـةـ الـعـهـدـ ؟  
فـأـجـابـ (٢٤)

فأجاب الأمير بلطف أنى لم أمر بذلك بل الحكومة هي التي نظمت الحفل هكذا ، وسمع بالأمر وكيل الإمارة فجاء إلى ولية العهد وشرح لها الأمر ونصحها وقال : إنه مثل والدك شفوق بك ، ويحق أن يتقدمك ، ونصحتها أمها الأميرة كثيرا ، ولكن الثورة ما انطفأت ، بل بدأت من هذا اليوم تشتد وتنظاهر بعد أن كانت خيالية مطمورة في القلوب .

قد قام السيد الأمير بهذه الاصلاحات المفيدة والرحلات الطويلة مع الأميرة جنبا إلى جنب ، وترك آثارا خالدة جلية واضحة في بهو بال التي هي عاصمة إحدى ولايات البلاد في يومنا هذا .

**مآثره الخالدة و مكارمه المجيدة :**

لايسعني هنا بأن أقدم بحثا مسهبا عن مآثر السيد الأمير الخالدة ومكارمه المجيدة التي لا تزال بلادنا خاصة وبلاد الإسلام عامة تجني ثمارها اليانعة ، فقد عرفنا سابقا بأن الأمير كان من سليلة حركات الدعوة الإسلامية نسبا وعلميا وثقافة ، فوالده كان صاحب السيد أحمد الشهيد وخلفيته ، واستفاد الأمير من خلفاء السيد الشهيد وقرأ على تلامذة بيت الشاه ولـي الله الدهلوى ، فحمل رسالة الإسلام وحركة لواء الإصلاح وإحياء الكتاب والسنة والخلافة الإسلامية ، ولما خابت مساعي السيد الشهيد وأصحابه يطول ذكرها ، عاد الفل ورجال الدعوة والحركة يسعون شخصيا ، عسى أن ينالوا بعض النجاح للحفاظ على التراث الإسلامي المجيد وانعاش الشعائر الدينية في المناطق الإسلامية التي يسكن فيها المسلمون على الأقل ، وكان منهم السيد صديق حسن الذي استطاع بجهوداته الضخمة أن يأنى بكثير مما لم يكن يرجي ويؤمل في ذلك العصر .

فنـ مـآـثـرـهـ الخـالـدـةـ :ـ أنهـ أـشـعلـ فـيـ النـاسـ ثـورـةـ التـفـكـيرـ منـ جـدـيدـ

عن الكتاب والسنّة و العودة إليها بحسب الفقهاء والتتصوف والمنطق و الفلسفة ، وعن إصلاح العقائد والأعمال والسلوك ، و جمع لديه علماء راسخين و جنوداً مجذدين لخدمة الدين والعلم ، و نصبهم على المكاتب والمصالح و في إدارة الشؤون الدينية كالقضاء والفتيا والاحتساب واللامر بالمعروف والنهى عن المنكر و اعنى بكل مجال من مجالات الحياة الإنسانية ليطبق فيها الشريعة الإسلامية ، و بدأ الجو يتموج بنعمات قدسية من الدين والقرآن و السنّة و العلم و الثقافة ، و الصناعة و الخير و البر و الإحسان .

فقد كان رئيساً للقضاء أستاذه الشيخ زين العابدين اليهاني ، و لما توفي ولد على مكانه علماً كبيراً ، معروفاً بالصدق و العدل و الجرأة و إبداء الكلمة حق أمام كل أحد سواء كان ملكاً أو أميراً و هو العلامة محمد الجونيوري (١٢٥٢-١٣٢٤) ، و التمس من أستاذه الشيخ بشير الدين القنوجي أن يقبل منصب القضاء للامارة ، و فوض شؤون الإفتاء إلى أستاذة الآخر الشيخ حسين اليهاني .

و أنشأ هيئة الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، للاحتفاظ بالشاعر الإسلامية و النهي عن مخالفه القوانين الشرعية ، و عين فيها رجالاً أكفاءً ، مقدرين لمسؤولياتهم و القائمين بواجباتهم بأخلاق و أمانة و وفاء . و أصدر الأوامر الأميرية السامية بمنع شرب الخمر و المسكرات و تعاطي القمار والارتشاء ، و الغش والخدعة ، وكل نوع من العمل و التجارة تخالف شريعة الإسلام .

و تمسك هو بنفسه بهذه الأوامر و القوانين و أمر أهله و أقربائه بأن يمثلوا بهذه الأوامر بحيث يصبحوا نموذجاً صالحاً و قدوة حسنة للشعب<sup>٤٢</sup> ، فأمرت هذه الخطوات تماًجع مفيدة ببناءه .

وبما أن النوعية و الشعور بالمسؤولية لا تتأتى جيداً إلا بالعلم و الثقافة و التضلع

والتطلع بالروح العلمية ، اعتنى بالنظام التعليمي . و كان نصب أعينه منذ أن عين ناظراً للعارف ، فوضع منهجاً تعليمياً محكماً ، لاحظ فيه روح العصر وروح الإسلام ، فكان أنه رفع مستوى التعليم في المدارس التي تأسست قبله ( وهي قليلة ) أنشأ مدارس أخرى للعلوم الإسلامية والعربية والفارسية وفتح مدارس صناعية وعصرية يدرس فيها العلوم الجديدة التي جاء بها الغرب ، وحاول لتطوير الصناعية المحلية في هذه المدارس ، وذلك يدل على فكرته العميقه ونظره الغائر ، وبلغ عدد المدارس إلى إحدى وثمانين في الإمارة : عشر مدارس في العاصمة وواحد وسبعون مدرسة في المحافظات و المديريات الأخرى .

كانت المناهج الدراسية كالتالي :

علوم الكتاب والسنة ، و الفقه ، وأصول الفقه ، و المصطلح و القواعد و البلاغة ، و اللغة العربية و أدابها ، و اللغة الفارسية و أدابها ، و اللغة الهندية و السنسكريتية و الناكلية .

و من العلوم العصرية :

الرياضيات و الجغرافية و التأريخ و الخط و اعداد المراسيم و المحاماة و علم المساحة و الاحصاء و السكريتارية .

و من العلوم الصناعية :

الخياطة ، و النسيج ، و التطريز و الخياطة و النقش ، و تطريز الأردية و الشالات و الثياب من الخيوط الذهبية و الفضية ، و صنع الأحذية وغيرها ، وكانت ست مدارس مركبة يشرف عليها الديوان الأميري :

١ - المدرسة البلقيسية :

أنشأتها الأميرة تذكاراً لابنتها بلقيس جهان ، التي توفيت في الصغر

و كانت خاصة بالأيتام ، كان جميع المصارف والتكاليف على الإمارة ، و يعطى المعاش و اللباس و السكن و الكتب للطلبة مجاناً .

#### ٢ - المدرسة السليمانية :

هي باسم بنت أخرى أيضاً توفيت في صباها ، كانت مراحل التدريس فيها : الملوية ، العالمية ، الفضيلة ، الإفتاء ، والإنشاء (السكرتارية) ، و القابلية ، و كانت للطلبة مكافأة شهرية حسب الحاجة .

#### ٣ - مدرسة سمو ولـي العهد البريطاني :

كانت مدرسة صناعية بحثة .

٤ - مدرسة الصناعات والحرف : يدرس العلوم الصناعية والحرفة .

#### ٥ - المدرسة الجهانكيرية :

كانت هذه المدرسة باسم والد الأميرة ، يدرس فيها أكثر من ألف طالب ، وكانت للعلوم الإسلامية والمتوعية .

#### ٦ - المدرسة الصديقية :

هذه المدرسة أنشأها صديق حسن باسمه و على مصارفه الخاصة بمنزل قصره « نور محل » ، كان يشرف عليها و يلقى فيها بعض الدروس ، و لما توفي الأمير نقلتها الأميرة بقرب من البستان الذي دفن فيه الأمير ، ثم ضمت إلى المدارس الحكومية .

كانت مادة « الديانة » في جميع المدارس لازمة ، و كان التعليم فيها مجاناً ، و وظفت منح للطلبة المتفوقين و الممتازين ، و في علوم القرآن و الحديث خاصة ، فقد قدم الأمير جواز لحفظ القرآن الكريم و الحديث ، فلن حفظ صحيح البخاري له جائزة ألف ريبة ، و من حفظ بلوغ المرام له مائة ريبة ، و ذكر رجالان نالا هذه الجوائز و هما : الشيخ عبد الوهاب من دهلي ، و الشيخ (٢٥)

و الشیخ عبد التواب الغزنوی من علی کره .  
و كانت بمحب هذه المدارس مکتبات خاصة و عامة ، فقد كان الامیر  
من مغری الكتب ، و من السابقین الاولین في بلادنا ، الذى جمع الكتب  
القديمة و الحديثة و طبعها مرارا ، و هكذا تجمعت في بیو بال کتب کثيرة  
قيمة ، لذکر من بين المکتبات مکتبتين عامتين ذات أهمية و هما :  
مکتبة فیض عام العامة : كانت تحتوى على أكثر من أثنتي عشر ألف كتاب على  
مواضیع مختلفة . المکتبة الجھانکیریة العامة : كانت تحتوى على أربعة عشر  
ألف كتاب ، و كانت ذخایر هاتین المکتبتين تزاد يوما فیوما بعنایة الامیر  
واهتمامه بالكتب و الذخایر العلمیة .

كانت هناك مکتبات خاصة منها : المکتبة الامیریة الخاصة : كانت  
في القصر الامیری « تاج محل » ، و غنیة بالكتب الشمیة و النوارد القيمة .  
ومکتبة والا جاهی : هي مکتبة الامیر صدیق حسن خان ، كانت من أغنى  
المکتبات وأفرها ذخیرة و قيمة و أهمیة ، تشتمل على کتب علوم القرآن  
و السنة و التأریخ والسیر و الفنون الادیة و التصوف ، يندر أن توجد  
میلها في الهند ، و تحملت المکتبة بمؤلفات الامیر القيمة .

و قد وزع الامیر قبل وفاته بقليل بين برثته ، و أصيب ورثته  
بعد وفاته و وفاة الامیرة شاه جهان بیکم بالآلام و مصائب ، فاتنقلوا إلى  
مدن مختلفة ، فضاع قسم من المکتبة ، ولكن القسم الأکبر منها أودع  
بحلاه الامیران السيد نور الحسن و على حسن خان إلى مکتبة دار العلوم  
لندوة العلماء لکھنؤ ، ولا تزال فيهاأمانة باسم « مکتبة الامیرین نور الحسن  
و على حسن » ، و احتفظ الاخوان قسما منها لأولادهما .

إن نشر العلم و تعمیمه يحتاج إلى مطبع و دور للنشر و التوزیع

و بذلك يطلع الناس على الكتب والوثائق والقوانين، ويتعلمون ويتثقفون وينشا فيهموعى؛ يدركون الخير والحق؛ العدل، فاهمت هذا الامر السيد الامير كثيراً، وأنشأ أربعة مطابع في الإمارة ووثق الروابط مع المطبع الهندية الأخرى بمطبعة «مفید عام» بمدينة آكره خاصة، فان المطبع الأربع في بهو بال لم تكن تفي بالحاجة، والمطبع كانت كالآتي:

#### ١ - المطبع السكندرى:

كانت تطبع فيه الإعلانات والبيانات والخرائط والأوراق والوثائق الحكومية خاصة.

#### ٢ - المطبع الشاه جهانى:

كان يقوم بطبعه مؤلفات الامير والكتب الدراسية، وتطبع فيه جريدة أسبوعية «عمدة الأخبار» تنشر فيها أنباء بهو بال، وملخص المراسيم الحكومية، ويصدر منه بعض المؤلفات ودواوين الشعر والرسائل الأخرى، وذات مرة طبعت فيه الأميرة شاه جهان يسگم القرآن الكريم بعناتها الخاصة، وتحت إشرافها، ظهر بطباعة جيدة وأنيقة، لم تكن فيها أخطاء ولا أغلاط.

#### ٣ - المطبع السلطانى:

كان خاصاً بطبع مصالح حكومية ووثائقها وبياناتها.

#### ٤ - المطبع الصديقى:

كان يختص بطبع الخطب الإسلامية والعربية القديمة ومؤلفات الامير صديق حسن خان الكثيرة الصدد، كان فيه موظفون نسيطون وعاملون أوقياء وعلماء مراقبون، ومصححون أمناء، ومع ذلك كثيراً ما يحتاج الامير إلى أن يراجع مطبعة «مفید عام»، بأكره، ويطبع فيها مؤلفاته.

و صدر منها كتابه الأخير قبل وفاته بساعات «مقالات الإحسان»، كان يسأل عنه بقلق واضطراب وهو على فراش الموت، ولما أخبر بأن الكتاب صدر وسيصل قريباً، تهمل وجهه بشراً، واطمأن، وكان يشق بهذه المطبعة كثيراً ويعتني بشؤونها وتقديمها وتطويرها إلى أفضل وأحسن، وكان مراقب لهذه المطبعة رجل صالح محب للدين والعلم هو الصوفي أحمد خان، وكانت له مع الأمير وشائج ودية قوية<sup>٦</sup>.

تلük كانت وسائل الإصلاح والتثقيف للسيد الأمير لتجيئ الشعب توجيهاً إسلامياً، ونشر الفكر السليم والوعي الديني والعقيدة الصحيحة، وإبعاده عن الفسق والفحotor والخلاعة والمحون والتفسخ والانحلال والاباحية التي كانت تتسرب إلى المجتمع المسلم عن طريق الاستعمار الإنكليزي وقواه ومناهجها التعليمية وخططها التبشيرية، فلم يواجهها السيد بالجدل والمناظرة وإثارة المباحث الكلامية بل ركز جهوده في إعداد مناهج تعليمية دينية وذخائر فكرية سليمة وتجيئات رشيدة مفيدة، بعمل صامت رتيب، وبخطة ساكتة خفية بين طيات الكتب، ومشاريع علمية وفكرية بناء، ولو لا هذه المجهودات المركزة لضاع التراث الإسلامي الكبير، ولما وصل إلينا إلا النذر اليسير، ونجح السيد نجاحاً بارزاً، فقد تغيرت الأرض غير الأرض، وتحولت الإمارة إلى حد كبير إلى إمارة إسلامية يذكر فيها الله تعالى ويعمل بالكتاب والسنة، واختفت حوانين الحر و المسكرات وأمكنة القهار والفحotor، وارتقت نعمات التوحيد والعلم والدين بين أوساط الشعب، وإلا نرى التاريخ يسجل قبل محاولات الشيخ الصالح جمال الدين النائب الأول للإمارة، وقبل الأميرة شاه جهان يُسمّى، وقبل السيد صديق حسن خان بأن الجهل بالشريعة،

و اللهو واللعب . و فساد المجتمع و تعاطي الخمر و ادمان المسكرات بلغ إلى هذا الحد بأن المساجد في بهو بال يشرب فيها الخمر و يتناطى بالحشيش ، و يؤتى فيها المسكرات و الأعمال الشنيعة . حكى أن الشيخ جمال الدين بأول عصر الأميرة سكيندر جهان يسمّى دخل مرة في مسجد ليؤدي صلاة المغرب فيه فإذا بالباب رجل يدق الحشيش و يسخره ، فسأله : ما هذا ؟ قال : الحشيش ، فقال له الشيخ : إن الحشيش حرام يا رجل ، فكيف تعاطى به ؟ فقال : إن سر والك هذا من الحرير و هو حرام للرجال ، فقال الشيخ : إنه مختلط بخيوط القطن ، قال الرجل : إن الحشيش مختلط بملام ، فضحك الشيخ ، و أرشد الناس أن ينصحوه .

و حكاية ثانية بل تقاليد سار عليها الناس عامة هو أن الخمر كان عاما ، فان مات رجل يضعوا له في قبره الخمر ، و يفتحوا في قبور الصالحين و الشخصيات الكبيرة نافذة أو فتحة يسكنوا منها الخمر إلى قبورهم<sup>٢٦</sup> . ولكن مساعي هؤلاء المصلحين المشكورة قد طهرت المجتمع البهوي إلى من هذه المفاسد و المسكرات ، و اطمأن الناس و عاشوا ببيئة مريحة هنية يذكرون السيدة الأميرة وزوجها السيد الأمير بالخير ، و يضرب بهما المثل بالبر و الخير و الرفاهية و الرخاء و السخامة .

التقدير بخدمات الأمير و اعتراضها من قبل الشعب :

أن هذه المجهودات المضنية و المحارلات الجدية و الخدمات العظيمة و الأعمال الجليلة لم تذهب سدى ، فكما أنها أنت بنتائج مفيدة بناءة في البلاد كانت لها صدى و قبولا و تأثيرا في خارج البلاد أيضا ، و استفاد منها خلق كثير من العامة و الخاصة ، و انتشرت مؤلفاته بسرعة في أنحاء الدنيا و سارت بها الركبان ، و تغنى بها الأكابر و الأصاغر ، فكما أن رجال

البلاد و شعبيها شعروا بالطمأنينة و هدوء البال و رخاء الحال بحسن تدبيره للحكم ، و بتحسين حال الرعية ، شعر العلماء و الباحثون في الهند ، العالم الإسلامي بمنافع كبيرة و نفحات علمية ، من الذخائر الفكرية التي وصلت إليهم عن طريق دور النشر في الهند و مصر و القسطنطينية ، و اعترف بها معاصر رأى الأمير العلماء و رجال العلم و الثقافة . و سجلوا انطباعاتهم بكلمات ثناء عطرة ، جمعها الأستاذ سليم فارس ابن العلامة الأديب الأستاذ أحمد فارس ، صاحب الماسوس و مدير مجلة الجواب ، في صورة كتاب سماه « قرة الأعيان مسيرة الأذهان » طبعه بطبعه الجواب ، و لذلك نشر كتاب آخر عنه اسمه « قطر الصيب في ترجمة الإمام أبي الطيب » و ذلك في حياة السيد الأمير .

ولا أريد أن أ庶ه في تقديم كلمات التقدير و الاعتراف بالجميل للسيد الأمير ، ولكنني أحب أن أذكر بعض الكلمات كنموذج و مثال :

قال الشيخ العلامة حسين الياباني :

« هو السيد الإمام و العلامة الهمام أبو السبطين الحائز الشرفين ، السلى على الفرقدين ، صدر العلماء الأعلام المسندين ، و عمدة الكرام المحدثين المعتمدين ، محيي السنة ، قامع البدعة ، شريف التجار ، عظيم المقدار ، الذي افتخرت به بهو بال على جمجمة الأقطار . و انتشرت بوجوده علوم السنة و الآثار ، و صنف في ذلك الآسفار الكبار ، مولانا و زمان بالفضل والإحسان أولانا ، ولا جاء أمير الملك السيد صديق حسن خان بهادر ، لا زال مشرقا بدر كالم الباهر ، فهو الحق والأولى ، يقول القائل :

أته الخلاقة منقادة إلـهـ تحرر أذـيـاـهاـ

فـلـكـ تـصـاحـ إـلـهـ وـ لـمـ يـكـ يـصـلـحـ إـلـهـاـ

له النسب العالى على سائر النسب لأنه من سلالة سيد العجم و العرب .  
وقال أيضاً : وجد واجتهد في إتقان علوم القرآن والسنّة و تدوين علومهما ،  
و اشتغل بالتدريس و التأليف ، و صار رأساً في المعقول و المنقول ، وأحرز  
جميع المعارف ، واتفق على تحقيقه الموافق و المخالف ، وصار مشار إليه  
بالبنان ، والمجلل في معرفة غوامض علوم الشريعة عند الرهان ، له - عافاه  
الله - في كل فن يد صالحة و جارحة عاملة . وفي الكتابة سرعة عجيبة ،  
و في التأليف ملائكة غريبة ، بحيث يكتب الكرايس العديدة في يوم واحد ،  
ويصنف الكتب الضخمة في أيام قليلة ، وطالع بفرط شوقة و صحيف  
ذوقه كتباً كثيرة ، ودواوين شئ في العلوم المتعددة و الفنون المتنوعة ،  
و مر عليها مررراً بالغاً على اختلاف أنحاها و تبيان أنواعها ، و أني عليها  
بضميم همته بأحسن ما يكون حتى حصل منها على فوائد كثيرة ، وعواائد أثيرية ،  
أغنه عن الاستفادة عن أبناء الزمان . و أقنعته عن مذاكرة فضلاء الأوان .  
ويقول أيضاً :

وعلماء الأقطار الهندية وإن بالغ بعضهم في الرشاد إلى اتباع السنّة  
وقرر ذلك في مؤلفاته و حرره في مصنفاته على وجه ثبتت به الملة لهم  
على رقاب أهل الحق ، وشعر بعضهم عن ساق الجد و الاجتهد في الدعوة  
إلى اعتقاد التوحيد و رد الشرك و التقليد باللسان بل بالسيف و السنان ،  
لكن لم يدون أحد منهم أحكام الكتاب العزيز و السنّة المطهرة في العبادة  
و المعاملة وغيرها خالصة من آراء الرجال ، فقيه عن أقوال العلماء على  
هذه الــكيفية المشاهدة في مؤلفاته المختصرة والمطولة مما طبع و انتهى و شاع  
و سرت بها الركبان إلى أقطار العالم من العرب و العجم <sup>٤٨</sup> .

وقال معاصره الشيخ نعيم بن محمود الألوسي من العراق <sup>٤٩</sup> : شيخنا الإمام  
الكبير

الكبير . السيد العلامة الامير ، البدر المنير ، البحر الحبر في التفسير والحديث و الفقه والأصول والتاريخ والأدب والشعر والكتابية والتصوف والحكمة والفلسفة وغيرها ، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي ، حماه الله وعافاه و عن الشرور وقاه ، وهو الذي نطق ألسن الخلاق بذاته العطر وأذعن الأعداء بفضله و فرط ذكائه ودهائه . و قال أيضا :

و ياله من تحقيق و تبيان ، وقد سارت بها الركبان من بلدان إلى بلدان ، إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف استدل و رجح و يحق له الاجتهد لاجتئاع شروطه فيه ، وما رأيت أشرع انتزاعا للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه ، ولا أشد استحضارا للسنة المطهرة و عزوها منه ، هذا مع ما هو عليه من الكرم والجود والشجاعة و جمع الفواد والبراعة والفراغ من ملاذ النفس ، . . . . ولا يناظر أحدا من الناس ولا يخاطبهم بشيء من ابرد لكونهم مكبّرين لا مناظرين و جاهلين لا عالمين ، . . . . وبقي من المتنين علماء كثيرون وأئمة متصفون من أهل سائر المذاهب ذوى الفضائل والمناقب ، لا يسعنا المجال لضيق الوقت سرد أسمائهم وبسط ثناهم ، و أما الحنابلة فهم بأجمعهم لهم معظمون ولعقيدتهم قابلون ولكلامه سامعون كما سمعت أقوال كبارهم .

كان صاحب «الجوائب» الصادرة من فلسطينية (تركيا) الاستاذ أحمد فارس وابنه سليم فارس من المعجبين بالسيد الامير و مؤلفاته و خدماته يمدحه كثيرا ، وقد تحدثنا عنه وعن مؤلفاته في أعداد «الجوائب» ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ ، وطبع الاستاذ سليم فارس كتابا عنه كما ذكرنا ، وأذكر هنا كلمة له عن الامير نشرها في مجلته «الجوائب» : «نوابنا الصديق نابغة الزمن ، يطوى به الذكر الجليل و ينشر ، وكان

أخذه هذا العلم الشريف و انتفاعه فيه بأكابر من ادركتهم من محدثي اليمن الميمون و علماء الهند . . . . و هو الذي أحى السن المميته في هذا الزمان بالأدلة البيضاء من السنة و الفرقان ، حين تعافت رسومها و هجرت علومها ، فهو سيد علماء الهند في زمانه ، و ابن سيدهم الذي برع فضلاء عصره في هذه الخصيصة و أواله ، و أفضل روساء هذا الأقليم ، و أشهر ملوكه أهل المنصب العظيم ، خضعت له التواصي ، و شهد بكلمه الدائى و القاضى . و لم يزل ولا يزال يزيد علوم السنة رواء و فضارة ، و يفكك عقوتها بأحسن عبارة و أبلغ إشارة ، و اشتغل بها تصنيفا و تأليفا ، و طالت يده البيضاء في بنائها ترصيصا و ترصيفا .

و من خصائصه : الفصاحة في اللغة العربية دون كثير من المولدين و غيرهم ، إذا سمعت لفظه العربي خيل إليك كأنه نشاً من بادية اليمن ، أو أدبهه امرأة من علماء هوازن . حاز من اللفظ مأنوسه و تحبب غواشى التحقيق ، و اختار من الكلام أملقه بالفؤاد و تبرأ من عبائر التقليد ، وقد بلغ من اسجام المبى عند حواره و تصريف المعنى في أطواره ، من غير تكلف يتکلفه شديد ، و لا تعن فيما يحاوره بعيد إلا من اکثار النظر في نظم الكتاب و الخوض في كتب الحديث المستطاب . . . . و نشر أعلامه في أقصى الهند و أخفق لواءه على جبل السندي حتى سلم الفجول الأعلام له الفضل المبين ، و رأوه بين ظهرانيهم رئيس المفسرين ، و نعم الناصر لسنة سيد المرسلين ، و اعتقاده رأس المحدثين و نبراس الأثريين ، و هذه فضيلة لا يختلف فيها اثنان ، و لا يحتجدها أعداءه فما ظنك بالخلان .  
و يقول العلامة عبد الحفيظ الحسيني :

« علامة الزمان و ترجمان الحديث و القرآن ، محى العلوم العربية و بدر الأقطار (٢٧) »

الأقطار الهندية ، السيد الشريف صديق حسن بن أولاد حسن بن أولاد على الحسيني البخاري القنوجي ، صاحب المصنفات الشهيرة و المؤلفات الكثيرة . . . و كان غاية في صفاء الذهن و سرعة الخاطر و عذوبة التقرير و حسن التحرير ، و شرف الطبع و كرم الأخلاق ، و بهاء المنظر و كمال الخبر ، و له من الحياة و التواضع ما لا يساويه فيه أحد ، ولا يصدق بذلك إلا من تأخمه و جالسه ، فإنه كان لا يعد نفسه إلا لأحد الناس ، وهذه خصوصي اختصه الله بها سبحانه ، و منية شرفه بالتحلى بها ، فإن التواضع مع مزيد الشرف أحب من الشرف مع التكبر ، ثم له من حسن الأخلاق أوف حظ و أجل . قل أن يحمد الإنسان مثل حسن خلقه عند أصغر المتعلمين بخدمته<sup>٢١</sup> . . .

و أورد هنا الذكر ككلمة قصيرة نوه بفضائل السيد الأمير معاصره الجليل العلامة الشيخ عبد الحفيظ الكهنو الفرنسي محل ، الذي جرت بينه وبين محبي السيد الأمير مجادلات علمية رد كل واحد على صاحبه في كثير من الأمور العلمية و المسائل الفقهية التي سأذكرها في كلامي عن "السيد الأمير و معاصره" أذكر هنا كنموذج صالح مؤسس على "علم و البحث فحسب" ، فيقول :

" قد وصلت إلى رسالة مسماة بشفاء العي عما أوردكه الشيخ عبد الحفيظ ، مشتملة على الأجرة عن بعض اراداته على صاحب الاتحاف والاكسير و الحطة وغيرها من النصانيف الجليلة ، وهو العالم الجليل و الفاضل النبيل مجتمع الكلالات الانسية ، منبع الفضائل الحميدة ، النواب صديق حسن خان بهادر دام اقباله ابن المولوي السيد أولاد حسن القنوجي المرحوم" <sup>٢٢</sup> .

هذا ما أحبت أن أتقدم به إلى القارئ الكريم ليدرك بأن صاحبنا الأمير

قد احتل مكانة ممتازة في القلوب والأفئدة، يحترمه الناس عامة بأعمق قلوبهم لعلمه وفضله وخدمته للعلم والدين والخلق، وتقديم عنون ومؤازرة وحسن تدبير الحكم، ولم يكن رجلاً عالياً يختار ناحية من نواحي الحياة ويقوم بالإصلاح فيها، أو يؤثر كسرة من بيته يُولف فيها وينشر الكتب، أو يلجم إلزاديَّة يربى الجيل ويجدد الإيمان، ويبث في قلوبهم الروحانية وحلوة اليقين، أو يجعل لدى ركن من أركان الدروس ويخرج التلاميذ، أو يقوم بجولات في البلاد يعظ الناس وينصحهم بالترغيب والترهيب، ولكنه كان صلحاً كبيراً اشتضاه بأنوار بيت الشيخ ولِي الله الدهلوi وحركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وعلوم محمد بن علي الشوكاني وعلماء الإسلام الربانيين، فتجمعت فيه مواهيب شاملة، وكفاءات جمة، استطاع بها أن يختار شؤون الحياة كلها من جميع النواحي، فترفع على منصة الرياستين : رئاسة الدولة والحكم، ورئاسة الدين والعلم، فكان حاكماً ومستشاراً للأمير لا يُليث الأمر إلا باشارته، ومصلحاً دينياً ورعاً يَقوم بالأمر للعرف و النهي عن المنكر، ومربياً للآجيال بتراثية دينية سليمة، ومدرساً للعلوم، يلقى دروساً في الحلقات بأكثر الأحياء، ومؤلفاً ممتازاً أعد ذخيرة علمية كبيرة، تعد مؤلفاته بمئات، وقاد الأمير أن ينجح في مخططاته المصممة وإصلاحه العام الشامل وتحولت إمارة غير ما نراها اليوم، لو لا المكائد والدسائس والاقتراء التي نسجت خيوطها من بعض أفراد الأسرة المالكة وبعض رجال الحكم وعلماء السوء الحاسدين المغرضين، الذين همسوا في إذن الاستعمار الغاشم بأن الأمير يدبر مؤامرة وثورة ضد الانكليز و هو «وهابي» .

وهو

وتقديرًا لخدماته وامتنانا لوفائه ، وإخلاصه وعونه في الحروب مع الأعداء ، قدم الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد « الوسام المجيدى » بالرتبة الثانية ، وأثنى عليه كثيرا في رسالته مع الوسام .

وهنا أقف لحظة مع القارئ الكريم لنتظر في كلمة صدرت من إيدورد فنديك ، عن السيد الأمير ، لا أدرى من أين جاء بها :

« أصله من عوام الناس إلا أنه توصل إلى ملكة بهو بال في إقليم الدكن في الهند ، وتزوج بها وتسعى ناتبا عنها ، فعند ما اعنى بالمال جمع إليه العلماء ، وأرسل فابتاع الكتب خط اليدين كل جهة وجمع مكتبة كبيرة ، وكلف من العلماء بالتأليف ثم أخذ مصنفاتهم ونسبها لنفسه ، بل كان يختار الكتب القديمة التي لم تكن منها إلا سوى النسخة الواحدة ويغير العنوان ويدله باسم آخر ويضع على الصحيفة الأولى اسمه مع لقب الفخر » .

إن هذه العبارة جزءان : جزء يتعلق ببنسب الأمير بأنه كان من عوام الناس ، والجزء الثاني يرتبط بالكتب التي سنتكلم عنه في البحث عن مؤلفات الأمير .

عرفنا في المباحث السالفة الذكر بأن الأمير صديق حسن خان كان يتسمى إلى أسرة الهند الشريفة المعروفة بنبلها وكرمها ، وللشرفاء في الهند غاية الاحترام والتقدير ، كانت لهم سيادة وأوامر نافذة في الشعب المسلم ، كان جده الأعلى شخصية ربانية كبيرة تعرف بالشيخ جلال الدين جهانيان جهان كشت ( رحالة العالم ) وكان جده السيد أولاد على من كبار رجال الحكم في إمارة حيدرآباد الدكن ، يتولى منصبا كبيرا بالجيش بلقب « أنور جنك » ، وله أموال طائلة واقطاعية كبيرة .

وأما والد الأمير السيد أولاد حسن فقد كان من كبار العلماء وخلفاء الإمام السيد أحمد الشهيد، وله خدمات عظيمة في حفل الدعوة والإرشاد في منطقته، وأما السيد الأمير فسارت بذكره الركبان في بلاد العرب والعجم، إذا لابد من أن يكون وهما، ولا أعتقد بأن الأستاذ إيدورد كان يجهل عن هذه الأمور كلها، فالامر عندي لا يخلو من أمرین، وهما: إما أن الأستاذ إيدورد كان حاسداً حقوداً جاحداً للحق، ومنكراً للحقيقة الثابتة الواضحة، أم أنه كان عميلاً للاستعمار الإنكليزي، كتب بارشاده وإشارته ليشوء سمعة عالم هندي كبير، وصلاح ديني عظيم، وينشر إشاعات مغرضة ومفتيات كاذبة خلافه.

#### الابتلاء والمحن وأسبابهما:

أن العصر والمجتمع والبيئة والظروف التي نهض فيها السيد الأمير كانت كلها شائكة، قاسية، عنيفة، حرجة، فقد كان الإنكليز استولوا على الهند، وسيطروا سيطرة تامة بعد الثورة الوطنية التي اشترك فيها المسلمون بجهازه وقوة وشهامة وبطولة، وخسوا المعركة، فكان اليأس والقنوط من جانب، والاضطهاد والثأر والعداء من جانب آخر، وكان من وراء ذلك تاريخ الكفاح لل المسلمين في الحفاظ على حرية الهند واستقلالها وحركات العودة إلى الإسلام، وإحياء الكتاب والسنّة، مثل حركة الشاه ولی الله الدهلوی، وبعدها حركة السيد أحمد الشهيد والشيخ محمد إسماعيل الشهید، فكان الاستعمار وعملاوہ يذکرون ذلك ويسبونه الظن بال المسلمين، وبمثل هذه الحركة فای عمل اسلامی بناء، ودعوة دینية مرکزة، واصلاح المجتمع الشامل، يلفت أنظار هؤلاء المتربيين بالإسلام والمسلمين الدواز و الدمار، وكانوا يربطون ذلك بحرمات العالم الإسلامي

الأخرى ، التي نشأت في بلاد مختلفة لاحياء الكتاب و السنة و جمع شمل المسلمين و اعادة المجد و السيادة و الكرامة لسلمي العالم كما ربطوا حركة السيد الشهيد بحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب باسم « الوهابية » و نادى بها أولاً الحاكم الإنكليزي الحقوقد الدكتور هنتر في كتابه " مسلمونا الهنود " و جاء فيها بأكاذيب و أباطيل و افتراءات شنيعة ، لم يستطع السيد أحمد خان أن يسكت عليها و يتحملها ، مع ولائه و وفاته لهم ، فرد على هذا الكتاب بمقالات نشرها في جريدة « بانير » انتقد الكتاب انتقاداً علياً شديداً ، وقال أخيراً عن نفسه بعد شرح المبادئ الإسلامية وإيضاح دعوتها ، أنه " وهابي " بهذا المعنى ، ثم تبع الدكتور هنتر بعض الحсад من علماء السوء في بلادنا :

و ما أفسد الدين إلا الملوك و أحبار سوء و رهبانها

فإن الخطوات الجريئة الاصلاحية الشاملة للسيد صديق حسن خان التي ذكرناها في الأوراق السابقة ، كانت مثار ظن و موقع اثارة الفتن و سبب إيقافه عن مشاريعه المرجوة في المستقبل ، ولم يكن إساءة الظن بعد اصلاحه العام و تدبير الحكم مع السيدة الأميرة ، و صدور مؤلفاته القيمة ، و نشر مبادئ الإسلام و أحكامه بالسيد من جهة خاصة ، أو الإنكليز وحدهم ، بل كانت هناك جهات مختلفة من : العائلة الأميرية ، رجال الحكم و موظفوه ، الإنكليز و علمائهم ، وبعض المعاصرين من العلماء السوء ، وقد يقال :

« مفاسد الجهل كثيرة لا تحصى ، و المعاصرة أصل المناصرة ..»

جاء السيد الأمير من خارج إمارة بهوبار ، و توظف فيها ، ثم تقدم و ازدهر ، و تولى مناصب حكومية كبيرة التي أن صار مستشاراً و مساعداً و زوجاً للسيدة الأميرة ، و قام بأعمال ضخمة و خدمات جليلة لا يقوم بها رجل

واحد، بل أنها أعمال مجمع كبير وأمة عظيمة أو حكومة قوية، فاشتعلت في القلوب نار الحقد والحسد والداء، وتشكلت في شكاوى ترفع إلى السيدة الأميرة عن الأمير صديق حسن، ولما لم تجد نفعاً، أرسلت رسائل تهديد وانذار لقتل الزوجين وحدث فعلاء، فقد خرجا ذات مرّة في جولة استطلاعية عن أحوال الرعية ومظالم الشعب، فدس في طعامهما السم، وأصيب على الفور بانطلاق البطن والقى، ولكنهما نجا بحمد الله من أثر السم، ولما خابت قوى الشر في مؤامرتها هذه، التجأت إلى الوكالة الانكليزية والجرائد والمجلات، ترسل الشكاوى والأنباء عن سوء تدبير الأمير في الحكم، وارهاق الشعب بالظلم والاستبداد، ولقيت هذه الشكاوى صدى لدى الوكالة الانكليزية، وهي في نفس الحاكم الانكليزي. وكانت الأسرة المالكة ورجالها أطعموا الأميرة بعد زواجهما مباشرة أدوية التعقيم، عن طريق بعض نساء الفصر، كي لا تنجو ولداً فتنقل الحكم من هذه أسرة إلى أميرة السيد الأمير صديق حسن خان.

وقد عرفنا في البحث عن سيرة الشيخ جمال الدين النائب الأول للamarة، بأنه لما تقدم بطلبه للوظيفة إلى الأميرة قدسية ييگم جدة الأميرة شاه جهان ييگم لأمها، وكانت أميرة البلاد حينذاك، رفضت على أساس أنه أجنبي من خارج إماراة بهوبال.

وكان نفس هذا الشعور الذي ينتاب على الأميرة قدسية ييگم حين زواج شاه جهان ييگم بالأمير صديق حسن، وكانت حية ترزق في ذلك الوقت، وبعدها بسنوات كثيرة، فما رضيت قدسية ييگم بهذا الزواج، وواقفها في الأمر بعض رجال الأسرة، وجعلوا يشرون ولية العهد سلطان جهان ييگم، خلاف الأمير صديق حسن، ويملاون آذانها بأن سيكون

هو وأولاده أولياء العهد للحكم ، فأثرت الكلمة في قلب ولية العهد ، وكانت تنظر إلى السيد الأمير بنظرة الشك والإرتياح ، فاغتاظت وثارت خلافه ، وتمكّن في قلبه العداء والحقد عن السيد الأمير ، وقالت فيها بعد<sup>٤٠</sup> :

« وزوجت السيدة الأميرة والدتي ثانياً مع الأمير صديق حسن خان بهذه السنة ١٢٨٨ھ ، وبدأت منذ ذلك الحين تعاستي وشقائي ودور أتعابي ، ونسجت خيوط المؤامرة والتآمر لقلع حب الأم من قلبه ، فقللت حبة الوالدة وخفت يوماً فيوماً ، و الواقع بأن سنة ١٢٨٨ھ كانت شؤماً و نحساً في حياتي ، ٠٠٠ »

وبذلك بُرِزَ الحقد والعداء جلياً من السيدة الأميرة قدسية ييُّغُمْ و ولية العهد سلطان جهان ييُّغُمْ وبعض رجال الأسرة ، وبعض المعاصرين العلماء الذين كانوا وراء الستار يوقدون النار و يشعلونها بالوقود :

و من ذا الذي ينجو من الناس سالماً ولناس قال بالظنون وقيل .  
و من هنا بدت محن السيد الأمير و ابتلاءه ، و قاسي شدائده ، وأذى و إهانات و انتزاع للألقاب والسلطات ، و منع عن كل عمل إداري و حكومي ، حتى حيل بيته وبين زوجته الوفية المخلصة الأميرة شاه جهان ، فنهى عن الإقامة معها في قصرها ، فانتقل إلى قصره « نور محل » ، وكان الأمر كذلك إلى ثمانية أشهر ، فذهبت الأميرة بنفسها إلى كلاكته ، وكلمت حاكم الهند العام ، واستأذته الإقامة معه في قصرها ، فأكرمهها الحاكم وأذن لها ، ووعد أنه سيصدر الأوامر لإجراءات أخرى .

صبر الأمير على هذه المحن صبر العلماء والصالحين الأبرار ، فقد كانت ابتلاء من الله عز وجل لعبد الصابر الحتسبي ، وأمثال هذه المحن في تاريخنا الإسلامي كثيرة معروفة .

و ذكر السيد الامير هذه المحن فقال<sup>٢٠</sup> : « إن الحلاوة و اللذة التي أجدتها في المحنة والبلاء و تكسير القلب ، و أن الطرب الذي أشعر في المسكنة و عدم القدرة و العجز ، و ذكر الله والخشوع و الخضوع له في حالة المرض و الفقر و الحزن و الألم ، لا أثال ذلك في حياة الغناء الفانية ، و أسباب الرخاء و الرفاهية و العيش الرغيد .. »

و ذكر أيضاً<sup>٢١</sup> : « إنى مع الجماعى عن الناس و عدم المبالغات بسفهائهم و الأكياس ، تعترىنى عداوة الحсад . و ترثى بغضائهم من غير وجه يراد ، و أنا فى غفلة من ذلك و ذهول و جهل عما هنالك ، و لكن الله سبحانه يحفظنى في كل حين و آن ، من سوء إرادات هؤلاء ، و يصونى بمحض رحمته و عفوه عن جملة الابتلاء و المحن ، إذا لم تؤثر فهى من الله إحسان ، و أى إحسان لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك يا رحيم يا رحمن ، اللهم إن أعدائي بلغوا من عداوتهم غاية ، و إن حсадى بالغوا فى أذاى إلى نهاية ، وإن لا أقدر على دفعهم عنى ، و لا أهتم إلى الصون منهم سيلما ، و أنت تعلم بعجزى و ضعفى فكنت أنت الرقيب عليهم ، فعوضنى رغما لآنوفهم جميلا . أحفظنى عن شرورهم بما تحفظ به عبادك الصالحين ، و اجعل لي لسان صدق في الآخرين ، و لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ، و أصلح لي شأني كله يا أرحم الراحمين ، فاقبلى برحمتك أستغىث يا حى يا قيوم ، وليس لي ملاذ ولا منجا ولا مفرز ولا مهرب ولا موى غيرك عند أحد .. »

عاش السيد الامير بمثل هذه الظروف والأوضاع في حياته الأخيرة ، واستطاع أعداءه بمناصرة وكيل الحكومة الإنكليزية « السيد ديل » الاقصاء عن الديوان الاميري ومساعدة الأميرة ، و أن السيد ديل كان قد غضب لامر تافه هو أنه جاء إلى بهوال فلم تستطع الأميرة شاه جهان لاعتذار

شديدة وظروف قاسية أن ترحب به بل أرسلت السيد الأمير نيابة عنها ليستقبله ، فشعر باهانة وأصدر الأمر بأن اللقاء منذ الآن يجب أن يكون أولاً في مقر الوكيل ثم في القصر الاميري وكان الأمر على العكس<sup>٧</sup> ، وعرف الأعداء بهذا الأمر ووصلوا إلى السيد دبليو وقدموا إليه بمجموعة من أكاذيب وافتراءات عن الأمير ، وأرسل هو بدوره إلى حاكم الهند العام ، مع أنه كان يدرك تماماً بتفاهة هذه التهم وعدم صحتها ، وكان من أبرز الافترايات التي اتهم بها الأمير وهي كالتالي<sup>٨</sup> :

- ١ - ترغيب الجهاد ، ومحاقاة الحكومة الإنكليزية .
- ٢ - نشر « الوهابية » ، و الدعوة إليها .
- ٣ - أمر زوجته الأميرة بالحجاب ، و توليه الأمور بدونها ، و السيطرة على الحكم مبرراً بحجاب الأميرة .
- ٤ - مصادرة الأقطاعيات .
- ٥ - التصلب في الحكم ، العنف في التعامل مع الموظفين .
- ٦ - إقاع الأميرة بأن جدتها الأميرة قدسية يسمى تخافها و تعاديها .
- ٧ - إيقاع الخلاف بين الأميرة و ابنتها ولية العهد .

أعتقد بأن القارئ أدرك تماماً بعد قراءة الأوراق السابقة بأن السيد الأمير كان رجلاً نزيهاً مخلصاً ، محباً للخير ، وفيما للamarة والأسرة الأميرية ، ومدركاً لخطورة الموقف في الظروف التي كان يعيش فيها المسلمون تحت سيطرة الإنكليز ، وبعد أولى نظرة وجيزة على هذه التهم السبع :

- ١ - فاما ترغيب الجهاد خلاف الإنكليز ، فهو لا يعدو من أن السيد ذكر في مؤلفاته أحکام الجهاد و مواقعة كعادۃ المؤلفين المسلمين في كتابهم ،

و ترجم رسائل للعلامة السيد حسن بن جلال اليمني و السيد عبد الله بن عبد الباري اليمني ، عن الجهاد و أحكامه ، و ألف الكتب التالية : هداية السائل ، ترجان الوهابية ، اقتراب الساعة ، و الموعظة الحسنة ، الحق بها خطبة الشيخ إسماعيل الشهيد ، التي دعا فيها إلى الجهاد مع ”الشيخ“ الذين كانوا يصرون أنواعا من العذاب و الاضطهاد و الظلم على المسلمين الأبرار في المنطقة الغربية الشهالية للهند .

كانت هذه الرسائل و الكتب تقدم بها الأعداء إلى الحكم الإنكليز ، و قالوا إن السيد يبحث الناس بها للجهاد ضد الإنكليز ، و أترك للقارئ مجالا للقضاء فيها إذا كان ذلك تهسيجا للشعب ضد الإنكليز ، أو دعوة للجهاد ، ما هو الجهاد ، وما شرائطه ، و متى يعلن عنه ، و هل كان التحدث عن الجهاد و أحكامه جريمة لا تغفر ، أم هي ميزة الإسلام يقوم به أهله لاحقاق الحق و ابطال الباطل ، ورفع الظلم و الاستبداد عن الشعوب الضعيفة و نشر الإسلام و الخير و الرفاهية للبلاد .

٢ - و ترويج ”الوهابية“ فلم يكن ذلك الاسم إلا سبب يعتبرها الإنكليز و رجال الأهواء و أصحاب البدع والخزعبلات ، تنزل على رؤوسهم و قلوبهم ، فيزجعون منها و يشتمزون ، فكل من يدعو إلى العقيدة الصحيحة و التمسك بالكتاب و السنة و العرض بالتوارد على الحياة الإسلامية القوية و نبذ المبادئ الوثنية ، سمي بهذا الاسم الذي علق بذهن الإنكليز بسمعة سيئة و حرب شعواء على كيانهم و دولتهم ، و ذلك كما ذكرت سابقا بكتاب ”هنر“ الذي لقب الدعاة الصالحين إلى حياة إسلامية في الهند بلقب ”الوهابي“ و اختطفه المعرضون و المشوهون لسمعة الإسلام ، فانهموا كل داعية إلى الإسلام و رسالته الخالدة ، و كان السيد الأمير يتحلى بهذه الشيعة

الشيعة الكريمة ، فاتتهم به .

٣ - ذكرنا سابقاً بأن الأميرة كانت مشففة ثقافة إسلامية دينية ، و متمسكة بواجبات الدين و شعائر الإسلام ، فاختارت نفسها ، و عن وعي و بصيرة بالحجاب الشرعي قبل هذا الزواج الثاني ، و ازدادت بعد زواجهما مع الأمير كثراً عناية بالحجاب ، و أشد تمسكاً بالسنة و زهداً و تقىً . كانت الأميرة من أذكي النساء و أحسنهن نظماً و تدبيراً للإماراة ، و معرفة بقوانين البلاد ، وكانت ذات كفاءة و مواهب فادرة في الإشراف على شؤون البلاد و السهر على مصالحها و تسخيرها على أحسن ما يرام ، و لم تتزوج لتسير دقة نظام الحكم ، ولكن لأمرتين اثنين و هما : أولاً ، كانت متحجبة فلم ترد أن تختلط بغير المحارم و تجاوبيهم في كل وقت للنظر في الأوراق و الملفات ، فاحببت أن تجري الأمور بواسطة الزوج ، وكانت تجلس دائماً بجانب الأمير وراء الحجاب في الديوان ، تأمر و تنهى و تبث الأمور بنفسها و لم يكن الأمير إلا مستشارها الأمين و مساعد المخلص .

ثانياً ، كانت امرأة مؤمنة ، تعرف أحكام الإسلام ، و ترى أوامر الله و رسوله صلى الله عليه وسلم تحت سنكاح الآياتي و ترشد زواج الأرامل ، فتمسكاً بالكتاب و عملاً بالسنة تزوجت و اختارت زوجاً كريماً ، متمسكاً بالدين و شعائره ، لعيش عيشة دينية صالحة و حياة علمية راضية ، والأمير لم يتقدم إلى هذا الزواج بنفسه و لم يفكّر فيه و لم يقبله طمعاً بالحكم ، و طموحاً بالسلطة والإماراة ، فلم يكن ذلك من طبيعته لأنّه كان رجل علم و صاحب دعوة و اصلاح ، وهو يقول<sup>٦</sup> ،

« والله يشهد بأنني لم أقدر لأمر ما ، و كنت محترماً ، و القلب يخنق بين جوانحي هلعاً و فزعاً و حيرة و دهشة ، و لم تذكر لي الأميرة قبل

ذلك عن هذا الأمر و خضعت للأمر الواقع ، و قلت : وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

أما الاستبداد بمقاييس الأمور، فلا احتجاج إلى الرد على ذلك، فلم يكن الأمير يحبه ولا يرغب له، وإن أراد لئلاه من دون جهد و سعي، بل إن الأميرة نظراً لأخلاصه و وفاته، و حسن عمله و وفرة خدماته تقدمت إليه بأن تتنازل له عن الإمارة مدى حياته، و صدرت منها بعض الإجراءات بهذا الصدد، و الملف لا يزال بين وثائق الإمارة، ولكن السيد رفض ذلك رفضاً باتاً، وأوقف الأجزاء، ويقول<sup>٦</sup> :

«أرادت الأميرة ذات مرة بأن تستأذن الحكومة الإنكليزية لتنصيبي أميراً مستقلاً للإمارة، و صدرت بعض الإجراءات و الملف يوجد في الديوان الأميري، و لكنني استطعت بصعوبة شديدة أن أمنعها عن هذه الخطوة» .

فهل من حاجة بعد ذلك بأن تتحدث عن عدم تدخل الأمير في شؤون الإمارة و الاستبداد بها و تنحية الأميرة عن السلطة .

٤ - أما الأمر الرابع، فهناك حادثان اثنان : أحدهما يتعلق برجل من الأسرة المالكة هو الأمير محمد يسین خان، كانت باسمه اقطاعية، فتشأت منه بعض الخلاف و نقض العهد، فغضبت الأميرة و صادرت اقطاعيته، و لكن أعادته له بعد مدة .

الثاني : كان اقطاعي للفي محمد رسول، واستقرض من الأميرة قدسيّة يكّم ولم يؤده على الميعاد، فصودر عقاباً، و لكنه أعيد إليه أيضاً<sup>٧</sup>، و ليس هناك أكثر من حادثتين اثنين وقعا في عصر السيد، و لم يكن له فيه أي أمر ولا إشارة ولا نفع ولا جانية .

٥ - إن الواقع على خلاف ذلك، فقد رفع السيد الأمير الظلم و وزع الأراضي

الأراضي بين الفلاحين ، و هيأ لهم التسهيلات الكثيرة وأعفى عن الضرائب المرهقة ، نعم ، إنه طبق ما أمكن في الأمور كلها القوانين الشرعية ، وأصدر الأوامر للقضاء على المحرمات والمسكرات والإباحية والمجون والبدع والأوهام ، وإقامة الصلوات والصيام وتأدية الزكاة ، وإحياء شعائر الإسلام بأنحاء الإمارة ، فهل كان ذلك تصلباً وتشدداً .

٦ - إن للخلاف بين جدة الأميرة وبين الأميرة شاه جهان يسمى قصة طويلة ممتدة إلى أدوار ، وهي يحيى : أن قدسية يسمى كانت تنتهي إلى فرع الأسرة المالكة يحكم البلاد ، وانتقل الحكم بعدها إلى فرع آخر تنتهي إليها الأميرة شاه جهان عن طريق الأب ، فمنذ ذلك الحين أسامت الأميرة قدسية يسمى الظن بهذا الفرع وبدأت تكن له العداء ، و لأجل ذلك نشب حربان دامتان ينهما وبين خطيبها ابنته سكيندر جهان ، لأنهما كانوا يتميzan إلى هذا الفرع ، وهما : الأمير محمد منير خان الذي حارب الأميرة فأخفق ، وفسخت الخطبة منه ، والثاني : الأمير محمد جهان كبر خان الذي صار خطيباً بعده للأميرة سكيندر يسمى ولية العهد . وعاش تحت سيطرة الأميرة قدسية يسمى سجين ، فأنزعج منه وخرج مختفياً إلى مدينة سيهور وجمع جيشاً كبيراً وهاجم على بهو بال وساعدته وكيل الحكومة الإنكليزية ، خابت الأميرة و خسرت المعركة و تنازلت للأمير جهان كبر خان ، وكانت الأميرة شاه جهان يسمى بنته الوحيدة ، فبقيت في نفس قدسية يسمى حاجة ما قضتها .

و الذي زاد الطين بلة هو زواج الأميرة مع أجنبي غريب عن الإمارة على حد قوله وفهمها - هو الأمير صديق حسن فتجمع الحاسدون والناقون والمستغلون الذين يسعون في الأرض فساداً ، حول الأميرة قدسية يسمى ، و بدؤاً ينسجون خيوط المؤامرات ، ويملاون آذان ولية العهد

سلطان جهان يسّكم بأقوالهم الموجبة بأنّ الامير صديق حسن سيستبد بالسلطة ويحرّمك من العرش ، فازدادت حقا ونّفة على الزوجين ، وانحازت إلى كتابة الأميرة قدسية ، التي صارت بورة الفساد . وأتّجّت بمحاصب ومشاكل ومحن للزوجين الكريمين المؤمنين السيدة شاه جهان يسّكم والسيد صديق حسن خان .

٧ - وأما إيقاع الخلاف بين الأم شاه جهان يسّكم وبنتها ولية العهد سلطان جهان يسّكم فهو كذب وزور وبهتان عظيم ، و الله يشهد بأن السيد براء منه ، وعرف القارئ تماماً عن حسن معاملته وزهده عن تولية الإمارة والحكومة والسلطة ، ولم ي عمل ذلك إلا رضاً لله تعالى ، وخدمة للدين وأهله ، ووفاء للإمارة والأسرة المالكة التي آدرته وقدّمت له وظيفة حين كان بحاجة ماسة إليها .

كان الامير ذكر غير مرّة في وصاياه وكتبه : بأنه يحب ابنته زوجته الامير أكثر من أولاده ، ويحرص على صحتها وتربيتها وتعليمها أكثر من أولاده <sup>٦٢</sup> وأشرف بنفسه على تعليمها وتربيتها وأعدها ل يوم تولى بأزمة أمور الإمارة بعد أمها ، و درّها بعض الكتب بنفسه ، وأشار على أمها زواجهها مع الامير أحمد على خان ، الذي اختارته زوجا لها جدتها الأميرة سكيندر جهان يسّكم منذ صغرهما ، وكانت الأميرة ولية العهد ترغب الزواج الزوج معه ، فشارك بحماس وود وحنان في حفلات عرسها ، وقد اعترفت بذلك الأميرة سلطان جهان يسّكم في كتابها <sup>٦٣</sup> .

و لا يتصور بأن شخصية كشخصية الامير صديق حسن خان يكن لإنسان ما ، العداء والشر فضلاً عن ابنته زوجتها الحبيبة الوفية التي رافقتها في السراء والضراء وحين المحن والموت .

لم يكن للأمير في هذه الأيام التي ابتنى بهذه المحن ناصر ولا مؤازر ،  
ولا مستغيث إلا الله وحده ، وثم زوجته الوفية المخلصة السيد الأميرة ،  
ذكر الأمير في غاية من الحزن والتألم والاضطراب :

«لا يقر لي قرار ولا يهدأ لي بال ولا أجد خلاصا من الوصال ، و ذلك  
في شعبان ١٣٠٣ / ٥١٨٦م ففي ليلة من ليتها نمت ، ولما أصبحت  
ونهضت من فراشي كان على لسانى من غير قصد ووعى « لا تخف إنك  
من الآمنين » وحدث في الصباح التالي أيضا : كانت على لسانى الآية  
التالية : « و أرادوا به كيدا جعلناهم الأخسرين » .

و تسلم في خلال هذه المدة بعض الرسائل من محبيه و مخلصيه و كلمات  
توصية و صبر و سلوان ، و ذكروه فيها بمحن الانباء والصالحين ، والأئمة  
الكرم ، وكيف صبروا عليها و عدوا من الأبرار الأخيار ، وشعر  
بطمأنينة و سكينة ، و ثبت في هذه المحن العظيمة . ثبات الجبال الراسيات  
و يقول <sup>٦</sup> :

و يالله العجب ، يقتل رجل ، يقول : ربى الله ، ونبي محمد ، وديق الإسلام ،  
ويهدر ذمه المعصوم ، ولا يسفك دم يقلد الآراء و يتبع الأهواء ، ويحدث  
المحدثات ، ويجهد في البدعات ، ويحدد المهلكات ، و يحب الدنيا و يؤثرها  
على الآخرة ، ويدع الدين وينذر سنة سيد المرسلين ، و يحيط على أهل  
الكتاب والسنة ، ويحمى حمى الضلاله و البدعة . ويحرض الحكم على  
أذى المتبعين . ويكذب عندهم بما يسول لهم الشياطين ، فالي الله المشتكى ،  
ثم إلى الله المشتكى ، واني الآن أسأل الله العظيم الذي لا إله الا هو رب  
العرش العظيم أن يحسن ختامي ، وينيلني من خير الدنيا والآخرة مرامى ،  
وسيسددى في الأقوال والأفعال والأحوال كلها ، ويعفظني من الشرور

وأهلهما وقلها ، وجلها ، وينزع حب الدنيا وابناءها من قلبي ، وفؤادي  
وجناني ، ويخرجه من صميم خلدي . وقعر صدرى ، وعقدة لسانى حتى  
أنظر إلى الحقيقة وأفوز بمعارف العرفة بنيل دقائق الطريقة ، أنا راض  
بما قضى ، وأقف تحت حكمه ، سائلاً أن أفوز بالخير من حسن ختمه .  
رب أوزعني أنأشكر نعمتك التي أنعمت على وعلي والدى وأن  
أعمل صالحاً ترضاه ، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين .  
المرض والاتجاه بالرفيق الأعلى :

بلغت المحنة على قتها وذرتها ، والأمير صابر محتسب يذكر الله  
ويتهلل إليه ، والزوجة الوفية الأميرة شاه جهان يagem تلقن الصبر والسلوان ،  
وتخدمه بكل إخلاص ووداد ، وتسعى لتخفيض الآلام وإزالة التهم ،  
والحاكم الإنكليزي العام يدرس القضية ويقاد أن يعلن عن قضائه وحل  
الأزمة ، إذا داهمه مرض شديد ، مرض الاستسقاء ، وبدأ يشتد المرض  
ويصير المريض طريح الفراش .

وفي ليلة التاسع والعشرين من شهر جمادى الآخرة ، فتح عينيه -  
وكان أنممه تحرك كأنه يكتب ، لأنه قضى حياته كلها في الكتابة  
والتأليف ، وسأل الشيخ ذا الفقار أحمد وكان بين يديه : هل طبع كتاب  
«مقالات الإحسان» ؟ فأجاب : نعم سيصلنا بعد يوم أو يومين ، ثم أفاق  
مرة أخرى ، وسأل الوقت ، فقالوا له الساعة الواحدة من الليل ، فطلب  
الماء ، وقال أحب لقاء الله ، واحتضر ، ولفظ أنفاسه الأخيرة ، وتحقق  
بالرفيق الأعلى ، في : ٢٩ / من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٧ هـ = ٢٠ / فبراير  
١٨٩٠ م ، ودفن بقرب من حديقة «نظر باغ» بمدينة بهوبال ، وكانت  
أكبر جنازة شهدتها بهوبال في تاريخها ، وأقيم عليه حداد عام في البلاد ،  
كانت (٣١)

كانت وفاته وفاة عالم كبير، محدث جليل، مؤلف عبقري، محى الكتاب والسنة، داعية عظيم، إداري محنك، حاكم عدل، محب للخير والبر والإحسان، وحريص على الرفاهية والازدهار والرخاء للإنسانية والبشرية جماء، فلم تكن وفاته خسارة لفرد دون فرد، وإنّما خسارة دون جماعة، وفاته دون فتنة، بل كانت خسارة الأمة الإسلامية كلها،  
فاكان قيس هلكه هلك واحد ولتكنه بنیان قوم انهما  
رحم الله روحه الطاهرة، وأمطر عليها شأبيب رحمته ورضوانه، وأدخله في فسيح جناته .

السيد محمد اجتباء

جامعة الإمام محمد بن مسعود

رياض / المملكة العربية السعودية

## الهوامش :

- (١) إبقاء المن : ٩٧
- (٢) مآثر صديقى ٢: ٢
- (٣) إبقاء المن : ٨٩ ، الشیخ عبد الحمید الرحمنی مجلہ صوت الجامعۃ (ذوالقعدۃ ٩٠ - ١٣٩٢) : ٥٦
- (٤) إبقاء المن : ١٤ (٥) الشیخ حسینی هو خادم والده الوف .
- (٦) إبقاء المن : ١٤ ، ١٦ ، والآثار الصدیقی ٢: ١٤ (٧) تقصار جیود الاحرار ٠٢٨
- (٨) الشیخ زین العابدین الحسینی الكاظمی الكردی ثم الإله آبادی، كان من كبار العلماء، بُرَزَ في العلم والتقوى والفتوى .
- (٩) إبقاء المن : ١٢ والروض الخصیب : ١٦٢ (١٠) مآثر صدیقی ٢: ٩ ، ١٠ ، ١١
- (١١) مآثر ٢: ١٦ ، ١٧ ، سلسلة المسجد ٣٢ و أبجد العلوم ٩٤٠
- (١٢) سلسلة المسجد ٢٣ (١٣) مآثر ٢: ١٤ ، إبقاء المن : ١٨
- (١٤) مآثر ٢: ١٦
- (١٥) إبقاء المن : ٢١ ، مآثر ٢: ١٩
- (١٦) مجلہ صوت الجامعۃ : ٥٨
- (١٧) مآثر ٢: ١٩ ، ٢٠
- (١٨) المخطوطۃ للأمير ٢
- (١٩) الروض الخصیب : ١٦٥

- (٢٠) مأثر ٢ : ٢٢ ، (٢١) مأثر ٢ : ٢٢ ، (٢٢) الروض الخصيبي ١٦٦
- (٢٣) مأثر ٢ : ٢٤ ، إبقاء المنن ٠ ٢٦ ، ٢٥ : ٢
- (٢٤) مأثر ٢ : ٤٠ ، إبقاء المنن ٣٦ ، صوت الجامعية مقالة الشيخ الرحمنى ٥٩
- (٢٥) مأثر ٢ : ٤١ ، إبقاء المنن ٤٠ ، إبقاء المنن ٥٢
- (٢٦) مأثر ٢ : ٤٢
- (٢٧) مأثر ٢ : ٤٣
- (٢٨) مأثر ٢ : ٤٨ ، (٢٩) إبقاء المنن ٤٩ ، (٣٠) إبقاء المنن ٥٢
- (٣١) إبقاء المنن ٥٥ ، (٣٢) الخطوط للأمير ٤ (٣٣) إبقاء المنن ١٥ ، مأثر ٢ : ٦٥
- (٣٤) رحلة الصدق إلى البيت العتيق ٨٧ ، (٣٥) إبقاء المنن ٥٥
- (٣٦) مأثر ٢ : ٧١ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٨٠ ، (٣٧) نزهة الحواطر ٨ : ١٨٩ ، مأثر ٢ : ٨٠
- (٣٨) مأثر ٢ : ٧٧ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٠ ، صوت الجامعية ٦١ ، ٦٠
- (٣٩) الروض الخصيبي ١٧١
- (٤٠) تعریف من كتاب « تاج الأقبال » ، ٢٧ : ٣ - ٢٨
- (٤١) نزهة الحواطر ٨ : ١٨٤ ، ١٨٥ ، (٤٢) الروض الخصيبي ١٧١
- (٤٣) صوت الجامعية ٤
- (٤٤) مأثر ٢ : ١٠٠
- (٤٥) مأثر ٣ : ١١١
- (٤٦) مأثر ٣ : ١١٣
- (٤٧) مأثر ٣ : ١٤ - ١٥
- (٤٨) مقدمة الروضة الندية ٣ - ٦
- (٤٩) جلاء العينين في محاكمة الأحمد بن ٣٠ - ٣١ (٥٠) الحواطب عدد ٩٩ ص ٧
- (٥١) نزهة الحواطر ٨ : ١٨٧ - ١٩٢ ، (٥٢) ابراز الغنى في شفاء العي ٦
- (٥٣) اكتفاء الفنون ٤٩٧
- (٥٤) ترك سلطانى ٤٩ مترجمها
- (٥٥) إبقاء المنن ٦١
- (٥٦) الناج المكمل ٥٤٤
- (٥٧) مأثر ٣ : ١٢٨
- (٥٨) مأثر ٣ : ١٣٠
- (٥٩) الروض ١٧١ ، مأثر ٢ : ٨٨
- (٦٠) إبقاء المنن ١١٢ ، مأثر ٣ : ١٧٢
- (٦٢) كتاب الوصية ٤٢ ، مأثر ٣ : ١٩٦
- (٦٣) ترك سلطانى ٧٣ ، ٧٦
- (٦٤) الناج المكمل ٥٥٠

٠ ٠ ٠ ٠

## تجاوיב الشعر المصري الحديث

مع

### قضية الخلافة العثمانية

ان المزعنة السياسية التي منيت بها الامة المصرية سنة ١٨٨٢ قد أثرت في المجتمع المصري بل في المجتمع الاسلامي كله قضايا سياسية معقدة ومشكلات دينية واجتماعية عجيبة لم تخطر على بال الناس من قبل ، وقد تبعت من هذه القضايا والمعضلات نظريات وفلسفات جديدة ظهرت آثارها في الحياة الأدبية والعلمية والثقافية .

كانت حركة عرابي باشا حركة سياسية وطنية غايتها إقامة العدل والمساواة في الوادي وانقاذ مصر من سيطرة الأجانب من الاتراك والجراركس والانجليز ، اذا كان عرابي ضد الانجليز ضد الاتراك و ضد الطبقة الموالية لهم ، وكانت هذه الدعوة أو هذه الفكرة هي نواة للقومية المصرية أو الوطنية المصرية بمعنى الكلمة ، لقد تحمس الشعب حتى خرج إلى الشوارع ونادى بالحرية الس كاملة و طالب بالعدل والمساواة ، كما طالب بالحياة الدستورية حيث يعيش كل مواطن حرًا كريماً عزيزاً في أرضه ، لا فيها حاكم ولا محاكم ، لا سيد ولا سود بل تحرى الأمور فيها حسب ارادة الشعب وهو ، لقد وسع عرابي باشا معنى الوطنية المصرية وأخرجها من نطاق ضيق إلى نطاق واسع ، من نطاق العاطفة والحماسة إلى نطاق الفكر والخيال ، ولكن الآمال تحطمـت والأحلام تشـتـت بعد السيطرة الانجليزية لأنـها قـضـتـ علىـ الحـرـكةـ فيـ مـهـدهـاـ ، حيث نـفـيـ الأـحـرارـ وـطـردـ

الرعماء و سجن الكتاب والخطباء وأنزلت الصاعقة على الثوار من الشعب ، اذا الاوضاع السياسية قد اقلبت رأسا على عقب حيث لم تبق للخديو ولا لاصريين ولا للاتراك أية سلطة ، لا خارجية ولا داخلية ، بل بقى الحاكم المصرى لاحول له ولا طول ينظر مجرى السياسية فلا يقدر أن يغيره ، و كان الأمر كما قال الشاعر : « تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن » ، وكانت سفينة الأمة المصرية تجرى حسب هوى الانجليز لا حسب هوى الخديو و لا هوى الشعب حتى لا حسب الخليفة العثمانى .

فبدأ الشعب يفكر في مصيره و مستقبله كما بدأ يفكرون في الخطوة التي يرسمها سياساته ، فتبين له بأن الحالة السياسية لا تحسن إلا إذا قوى الشعب مليكه و انضم إلى لوائه من جديد لأن الشعب والخديو كلامها قد عرفا عاقبة الخلاف والشقاق ، ورأيا ثمرة النزاع والجدال ، و بقى كلامها يندمان على حالمها ، ويكتيان على حظهما ، وينظران إلى المستقبل ، و يبحثان عن حياة جديدة . هنا ظهرت حركة اصلاحية جديدة باسم الوطنية المصرية ، ولكنها دعت إلى الوفاق والوداد مع الخديو ، فكان لهذا الحركة الجديدة أثر بالغ في الحياة المصرية كما كان لها أثر كبير في الحياة الفكرية والأدبية ، إذا كانت هذه الحركة الجديدة تنوى بأن توحد الشعب و تقوى الصلة مع الخديو و تربط مصر بالخلافة العثمانية من جديد ، وكانت هذه الحركة خطرا على الانجليز ، لذلك كانوا يراقبون تطور الحركة بعد لأن مصالحهم السياسية تقتضي الخلاف والنزاع بين الشعب والخديو ، ولكن التيار الشعبي كان قوياً انضم إليه الكتاب والخطباء والشعراء ، كان الشعب استيقظ من جديد و نقض عنه غبار الكسل و طرد عنه البأس و القنوط ، فقام في نشاط وأمل ، و مشرق سلاحه الوفاق والاتحاد والعمل والاجتهد ، وكان يقود هذه الحركة

الحركة الجديدة مصطفى كامل و محمد فريد، و انضم إلى هذا الإتجاه الوطني الایجابي الشعرا المصريون من جميع الطبقات والمذاهب، حتى الشعرا المهاجرون الشاميون الذين لجأوا إلى مصر، وكان الشاعر الثائر خليل مطران من أكبر أنصار هذه الحركة، وهو يحاول أن يربط الشعب بالخديو ومصر بالخلافة ويبالغ في حب الخديو وحب الخليفة معا، يقول في قصيدة له :

مر في بـالـنـا فـأـحـيـاـنا كـيفـ لـوـ زـارـنـاـ وـ حـيـاـناـ  
 فـ زـمـانـ بـهـ الـبـلـادـ غـدـتـ روـضـ أـفـنـ اـغـنـ رـيـاـناـ  
 أـمـرـهـاـ فـ يـدـ الرـشـيدـ هـدـيـ وـابـنـ العـزـيزـ إـحـسـانـاـ  
 مـلـكـ سـابـقـ الـمـلـوـكـ إـذـاـ كـانـتـ اـخـمـدـاـةـ مـيـدـاـنـاـ  
 مـالـىـ مـنـ جـيـلـ قـدـرـتـهـ كـلـ قـلـبـ روـىـ وـايـاـنـاـ  
 مـنـكـ عـبـاسـ فـ تـفـرـدـهـ عـزـاـ وـ نـصـراـ وـ جـلـ سـلـطـانـاـ<sup>١</sup>

لقد ضاق الشعب المصري من ظلم الإنجليز وجورهم ولكن ماذا كان يصنع، أیشور على الاستعمار، أم يستكين ويرضى بالذل والهوان، ولكتنا نرى أن الحيرة بدأت تخف حين رأى الشعب في الأفق شعاعاً بلمع في صورة حركة سياسية يحمل لواوها الزعيم الثائر والبطل المغوار مصطفى كامل الذي وجد فيه الشعب أمله وحلمه، وكان هذا الزعيم ينادي بتقوية أواصر الود والإخاء بالخلافة، فكان مصطفى كامل حاول بأن يحيي الخليفة ويقوى الخليفة، بل أقول حاول مصطفى كامل بأن يخرج الخليفة من المصائب المشاكل حيث يخلق له الانصار والاصدقاء في الدول العربية والإسلامية، فتنزول أو تنحل العقدة النفسية التي كان يعيشه الخليفة حينذاك، فقد كان الخليفة العثماني لا حركة فيه ولا حياة، لأن الدول الاستعمارية

قد تكالبت عليه من كل جانب و حرکت ضده القريب و البعيد ، فــ  
الشعب المصرى بأن يستعين به ، فكان الأمر كــال يقال «ضعف الطالب  
والمطلوب» ، أو الذى لا يقدر بأن يدفع الشر عن نفسه ماذا يقدر بأن يدفع  
الشر عن غيره ، ولكن الشعب المصرى مع كل ذلك توجه إلى الخليفة ،  
وحتــ الخديو بأن يتقرب إليه ما استطاع ، لأن التضامن السياسى والفكري  
وهو كــفــيل بأن ينقذ الشعب من العبودية والذل ، فبدأ الشعب ينظر إلى  
الخليفة كــا ينظر الابن إلى أمه أو إلى أبيه حين الممات ، بل نرى الشعراء  
يــحاولون بأن يوجهوا أنظارــ الخليفة إلى مصر وإلى شعب مصر ، ويدركوا  
الأيام التي دامت خيولهم الاراضى البعيدة و القرية و خرت أمامهم رؤس  
الجبــارة ، وكانوا هــم بناء المجد و الحضارة ، حماة الدين و الشريعة بل حماة  
الشرق كــله . نــرى الشعراء يتضرعون أمام الخليفة أحياناً و يتذللــون أحياناً ،  
و كانت الغــالية من هذا التذلل و التضرع هي امالة قلوبهم نحوهم ، يقول  
شاعر النيل حافظ إبراهيم أو هو يخاطب الخليفة ، فتجد في هذه القصيدة  
جميع الأفكار و المعانــى التي ذكرناها :

مني أرى النيل لا تحلو موارده لغير مرتهب في الله من تقب  
فقد غدت مصر في حال إذا ذكرت جادت جفونى لها باللوتر الربط  
يا آل عثمان ما هذا الجفاء لنا نحن في الله إخوان وفي الكتب  
تركتمونا لأقوام تخالفنا في الدين والفضل والأخلاق والأدب<sup>٢</sup>  
كان الشاعر يريد أن يقول إن لعنة العبودية التي لحقت بالمصريين  
في هذه الأيام سببها الأزراك أنفسهم لأنهم كانوا يحكمون هذه البلاد  
و كانت هذه البلاد تدين لهم ، فلو كانوا حكام عدل و خير ، و كانوا  
مستيقظين حذرين ، محاسبين الأمور محاسبة جدية لما جرأ العدو أن يتقدم  
إلى

إلى أراضيهم كما لم يجرأ الشعب العربي المسلم بأن يثور عليهم في الماضي ، ولكننا نرى بأن الآذراك أنفسهم قد أهملوا هذه البلاد فعم الظلم والفوضى ، وعمت البطالة ونسى الشعب المسؤولية المفروضة عليه ، وتهانوا في كل شيء حتى انحلت العقدة وضعف المخمور ، إذا ينبغي للدولة العثمانية فإن تأخذ العبرة بالماضى فينفض غبار الكسل ، وتنظر إلى الأمور بعين الجد تحذر من الخطر وتصلح ما فات وفسد ، وتقديم بدؤ المعونة والإباء إلى المصريين فانهم إخوان لها وجنود لها في الأباء كما ينبغي لحاكم مصر الخديو بأن يسعى لقوية روابط الإباء والصادقة بال الخليفة ويسير في ركبها ويكون له يداً وعضداً ، ولو فعل هذا لكان خيراً له وللصريين وال الخليفة العثماني نفسه فيعيش الناس أحرازاً في بلادهم بهذا لهم المقام ، إلى هذا المعنى يشير شاعر مصرى آخر وهو أحمد محرم وهو يخاطب الخديو :

ان اتصاك بال الخليفة ضامن رد المغير مروعاً مظلوماً

والحجـة البيضاء في يـدك التـي فـتحت بـجالـا للـجهاد رـحـيا

يذكر هذه المعانى شاعر مصرى معاصر لشوقى وحافظ وهو أحد كاشف اعتقده أقوى عاطفة وأطول نفساً وأسمى فكرـاً من الشعراء الآخرين في هذه المعانى ، وهو يذكر ما يعانى المصريون في هذه الأيام من القلق النفسي والضيق الاقتصادي وجور العانى والغاصب ، فيحيث المصريين بأن يتوجهوا إلى الخليفة العثمانى روحـاً وقلـباً و يضعـوا يـدهم في يـده و لا يـقبلـوا لهم بـذيلـا سـواه ، حيثـذا تـنكـشف الغـمة و يـطلع بـغـرـ الحرـية و يـشعـ أـمـلـ النـجاـةـ فيـ الأـفقـ ، يقول :

يا بـسـلاـدى كـلـما نـظـرتـ عـيـنـاـيـ ماـ فـيـكـ مـنـ جـنـدـ وـأـعـوـانـ  
وـ سـطـوةـ لـلـدـخـيلـ الـمـتـعـدـ اـضـطـربـتـ روـحـيـ وـ قـرـحـ سـبـكـ الدـمـعـ اـجـفـانـ

وآخر شوقى إلى يوم أراك به فى مأمون منه بل واطول تحنانى  
 فلا تطع سوى عبد الحميد ولا نرى أميرا سوى عباسك الثاني  
 نرى أن القرن التاسع عشر والقرن العشرين من أشد الأيام في تاريخ  
 الدولة العثمانية حيث نشأت في الغرب الحركات القومية والوطنية . كما  
 نشأت فيه المذاهب الفكرية والسياسية والدينية والاجتماعية ، وكان لهذه  
 الحركات صدى في الدولة العثمانية إذا نشأت فيها حركات تطالب المساواة  
 وكما تطالب نظام الشورى الدستوري ، وطالبت الحرية الفردية ، وهذا كله  
 يدل على الوعى الشعبي واليقظة الفكرية في الدولة العثمانية ، وقد هزت  
 هذه الحركات أركان الدولة وخلقت القلق والاضطراب في كيانها ، ودفعت  
 الحكام إلى محاسبة الأمراء و دعوة الاصلاح . ولكن أقوى هزة للدولة  
 هي مطالبة فصل المقاطعات التي كانت الأكثريّة فيها للسيحيين ، وقد دفع  
 دعوة الفضل إلى اثارة الشعب على الدولة و اخراج هذه المناطق من سلطة  
 العثمانيين بالقوة . وساعدت الدول الغربية هذا الانبعاث القومي . بل الإتجاه  
 الديني . لأن مطالبة الحرية والاستقلال كانت في هذه المناطق باسم الدين  
 وباسم القومية ، وكان العامل الديني أقوى من العامل القومي آنذاك ونشبت  
 الحرب بين الأهالي و الدولة ، وكانت الدول الغربية المسيحية تساعد سكان  
 هذه المناطق بمال و العدة - بل كانت تسليحهم بالأسلحة الحديثة ، و فشلت  
 الدولة العثمانية في اخماد الثورة و القضاء على الثوار . وقامت في هذه  
 المقاطعات حكومات حرة مستقلة لأنها قد احتفظت بدينها ولغتها وتقاليدها  
 كما ورسمت حدودها ، فقد خلقت المزاعمات المستمرة في نفس الآتراك بل في  
 نفس الدولة عقدة نفسية و حيرة فكرية قلقة ، فلم تستطع الدولة بأن تملك  
 على نفسها بل بدأت ت quam من الأقليات التي كانت تسكن في الدولة العثمانية

و خاصة من المسيحيين الذين كانوا يسكنون في المناطق العربية والدروز والعلويين كذلك ، وكانت هذه النقاط بذمة عهد لإثارة الناس ضد الأتراك في الدول العربية نفسها . فكانت الجمعيات التبشيرية تساعد المسيحيين و تربتهم تربية علمية جديدة . و تعدّهم لبث روح الانشقاق والاختلاف بين العرب والأتراك ، مرة باسم القومية ومرة أخرى باسم الحرية الفردية وأحياناً باسم اللغة والحضارة والثقافة ، فكانت هي بداية الدعوة العربية ، و تطورت هذه الدعوة أو هذه الفكرة على مر الأيام فكانت نواة لدعوة الإنفصال واستقلال البلاد العربية وإقامة دولة عربية ، و اخراج الأتراك من هذه الدول لقد تطورت الفكرة و انضم إليها الأحرار والأدباء والشعراء حتى قامت المظاهرات تطالب بالحرية والحقوق العامة واسهام العرب في نظم الدولة ، أعتقد بأن هذه الخطوات كانت تمهد الثورة العربية شاملة . وكانت مساهمة شعراء الشام في هذه الحركات مساهمة فعالة ، وكان القدر قد خبا بهذه الثورة العربية في أرض الحجاز رجلاً هو شريف حسين الذي نصب نفسه ملكاً و انضم إليه الأحرار من العرب . وقد رحب شعراء الشام وأدباؤها بهذه الثورة وتصوروها طلوع غير جديد من مطلع العروبة وحسبوها بداية قيام دولة عربية موحدة و تحقيق حلهم القديم ، ولكن لم يعرفوا بأن هناك مؤامرة أجنبية قد دبرت لهم والأيادي الماكنة تلعب بهم . و هنا نام شعراء مصر مندرين هذه الثورة المفجأة و بدؤا يهاجرون الأمير شريف حسين ونادوه بالعميل للاعداء وحسبوا الثورة خروجاً على الدولة العثمانية وعدواناً على الأمة العربية والإسلامية وخرجوا في قلب الخلافة الإسلامية التي يهدف الشعب المصري إلى تحقيقها . و طلبو من الحكومة العثمانية بأن تحاسب هذا المخاري حساباً عسيراً

و كا تحاسب أنصاره من الثوار ، يقول محمد إبراهيم حافظ :

منى على دار السلام تحيية وعلى الخليفة من بنى عثمان  
و على الأولى سكنوا إلى الحسنى سوى ذاك الذى يدعى إلى عصيان  
و إلى الحجاز الخارجى ما به إلا اقتصاص الا صفر الزيان

ما للشريف المتمى حسب إلى خير البرية بنى عدنان  
أمسى عاليه و ينصر غيه و صلاله بخشالة العربان  
تلله لو جند تصالمل النقا و نزلتها بـ مواطن العقبان  
و غرسها أرض الحجـار أستـة و اسلـتها بـ حـرا من النـيران  
لدهـا كـا و رـما كـا دـزـرا كـا مـاحـى الحـصـون و مـاسـح الـبـلـدان

كان أـحمد شـوقـى الذى يـهدـى و لـامـه و حـبـه لـلـخـلـافـة العـمـانـية دائـما و هو يـتصـور  
أـية ثـورـة عـلـى الخـلـافـة خـرـوجـا عـلـى الـاسـلام و الـمـسـلمـين و حـين و حـصلـته  
الـأـخـبـار ١٩١٤ مـاـن فـقـرا فيـ الحـجاز يـرـيدـونـ الثـورـةـ ضـدـ الخـلـافـةـ العـمـانـيةـ  
فـاستـغـاثـ الـمـسـلمـينـ رـالـاسـلـامـ ، وـ طـلـبـ منـ الـخـلـيفـةـ بـأـنـ يـرـسلـ جـيشـاـ قـوـياـ  
إـلـىـ الـحـجازـ وـ يـقـضـىـ عـلـىـ الثـورـةـ قـبـلـ أـنـ تـشـتـعـلـ نـارـهـاـ وـ يـشـتـدـ أـدارـهـاـ وـ عـلـىـ  
الـخـلـيفـةـ بـأـنـ يـعـاقـبـ الثـوارـ عـقوـبةـ شـدـيـدةـ لـأـنـ الخـلـافـةـ هـىـ مـلـكـ الـمـسـلمـينـ فـيـ  
مـشـارـقـ الـأـرـضـ وـ مـغـارـبـهـاـ ، فـاـذـاـ استـغـاثـ الـخـلـيفـةـ الـمـسـلمـينـ بـأـنـهـمـ سـيـسـعـونـ  
إـلـيـهـ زـرـافـاتـ وـ وـحدـانـاـ وـ يـطـرـوـنـ إـلـيـهـ خـفـافـاـ وـ ثـقـالـاـ وـ أـنـتـ إـيـهـ الـخـلـيفـةـ لـسـتـ  
خـلـيفـةـ الـدـوـلـةـ العـمـانـيـةـ وـ حـدـهـاـ بـلـ أـنـتـ خـلـيفـةـ الـمـسـلمـينـ ، يـقـولـ عـنـ الثـورـةـ:

ضـجـ الـحـجـيجـ وـ ضـجـ الـبـيـتـ وـ الـحـرمـ وـ اـسـتـصـرـخـتـ بـرـبـهاـ فـيـ مـكـةـ الـأـمـمـ  
قـدـ مـسـهـاـ فـيـ حـمـاـكـ الضـرـ فـاقـضـ لـناـ خـلـيفـةـ اللهـ أـنـتـ السـيـدـ الـحـكـمـ  
لـكـ الـرـبـوـعـ الـتـىـ رـبـعـ الـحـجـيجـ بـهـاـ الـلـشـرـيفـ عـلـيـهـاـ أـمـ لـكـ الـعـلـمـ  
أـدـبـ أـمـرـ الـمـؤـمـنـينـ فـاـ فـيـ الـعـفـوـ عـنـ فـاسـقـ فـضـلـ وـ لـاـ كـرـمـ  
لـاـ تـرـجـىـ

لاتزوج فيه وقاراً للرسول فـا بين البغاء وبين المصطفى رحم  
 بفرد السيف في وقت يفديه فـان للسيف يوماً ثم ينصرم .  
 لقد تنبأ الشعب المصرى بأن الحركات الانفصالية التحررية في الدول  
 العربية وراءها يد أجنبية لأنها تريد أن تتحرك الأمة العربية ضد الآتراك  
 لضعف الخلافة فإذا تحررت البلاد العربية من الدولة العثمانية ، فتهاجم  
 الدول الغربية هذه البلاد و تسيطر عليها و تقسمها فيما بينها لحظة مرسومة  
 لها . أما الوعد الذى وعدتها ثوار العرب و قارته فـانها مواعيد عرقوب .  
 لأن التجارب السابقة اثبتت بأن الدول الغربية لا تتدخل في شؤون الشرق  
 إلا لحاجة في نفسها . ومن جهة أخرى كانت الدول الاستعمارية تعمل  
 الدعاية في العرب بأن الخلافة الإسلامية حقيقة ثابتة وإن أولى الناس  
 بالخلافة هم العرب لأن القرآن قد نزل في لغتهم وأن الرسول كان منهم  
 إذا العرب هم أولى من الآتراك ، وأن الآتراك قد غصبووا الخلافة غصباً ،  
 وعلى العرب أن يعيدوا الخلافة إليهم . ومن جهة ثالثة كانت الغاية من  
 هذه الدعاية خلق الفوضى والاختلاط بين العرب والآتراك ولإيقاع الجوة  
 بينهم وإضعاف الرابطة الإسلامية و الدينية ، وكان زعماء العرب في الشام  
 و العراق يتصورون بأن الثورة العربية إذا قامت فـان الأمم الإسلامية  
 والعربية تؤيدتها لأنها ثورة سياسية ودينية معاً . لأن الخلافة الإسلامية  
 إذا عادت إلى العرب تتحدد الثورة إذا نـا صاغية في العرب و المسلمين جميعاً  
 قد قوى هذا الاتجاه فكرة القومية العربية حيث نادى شريف حسين  
 للوحدة العربية وفيما بعد الخلافة في العرب . لاشك بأن هذه الفكرة  
 أو هذه الثورة قد لقيت تأييداً و ترحيباً من العرب في الشام و العراق  
 و بلاد الحجاز ، أما الشعب المصرى الذى كان يمثله الشعراء والأدباء و رجال

السياسة كلهم كانوا يحاربون هذه الثورة و يهاجمون الثوار هجوماً عنيفاً، لم يكونوا يحاربون فكرة العروبة أو الخلافة في العرب، بل كانوا يحاربون بأن أي ثورة على الخلافة في هذه الأيام التي تكالبت فيها الدول الاستعمارية على الخلافة والخليفة وال المسلمين تكون لها عاقبة سيئة في حياة العرب وفي حياة المسلمين، وتكون هذه الدول كلها لقمة سائبة للاستعمار، ودعوة نقل الخلافة ان عاصمة إلى عاصمة أو من أمة إلى أمة فهي دعوة في غير وقتها، هنا هب الشعراه يدافعون عن الخلافة و يهاجمون شريف حسين ، يقول أحمد محرم عن ثورة شريف حسين وما نتج عنه في تاريخ الأمة العربية :

نبئت ما زعم الشريف و قومه فسمعت ما لم تسمع الاذان  
فأباح ما منعت فوارس هاشم وهمت ولادة البيت من عدنان  
فإذا الجلالة لا سعدت بتاجها ملكا سواك السعيد الهانى  
أنسيتم الآيات بالغة فما لصاحف التاريخ من نسيان  
الترك جند الله لو لا بأسمهم لم يبق في الدنيا مقيم اذان<sup>٦</sup>

فقد صرخ أحمد حرم بأن ثورة الشريف حسين ليست ثورة فكرية بأن لحتها الانانية و سداها الغباوة و عدم تقدير جهود الاتراك على مر الأيام ، فالترك صانوا الإسلام و المسلمين قرون و رفعوا لواء المجد و العظمة دهورا ، لو لاهم لما كنا نسمع الأذان من المئاذن و لا نسمع ذكر الآيات في المدارس و المعاهد ، إذا نحن المسلمين لابد أن نذكر أباديهم و جيلهم إلى الإسلام ، ويقول في قصيدة أخرى عن الخلافة و الخلفاء الاتراك :

ترفع للخلافة جانبها  
وتدعمها إذا مال البناء  
تصون ديارها بالباس أنا  
وآل محمد فيها سواه  
ورثناها فاعنت المواصل  
وإن خان الحياة الآفياه

حالة الملك والإسلام فيها و جند الله منا و اللواء<sup>٧</sup>

أحد شوق الذى قضى جل عمره في قصر الخديو فكان عليه أن يكون وفياً لولاه الخديو كما كان عليه أن يكون وفياً لل الخليفة، لذلك كان ينظر إلى الخلافة نظرة اجلال واحترام، ونشر القصائد التي سار بها الركبان في الآفاق في مدح الخديو ومدح الخليفة، وكان هو أقوى بياناً من معاصريه، وكل قصيدة كان يقولها كانت صوت ضميره وبنات قريحته ودقات قلبه، فكانت العاطفة القومية تجربى فيها كما يجربى التيار في الماء أو الحرارة في الجسم، وهو يقول بأن الخلافة إذا أرسخت بنيانها وتدعمت أركانها تكون هي قوة المسلمين بل للشرق كله وهيبة ورعباً في قلوب المستعمرین وأنها تكون ضماناً لتحرير بلاد المسلمين، يقول في مدح الخليفة

عبد الحميد :

رضي المسلمين والإسلام فرع عثمان دُمْ فداك الدوام  
كيف نخصى على علاك نداء لك منك الشتا والاكرام  
هل كلام العباد في الشمس الا أنها الشمس ليس فيها الكلام  
مكان الإمام أعلى ولكن بأحاديثه يشبه الأنام  
نسمع الإمام نصر مصر مثلما ينصر الحسام<sup>٨</sup>

تفوّت المذاهب الفكرية في مصر من أوائل القرن العشرين حيث نشطت الحركات القومية والوطنية ولكن الحقيقة التي لا مراء فيها بأن الشعب المصري المسلم لم يزل وفياً لل الخليفة ولم يزل متّحمساً له ولم يتّقهّر عن الولاء والحب للخلفاء العثمانيين وقد قوّت العاطفة الدينية المصرية الممزوجة بالقومية والاتجاهات الدينية المعاندة للإسلام والمسلمين في أوروبا، اعتقاد بأن قضية الخلافة في مصر كانت كلها عاطفة، لم تكن فكرة مدمرة قوية

فهى إذا كانت رد فعل لتلك الاتجاهات القومية والدينية التي نشأت في أوروبا لخدم كيان المسلمين ولضعف روح الإسلام، فهى كانت تظهر في صورة القوميات حيناً وفي صورة المذاهب الفلسفية حيناً آخر وبواسطة الاترداد وارسالبعثات التبشيرية أحياناً.

فنهضت العاطفة الدينية لدى المصريين في صورة الخلافة لأن الدعوات الدينية تكون دائماً أقوى أثراً من الدعوات القومية الوطنية، لسنا هنا بذكر الخلافة من الناحية العلمية إنما ندرس ونبحث قضية الخلافة في تاريخ مصر الحديث من خلال الشعر العربي الجديد، الشعر فيه عاطفة وخيال فيه حب وهيات ، فليس من الضروري بأن يكون ما يقول الشعراء نامياً عن فكرة مرکزة وعن حقيقة علمية ثابتة، إذا كانت قضية الخلافة لدى الشعراء والدفاع عنها عاطفة فكان الدفاع عن الخلافة كأنه دفاع عن الإسلام أو كان الدفاع عن عاصمة الخلافة (الاستانة) كأنه دفاع عن بيت الحرام ، فالجيوش الغربية التي هاجمت الاستانة وهي إنما هاجمتها بعاطفة دينية ، متنقمة بل بعاطفة صلبة مسيحية ، لذلك حين تمكنوا بأرساخ أقدامها في الدولة العثمانية بدأت تهدم الجوامع وتدوس حرمات المقدسات وتحاول محظ الآثار الإسلامية ، حتى دقت المواقيس في الجوامع محل الأذان ، حملت الجيوش الثوار على الإعلام ، هنا قام الشعراء يعبرون عن هذه الفاجعة بعاطفة دينية إسلامية ، يصرخون صرخة عالية يستغيثون بالإسلام والمسلمون ويندبون على الحرمات وال المقدسات ويصورون الفاجعة ، ف تكون تلك القصائد سجلاً لتاريخ هذه الحقيقة وصور تلك المصائب والآلام التي نزلت بالدولة والخلافة ، بل بال المسلمين والإسلام ، نقرأ قصيدة حافظ محمد إبراهيم في هذه الصدد ، يقول وهو يخاطب الاستانة وما فيها

من المقدسات :

ايا صوفيا حان التفرق فاذكرى عهود كرام فيك صلوا وصوموا  
 اذا عدت يوما للصلب و اهله و حل نواحيك المسيح و مريم  
 و دقت نواقيس و قام من مر من الروم في محاباه يسترجم  
 فلا تشكرى عهد المأذن انه على الله من عهد النواقيس اكرم  
 تبارك بيت القدس جذلان امن ولا يامن البيت العتيق المحرم  
 ارضيك أن تغشى سبابك خيلهم حاك و أن يمك الخطيم و زرم  
 وكيف بذل المسلمين و ينهض كتابك يتلى كل يوم ويكرم  
 نبيك مخزون و يبتلك مطرق حياء و انصار الحقيقة نوم  
 عصينا و خالفنا فعاقبت عادلا و حكمت علينا اليوم من ليس يرحم  
 ولكن الامر تغير حين رأى الناس بريقا من الامل يلمع في أفق  
 تركيا « يقول الدكتور محمد حسين » في هذا الصدد ، وهو أحسن تصوير  
 لحوادث ذلك الوقت :

« و تهدأ نفوس الناس و يستيقظه الامل في قلوب كاد يقتلها اليأس  
 حين يترافق إليهم بنا ثورة الترك في الاناضول و تمردتهم على قوات الاحتلال  
 و رفضهم ما املته على تركيا من شروط مذلة قاسية في معاهدة ( سيفر )  
 و تعلق آمالهم بالبطل الشاب ( مصطفى كمال ) و هو يقود المتمردين في قتال  
 بائس مع اليونان الذين انتشروا في قرى اذ مير يرموون كل ما يصل إلى أيديهم  
 و لا يرعون لشيء حرمة . وقد انفصل عن السلطة المركزية حيث يعيش الخليفة  
 مغلوبا على أمره في القسطنطينية . و اتخذ انقرة مركز الحركة ، و دهش  
 الناس حين رأوا هذا القتال البائس ينقلب إلى انتصار حتى تم له اجلاء  
 اليونان عن الاناضول كله في أواخر ١٩٢٢ بعد أن كبدتهم خسائر فادحة

و الذي يقرأ قصائد الشعراء الذين هلوا لهذا الانتصار يحس أنهم كانوا يعبرون انتصار الاسلام ضد المسيحية كما يقول اللورد ويقل . فشوقى في قصيدة المشهور يقرن مصطفى كمال بخالد بن الوليد في أول بيت من أبياتها حيث يقول <sup>١٠</sup> :

الله اكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب  
و قد شهد العالم مرة أخرى في تاريخ البطولة التركية و الشهامة الاسلامية  
و كان القوم قد اتسموا على الله بأهم سعيدهم مجدهم الضائع ، و كان  
الشعب التركي يجاهد مع قائد زعيمه الفاتح مصطفى كمال الذي ترمى به  
الفلوات من معركة إلى معركة ، ويرحب به النصر اينما حل و نزل ، و كان  
الشعب المصرى يتربى أخبار النصر و الفتح و كان يشارك الآتراك فى  
فرحهم و ابتهاجهم و ينفعهم كما تفعل الأم على نجاح ابنها بل لم يملك  
الشعب المصرى نفسه بعد سماع الاخبار السارة الا و قد بدا يغنى كما تعنى  
البلابل بين الازهار و يصبح ملك الكنار فى الغابات فى  
نشوة الفرح و الابتهاج ، كان يلقب القائد التركى مرة بخالد بن الوليد ومرة  
أخرى بصلاح الدين الأيوبي ، فنقرأ في قصائد الشعراء ذكر جملة الخلافة  
و عظم الخايفه و حب الاسلام و المسلمين و ذكر مصطفى كمال مع اجلال ،  
مصطفى كمال هو رجل اليوم نقرأ قصيدة شوقى ترسم أمامنا هذه  
الصور و المعانى !

الله اكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب  
حدوت صلاح الدين في زمن فيه القتال بلا شرع ولا أدب  
يوم كبدر خيل الله راقصة على الصعيد و خيل الله في السحب  
تحية ايها الغازى و تهنئة باية الفتح تبقى آية الحقب  
و قياما (٣٥)

وَقِيمَةُ مِنْ زَاهِدٍ لَا كَفَاءَ لَهُ إِلَّا التَّعْجُبُ مِنْ أَصْحَابِكَ النَّجْبِ  
 الصَّابِرِينَ إِذَا حلَّ الْبَلَاءُ بِهِمْ  
 كَاللَّمِثِ عَضَّ عَلَى نَأِيَّهِ فِي النَّوْبِ  
 وَمِنْ بَقِيَّةِ قَوْمٍ جَثَّ بِالْعَجْبِ  
 شَعْبًا وَرَاءَ الْغَوَانِي غَيْرَ مُشَعْبِ  
 تَلْفَتُ الْبَيْتُ فِي الْأَسْتَارِ وَالْحَجْبِ  
 إِلَى الْمُنْوَرَةِ الْمُسْكِيَّةِ التَّرْبِ  
 بَابَ الرَّسُولِ فَسْتَ أَشْرَفَ الْعَتْبِ  
 قَصْنِي الْلَّيَالِي فَلَمْ يَنْعَمْ وَلَمْ يَطْبِ  
 مَهَارَاجَ الْفَتْحِ فِي الْمُوْشَيَّةِ الْقَشْبِ  
 يَهْتَشُونَ بْنَيَ حَدَانَ فِي حَلْبِ  
 وَمُسْلِمُو الْهَنْدِ وَالْهَنْدُوسِ فِي جَزَلِ  
 مَالِكٌ ضَمَّهَا إِلَاسْلَامُ فِي رَحْمِ  
 وَشِيجَةٍ وَحَوَاهَا الشَّرْقُ فِي نَسْبٍ<sup>١١</sup>

لَا نَرِيدُ أَنْ نَبْحُثَ مَا فِي هَذِهِ الْقُصْيَدَةِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْجَزَالَةِ، مِنَ الْعَاطِفَةِ  
 وَالْخِيَالِ وَالْخَوْضِ فِي تَارِيخِ إِلَاسْلَامِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ، لَأَنَّهُ مَوْضِعُ  
 بَاحِثِ النَّقْدِ وَالْأَدْبُورِ، الْفَنِ وَالْإِجَالِ، الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ . وَقَدْ نَجَحَ شَوْقِي  
 بِأَنْ يَضْمِنَ الْأَزْهَارِ فِي باقِةِ الْخِيلِ وَقَدْ جَصَّ نَبْضِ شَعْبِهِ وَوَضَعَ أَصَابِعِهِ  
 عَلَى دَقَاتِ قَلْبِهِ وَعَبَرَ عَنْ عَوَاطِفِ شَعْبِهِ فَكَانَهُ حَوْلَهَا فِي عَاطِفَةِ نَفْسِهِ  
 فَيَكَادُ يَنْفَجِرُ الْيَنْبُوعُ مِنَ الْجَبَلِ فَيَسْبِيلُ رَقَارَاقًا بِتَرْعِ الْخَصْبِ وَالْجَدْبِ،  
 يَسْقِي الْرِّيَاضَ وَالْغَابَاتِ . وَقَدْ نَجَحَ الشَّاعِرُ كُلُّ النَّجَاحِ فِي تَعْبِيرِ عَوَاطِفِ  
 الشَّرْقِ كَمَا يَمْا فِيهِ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُسْيِحِيُّونَ، الْمُجَوَّسُونَ وَالْهَنْدُوسُونَ . لَأَنَّ قَضِيَّةَ  
 الْخِلَافَةِ قَضِيَّةٌ دِينِيَّةٌ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ قَضِيَّةٌ سِيَاسِيَّةٌ لَأَنَّ الدُّولَ الْغَرْبِيَّةَ تَرِيدُ  
 أَنْ تَنْشَبَ أَظَافِرُهَا فِي جَسْمِ الشَّرْقِ كَمَا وَيَمْزُقُ شَمْلَ الشَّرْقِ إِرْبَا يَحْطِمُ

أمانى شعوبه . هنا يشير شوقى عواطف شعوب الشرق لتدافع عن قضية الخلافة بجحد و إيمان ، باخلاص و حماس . ولا شك أن دعوة الشعب المصرى قد لقيت قبولاً لدى الشعوب الشرقية بل صادفت هواها ، فقام الناس في كل مكان يدافعون عن الخلافة و يندون الاستعمار والمستعمرين حينما كان شوقى يرتل فصائل التى كانت تدور حول قضية الخلافة فكان الشعب يستمع إليها كما كانت الشعوب القديمة تستمع إلى حكى أبياته و يهز على آياتها و ترکع لها . هنا يأخذ شوقى مقام الإمامة و القيادة في دنيا الشعر والبيان وخاصة في مثل هذه الموضوعات التي هي وحدها ضخيرة و نحوى فواده ، و دقات قلبه الفائض الحساس . يتبع شوقى شاعر آخر وهو أيضا من أنصار الخلافة و الخلفاء و هو يهنى الآزراك و يهنى قائدتهم و زعيمهم مصطفى كمال و يسخر من اليونانيين و الأروام فيقول :

لقد ظنوا الظنون بنا سفاهـا أرادـوا البغـى و اتجـعوا الخـالـا  
كـأنـ لم يـعلـمـوا أـنـ المـناـيـاـ بـأـيـدـيـناـ نـصـرـفـهاـ نـضـالـاـ  
وـأـنـ لـنـاـ لـدـىـ الغـارـاتـ خـيـلاـ تـجـدـ بـنـاـ إـلـىـ الـمـوـتـ اـخـتـيـالـاـ  
وـمـاـ (ـالـبـوـنـانـ)ـ اـنـ جـهـلـتـ بـكـفـهـ لـنـاـ يـسـخـرـ مـعـ المـغـارـ وـلـاـ مـثـالـاـ<sup>١٢</sup>

لعيد عبد المطلب في نفس هذه الفكرة و العاطفة في المقصود و الغاية قصيدة أخرى يقول :

هـذـاـ مـقـامـكـ شـاعـرـ الإـسـلامـ فـفـقـفـ الـقـرـيـضـ عـلـىـ اـجـلـ مـقـامـ  
عـادـتـ صـوـارـ مـنـاـ إـلـىـ اـغـمـادـهـاـ  
مـنـ بـعـدـ مـاـ ظـفـرـتـ بـخـيـرـ مـرـامـ  
هـذـاـ الـخـيـفـ يـسـيرـ تـحـتـ ظـلـالـهـاـ  
خـنـمـ الـجـلـلـةـ سـامـ الـأـعـلـامـ  
ضـحـكـ الـهـلـلـ طـاـ الـغـدـةـ وـرـبـماـ  
أـجـرـىـ مـدـامـعـةـ شـوـنـ غـمـاـ  
قـفـ بـالـهـلـلـ عـلـىـ سـنـامـ مـنـ الـعـلـاـ  
فـكـانـهـ مـنـهـاـ بـكـلـ سـنـامـ  
وـقـفـ

وقف الآسنة و الصوارم تحته ظاهري و كل مقذف مرزام<sup>١٢</sup>  
 لما ضعفت الأخلافة العثمانية و فسدت نظمها الداخلية و الخارجية فتكالبت  
 عليها الدول الأجنبية و كانت الغاية الأساسية لاضعافها و هدمها و هي  
 أن يفقد المسلمون لتهم بأنفسهم حيث لا يجدوا ملجاً يأون إليه في السراء  
 و الضراء . و الخلافة على كل حال كانت حصناً للسلميين . لا شك أن  
 الخلفاء العثمانيين قد أساوا كثيراً إلى الشعوب التي كانت تعيش في ظل  
 خلافتهم ، وقد ضاق الناس ذرعاً بسوء تصرفاتهم و استبدادهم ولو كانوا  
 عقلاً بعيداً النظر رحبياً الصدر لما اشتق عليهم أحد لا عربي ولا عجمي ،  
 فالحركات الانفصالية في مصر وفي البلاد العربية الأخرى كانت الدوافع  
 الأساسية لها وهي ظلم الحكام و استبدادهم . و اهمال شؤون الناس .  
 ولكن لما رأى المصريون بأن اضعاف شأن الخلافة أو القضاء عليها  
 أشد و أغار بدأوا يفكرون من جديد . هنا نجد العاطفة الإسلامية  
 تحركت من جديد ، و نسى الناس ظلم الحكام و فسادهم . و حين رأوا بأن  
 فتاً مسلماً برد كيد الأعداء صاعاً بصاعين ، فكانه صار أمل المصريين  
 لإنقاذ الشعب المنهوك الحائز . كان الشعراًء المصريون يتصورون بأن  
 مصطفى كمال الزعيم السياسي و القائد الديني معاً . لأنّه حمل راية الجهاد  
 و النضال باسم الإسلام . لذلك كانوا يتصورون بأن أي نقد أو هجوم على  
 شخصيته مرجعه الحسد و البغى أو المؤامرة ضد الإسلام . حين تمكّن  
 مصطفى كمال في إقامة الأمن و الهدوء و في ارجاء الوطن و تطهير الأرض  
 من رجس الأعداء رأى بعض مصالحه السياسية و الحربية بأن ينقل مركز  
 الخلافة من الآستانة إلى اقرة ، رأى بعض الناس بأن هذا الإقدام ينافي  
 الدين و الشريعة و كان الخليفة المعزول وحيد الدين شبه سجين في يد

الإنجليز واليونان . وطلب الإنجليز من الخليفة بأن يأمر المفتى العثماني بأن يفتى بأن اقدام مصطفى كمال ليس ب صحيح ولا يرضاه الشعب التركي ، فقد المفتى تصرف مصطفى كمال و عده خروجا عن الدين . وكانت الغاية من هذا الفتوى و هي إثارة عواطف الناس ضد مصطفى كمال . و خلق القلق والفوضى في الشعب نهب الشعرا المصريون معتبرين عن عواطف الناس يهاجمون السلطان و حيد الدين و يهاجمون المفتى العثماني لأنه يلعب بأيدي الإنجليز و يفتى حسب هو لهم . و كان شوق من مقدم الشعرا الذين هاجموا الخليفة العميل و المفتى الضعيف ، يقول :

قم ناد انقره و قل يهندك ملك بنتت على سيف بذنك  
 هدوا دماء الأسد في آجامها و الأسد شارعة القنا يحميك  
 يا دولة الخلق التي تاهت على ركن السماك بركتها المسوك  
 يبني و بينك ملة و كتابها و الشرق ينمئي كا ينميك  
 قد ظنني اللاحق نطبقت عن الهوى و ركبتن من الجهد إذا يطريك  
 لم ينقد الإسلام أو يرفع له رأسا سوى النفر الأولى رفعوك  
 ثم يمضي الشاعر قائلا بأن نقل الخلافة من مدينة إلى مدينة ليست قضية  
 مدينة وأن نقل الخلافة من الأستانة إلى أنقرة ليس معنى ذلك بأن  
 مصطفى كمال يفضل أنقرة على آستانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه  
 قد هاجر من مكة إلى المدينة و جعلها عاصمة لدولته و مركزا سياسيا له ،  
 ولكن مع ذلك بقيت مكة قبلة للسلمين إلى الأبد . يقول في هذا المعنى:  
 ايقال فتيان الحمى بك قصرروا أم ضيعوا الحرمات أم خانوك  
 هم الخفاف عليك كالأنصار وأن قل النصر من يفديك  
 و المشترون بما لهم و دمائهم حين الشيوخ بحبة باعو  
 هدوا (٣٦)

هدروا دماء الذايدين عن الحمى بلباس مفتى النار لا مفتلك  
شربوا على سر العدو وغدرها كالبوم خلف جدارك المدكوك  
لو كنت مكة عندهم لرأيتمهم كـ محمد ورفيقه هجرة  
ثم يمضي الشاعر قائلاً كأنه يشير الناس بأن الخلافة ستعود إلى سنتها  
السمحة بجهود هؤلاء الفتىـان، وأن الناس في أدوار التاريخ قد لعبوا باسم  
الخلافة حتى انحرفت عن مركزها الأساسي :

فَلِلْخَلَافَةِ قَوْلُكَ بِالْأَمْسِ لَا أَذْنَتْ بِدَلْوَكَ  
يَا جَذْوَةُ التَّوْحِيدِ هَلْ لَكَ مَصْطَفِيٌّ  
وَاللَّهُ جَلَ جَلَالَهُ مَذْكُوكَ  
لَمْ يَغْفِرْ ضَدَكَ أَوْ يَنْمِ شَانِيكَ  
خَلَتِ الْقَرْوَنَ وَأَنْتَ حَرْبُ مَالِكَ  
يَرْمِيكَ بِالْأَمْمِ الزَّمَانَ وَتَارَةٍ  
عُودَى إِلَى مَا كَنْتَ فِي بَرِّ الْمَهْدِيٍّ  
عُمَرُ يَسُوسُكَ وَالْعَتِيقُ يَلِيكَ  
إِنَّ الَّذِينَ تَوَارَثُوكُ عَلَى الْمَهْدِيٍّ  
لَمْ يَلْبِسُوا بَرْدَ النَّبِيِّ وَإِنَّمَا لَبَسُوا طَقُوسَ الرُّومِ إِذْ لَبَسُوكَ<sup>١٤</sup>  
وَلَكِنْ كَانَتِ الْحَقِيقَةُ غَيْرُ مَا فَهَمُ النَّاسُ فِي مَصْرِ لِذَلِكَ دَافَعَ الشَّعْرَاءَ عَنِ  
مَصْطَفِيٍّ كَالَّا وَقَدْ انْكَشَفَتِ الْحَاتِقُ عَمَّا بَعْدِهِ أَنْفَقَ مَصْطَفِيٌّ كَالَّا  
الْخَلَافَةُ، وَفَصَلَ الدِّينَ عَنِ الدُّولَةِ وَجَعَلَ الْخَلَافَةَ اسْمَيَاً . لَقَدْ اشْمَأَرَ النَّاسُ  
بِهَذَا الإِقْدَامِ وَتَحِيرُوا ، بَلْ لَمْ يَصِدِّقُوا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ وَتَصُوَّرُوا بِأَنْ دِعَائِيَّةُ  
قَوْمِيَّةٍ قَامَتْ ضَدَّ مَصْطَفِيٍّ كَالَّا وَضَدَّ حَرْكَتِهِ الْإِصْلَاحِيَّةِ الْدِينِيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ  
وَلَكِنْ قَامَتْ مَصْرُ وَقَعَدَتْ بَعْدَ مَا تَأَكَّدَتْ بِأَنْ مَصْطَفِيٌّ كَالَّا قَدْ انْقَلَبَ  
عَلَى عَقْبِيهِ وَبَدَأَ يَحَارِبُ التَّقَالِيدِ الْدِينِيَّةِ وَيَحَاوِلُ بِأَنْ يَمْحُو الشَّعَائِرِ الْدِينِيَّةِ ،  
وَيَقْلِبُ الْحُكُومَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَالْخَلَافَةَ الَّتِي حَفَظَتْ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ قَرْوَنَاهُ .  
نَقْدِمُ تَلْكَ الصُّورَةَ الرَّائِعَةَ مِنَ الْمَعْرِكَةِ الَّتِي قَامَتْ إِثْرَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ بَيْنَ

كتاب مصر و شعرائها و ذلك التطور المدهش في الحياة المصرية يصور هذه الفترة الدكتور محمد حسين تصويراً جيلاً ، يقول :

و انشغلت الصحافة المصرية زمناً طويلاً يقرب من الستين بالكلام عن هذا التطور الذي طرأ على الخلافة بتجريدها عن السلطة و احتملت المعركة حين قدم مصطفى صبرى شيخ الإسلام في تركيا إلى مصر فارا من الكاليين و أراد بأن يبني المصريين إلى ما يضمره هؤلاء للإسلام و الشريعة و أهله و ما يضمرون من خبث النية و فساد الدين و إن الخلافة التي ابتدعوها مجردة عن السلطة ليست من الإسلام في شيء و إن فصل الدين عن الدولة ليس إلا وسيلة للتخلص من سلطانه و التحرر من شريعة و قيوده و تجاوز حدوده . وظن الناس وقذاك أن الشيخ مدفوع في مهاجمة للكاليين لهم بعد أن أجاء الخليفة إلى الضرار فهاجموه هجوماً عنيفاً تجاوز في كثير من الأحيان كل حدود الأدب<sup>١٥</sup> .

نشر مصطفى صبرى مقالاً يدافع عن نفسه بعد أن نشرت الصحف فأنا وصوله و سر استقبال الناس في عبارات ملؤها بالغمز واللذ . وكانت الصحف على اختلاف ألوانها و نزعاتها وقذاك تكيل للكاليين ثناء لا تحفظ فيه ولا اقتصاد . لذلك بدأ الشيخ مقاله ، مظهر العجب من أمر الناس . أصبح قائل الحق لا يقوله بينهم إلا همساً ، وبينما يجهر الفجرة بمعصيتها وينادون بالفاسد المستحيل فيجدون أذاناً صاغية<sup>١٦</sup> :

إذا قلت الحال رفعت صوتي و إن قلت اليقين اطلت همس و قد بين في هذا المقال مكان الخلافة من الحكم الإسلامي الصحيح داعياً اقامتها متسائلاً - لماذا أثارت حكومة انقره ان تختص نفسها بالسلطة الدينية و تركت الخلافة وهي اتصف تلك السلطة بصفة دينية بذلك وحده دليل كاف

كاف على رغبتهم في السلطة المادية واعتراضهم عن الخلافة الدينية ، وهو يتساءل كذلك اي ضرورة اوجبت التفريق بين السلطة وقد كان ينبغي أن يتربى على فتح ازمير اعلاه كله الله ان كان هؤلاء الكماليون جند الله كما يزعم المصريون ( فهو يقول ) اروني حكومة إسلامية تمكنت من الجمع بين السلطة والخلافة واقرها عامه شعب المسلمين عليه فردها تلك الحكومة نفسها وأبعدتها عنها كما صنعته الفئة السكانية فما رامت هذه إلا التخلص من ربة الخلافة والتبعاد عنها . وقد اشترك معظم الدين ردوا على مصطفى صبرى في الدفاع عن السكانين و الدعوة إلى نصرتهم لأن في شد ازرهم نصرا للإسلام ، و اشتركون كذلك في اتهام الشيخ و من يذهب مذهبه بأنهم يصدرون فيما يذهبون إليه في تضييق السكانين عن الهوى ، و ذهب بعضهم إلى أن نزع السلطة المدينة من يد الخليفة قد عزز نفوذه في العالم الإسلامي لأنه يعد خاصا بأمة واحدة بل صار ملكا مشتركا للسلميين جميعا ، كانت لمقالات الشيخ محمد صبرى صدى في الأوساط العلمية والفكرية والدينية وافقها نفر قليل و خالفها الجمهور لأن مصطفى كال قد ملك قلوب المصريين بفتحاته . فلم يكن يصدق أحد بأن هذا الفاتح الباسيل ينقلب عن مبدئه وعقيدته و يعلن إلغاء الخلافة وفصل الدين عن السياسة و اقامة جمهورية مقتبسة عناصرها و أصولها من المبادى الغربية ، ولم يكن الشعب التركى يقبل هذا الانحراف الظاهر . ولكن مصطفى كال قد شدد الوثاق كل من خالف مشروعاته السياسية والاجتماعية والدينية في حكومته الجديدة فكان للشعب المصرى بأن يسأى الشعب التركى في نضاله و جهاده ضد مصطفى كال ، لأن الناس في مصر

لم يحبوا مصطفى كمال ولم يتغنو مدحه لأنّه أنقذ شعبه من الذل والهوان وسان بلاده من العبودية والاستعمار وقضى على الفوضى . ولكن حين رأى بأن تلك الفتوحات لم تكن إلا كبرى خاطف انقلب الشعراء وبدأوا يهاجرون مصطفى كمال لأن الشعراء المصريين كانوا يعبرون عن عواطف الشعب في مصر بل عن عواطف الشعوب الإسلامية في العالم، فانقلبت أغاني الفرح والابتهاج بالمرأى والبكاء . كان البلابل التي كانت تغنى وتصدح بين الأزهار والرياحين حلّت محلّها الغربان والبوم، يقول شوقي :

عادت أغاني العرس رجع نواح و نعيت بين معالم الأفراح  
كفت في ليل الزفات بثوبه و دفت عند تبلج الأصباح  
شعيت من هلم لعبرة ضاحك في كل ناحية و سكرة صاح  
ضجت عليك مآذن و منابر وبكت عليك ممالك و نواح  
الهند والهنة و مصر حزينة تبكي عليك بمدمع سحاج  
الشام تسأل و العراق و فارس أخا من الأرض الخلافة ماح<sup>١٢</sup>

يقول الدكتور محمد حسين عن شوقي في هذا الصدد :

« و يغمر الحزن الشاعر عند ما يذكر هذا المسجد الذي بناه المسلمون خلال القرون خطمه رجل مفتون حين اسكنه خير النصر و حين قتله الغرور اخرجه عن وعيه فأفني في الدين بمثل هذه الجرأة التي يفني بها في ميادين القتال . كانت الخلافة تجمع الداخلين في سيادتها على البر و تحملهم على شرع الله الذي يحقق لهم السعادة ، وكانت تجمع البعيدين و النازحين من لا يخضعون لسلطانها من المسلمين في مشارق الأرض و مغاربها فتأتلف عليها قلوبهم و يلتقي عندها حنينهم و يجتمع لديها آمالهم و ترتفع إليها في الأرض شكاتهم ، لذلك كان سخط الشاعر عظيمًا على الذين أفسدوا فهـو

يهاجم مصطفى كمال في عنف لا يعدله الا تحمسه بالامس ، فن أجل الاسلام وحده قد مدحه يومذاك من أجل الاسلام وحده يهاجمه اليوم :

حسب أني طول الليالي دونه قد طاح بين عشية و صباح  
و علاقة فضمت عرى أسبابها كانت أبر علامات الأرواح  
جمعت على البر الحضور و ربما جمعت عليه سرائر النزاح  
نظمت صفوف المسلمين و خطوهم في كل غدوة جمعة و رواح  
بكت الصلاة وتلك فتنه عابث  
أفتى خزعبلة و قال ضلاله  
ان الذين حبرى عليهم فقهه  
ان حدثوا نطقوا بخرس كتابه  
استغفر الاخلاق لست بمحاجد  
ما لي اطوقه الملام و طالما  
اقول من أحيا الجماعة ملحد  
الحق أولى من وليك حرمة  
فامدح على الحق الرجال لهمو  
ان الغرور سقى الرئيس بكأسه  
نقل الشرائع و المقائد و القرى و الناس نقل كتاب في الساح  
ويختتم الشاعر قصيده بما يشبه أن يكون اعتذارا عما تورط فيه  
بالامس من مدح مصطفى كمال حين أحسن به الظن . فيقول إنه كان  
طول حياته مخلصا للخلافة لأنها العرودة الوثقى فدحهم ، ثم رأى انحرافهم  
فهاجمهم - ولم يصدر في الحالين إلا عن حبه للخلافة التي سيظل لها وفيما  
عاش ثم يحذر المسلمين من الفتنة التي يوشك أن يتورط فيها ملوكيهم وأمراؤهم

حين يتنازعون منصب الخلافة ويتنافسون عليه - فيقول :

من قائل لالسلمين مقالة لم يوحها غير التصيحة واح  
عهد الخلافة في أول زائد عن دحضاها ببراعة نضاح  
حب لذات الله كان ولم يزل وهو لذات الحق والصلاح  
إني أنا المصباح لست بضائع حتى أكون فراشة المصباح  
لا تبذلوا برد النبي لاعجز عزل يدافع دونه بالراح  
بالأس أو هي المسلمين جراحة واليوم مدد لهم يد الجراح  
فأتسمعن بكل أرض فتنة فيها ياب الدين يبع سماح  
يفى على ذهب المعز وسيفه وهو النقوس وحقدها الملتحاح<sup>١٨</sup>

ترك للقارى ليدير ما في هذه القصيدة من الجمال والبيان ، ومن الخيال  
والعاطفة ، وأقدم هنا نموذجا آخر لشاعر ليس هو أقل من شوقى في  
صدق العاطفة وبراعة الخيال ، وهو أحد محترم الذى كان يسائل الحركات  
ال الفكرية والسياسة والدينية في مصر بل كان يشارك المسلمين في أفراحهم  
وأحزانهم ، يقول عن مأساة الخلافة متدا اعمال مصطفى كمال وسوء  
سياسته و خبث نيته :

اعن خطب الخلافة تسالينا اجيبي يا فروق فتى حزينا  
هو العرش الذى استعصم منه بركن الدهر واستعليت حينا  
فأين البأس يقتحم المنايا ويلتحم الكتائب والمحصونا  
وأين الجاه يغمر كل جاه وان جعل السماك له سفيننا  
مضي الخلفاء عنك فأين حلوا وكيف بقيت وحدك خبرينا  
لقد جفع المروءة فيك دهرا أصابك في ذويك الاولينا  
أليس الدهر كان لهم لسانا اذا نطقوا وكان لهم يمينا

تمر وينقض التيجان عنهم (٤) جوانبها و كانوا الموسينا  
 اذا ورد المالك انكرتهم و كانوا للملك منكرينا<sup>١٩</sup>

لقد رثى أحمد محرم عاصمة الخلافة كما رثى الخلفاء الذين كانوا غرة في  
 جبين الدهر ترفق أعلامهم على مشارق الأرض و مغاربها ، وكانت  
 تيجان الملوك و عروشهم تهتز بذكر أسمائهم ، ها هي اليوم لا فيها أبهة الخلافة  
 ولا عظمة الخلفاء ، كيف نرثى عليك أيتها المدينة الحبيبة لم يحطم عظمتك  
 عدو ولم يدك أركانك غريب ، بل نبكي و نحزن حين نرى بأن ابا  
 من أبنائك هو الذي قلب أمرك و هز بنائك و قضى على عظمتك و جلالك  
 و دس عزتك التي تضرب بها الأمثال ، فما لك إلا الصبر أيتها المدينة .  
 لم يكتف الشاعر بسكب الدموع بل يخوض في نفسية الإنسان الذي يفقد  
 وعيه و يتلذذ بارتكاب المعاصي و ركوب الجرائم و تدفعه الهوى و الانانية  
 احيانا إلى الخيانة بالغدر و الانحراف و الانحلال فيلعب حينئذ بالأساء  
 والألفاظ حتى كلمة السياسة يشوها و يلبسها المعانى الغيرية المذكورة - يقول:  
 ولم أرك السياسة في اذاها وفي اعذارها تزجي مثينا  
 تغير على الأسود فتحتويها و تزعم أنها تحمى العرينا  
 تزيد فتحلق الأصباغ شتى و تبتعد الطرائق و الفنونا  
 و تأخذ الدم المسفوک دردا تظن زعافه الماء المعينا<sup>٢٠</sup>

بعد ذلك ينتقل الشاعر إلى فكرة أخرى وهي قضية الخلافة ومصيرها  
 حين أعلن مصطفى كمال الغاء الخلافة وطرد الخليفة من الأراضي التركية  
 وكانت السياسة الإنجليزية في تلك الأيام تسعى لنقل الخلافة من التركية  
 إلى العرب ، فقد كان الإنجليز أذكياء في هذا الاقتراح لأنهم كانوا  
 يكسبون ود العرب من جهة وخلق الفجوة العميقية بين الشعب التركي

و الشعب العربي و اضعاف الوحدة الفكرية و الدينية بين أبناء الإسلام من الجهة الأخرى، لقد فرح العرب بهذا الاقتراح كأنه صادف هواهم ، فقام في كل عاصمة عربية خليفة ، وكان من أولهم الشريف حسين الذي أعلن العصيان على الخليفة و أقام دولة عربية في بلاد الحجاز ، لقد سعى الشريف لنقل الخلافة من الأستانة إلى المدينة ، وكان يتصور بأن هذا الاقتراح سيتال قبولا لدى العرب بل لدى المسلمين جميعا ، لأن المدينة المكرمة هي مدينة يكن لها كل مسلم الحب و الاحترام في جميع أقطار العالم ، فإذا انتقلت الخلافة إلى العرب خاصة إلى الحجاز فيفرح العرب ويكون هو خليفة المسلمين و خادم الحرمين الشريفين ، لا شك بأن الشريف حسين قد وضع آنامله على الورز الحساس وكان يتصور بأنه إذا ضربه فترق قلوب المسلمين و تهز مشاعرهم ، ولكن أمنيته قد خابت لأن الدول العربية لم تسايره بل كل ملك في الأقطار العربية كان يتمسّى من صهيون فله بأن يلقب بخليفة المسلمين ، لقد تكهن الشعب المصري ما يخفى الشريف في نفسه ، فبدأ الشعراء المصريون يكشفون عن خبث نيته وأعلنوا بأن المؤامرة الإنجلizية وراء هذا الاقتراح و وراء هذه الدعاية ، أعلن الشعراء المصريون بأن الشريف حسين مخدوع و يجرى وراء آمال لا تتحقق أبدا ، و يتعزى الشاعر آخر القصيدة بأن الخلافة التي ألغيت كان أمرها قد آلت إلى أن تصبح شيئا مهزولا و رسما محينا ، بعد أن خذلها حسين بن علي و صحبه فمكرروا لها و طعنوها في صهيونها وهي التي كانت تغىث المستغيث من المسلمين و تنصرهم على الطغاة المستعمرين :

و ما نفع الخلافة حين تمسي حديث خرافه للهازلينا  
ثوت تتجزع الآلام شتى على أيدي الدهاء الماكينا  
تغىث المسلمين إذا استغاثوا و تنصرهم على المستعمرينا

فلا جد جد العرب كانوا قوى الأعداء ترمي الناصرينا  
منعنا الظلم أن يطغى عليهم خانونا وكانوا الظالمين  
نصاب لاجلهم ونصاب منهم فان تعجب بذلك ما لقينا<sup>٢١</sup>

لقد هب الشعرا المصريون جميعا يدافعون عن الخلافة ويهاجون  
مصطفي كمال هجوما يستد حينا ويخف حينا آخر، فإذا جمعنا القصائد التي  
قيلت في هذه الفترة وجدنا أكثرها تدور حول هذه الفكرة، وإن اختلفت  
طرق البيان ولكن العواطف والمعنى قد اتحدت واتفقت، إذا كان  
الشعر المصري صورة صادقة ما كان يجري في المجتمع المصري آنذاك  
ولكننا إذا درسنا موضوع الخلافة في الشعر المصري من الناحية العلمية  
والموضوعية وجدنا بأنه لم يصل إلى درجة النضج بل كان يدور حول  
عاطفة عارمة حامس ديني قوي متفجر وكانت الشعرا كانوا يعبرون عن  
عواطف الخلفاء الذين فقدوا العرش والسلطان، ولم يدرسوا القضية  
كما ينبغي بالدرس، على كل حال كان الشعر المصري يمثل الاتجاه الشعبي  
ولكن تلقى الكتاب والمفكرون هذا الموضوع وجعلوه مركزا لبحثهم  
و دراستهم ، وهذا قد انتقلت قضية من المجال العاطفي المحس إلى المجال  
العلمي ، من القضية الدينية الخالصة إلى القضية العلمية والدينية والفكرية  
بل انتقلت القضية من الظاهر إلى الباطن ، من الكلمات والألفاظ إلى  
المعانى والأفكار ، وبدا كل عالم وذكر يدرسها حسب اتجاهه ونزاعاته ،  
فعلم و مفكر ديني لا ينظر إلى الموضوع إلا بنظرة دينية خاصة فيدرس  
الموضوع حق الدراسة وبثبت بأن قضية الخلافة هي من صميم الدين  
الإسلامى ، لأن الأحكام والقوانين التي تنفذ في الخلافة الإسلامية هي  
مقتبسة من القرآن و سنة الرسول و من آراء الفقهاء المجتهدين ، فاطار الخلافة

كله دين و شريعة ، ان جار الحكم و انحرف الخلفاء في بعض أدوار التاريخ فذلك شيء آخر لاصلة له بالدين و الشريعة حتى بقضية الخلافة نفسها لأنها حقيقة ثابتة من الناحية الدينية و السياسية أيضا لأن فصل الدين عن السلطة و تقسيم الأحكام في دينية و مدنية لا يرضاهما الإسلام ، فالحضارة الإسلامية وهي حضارة إسلامية و المدينة الإسلامية وهي مدينة إسلامية ، وقد تقدمت و تطورت على مر التاريخ فهي حقيقة ثابتة لا تحتاج أى بحث و نقاش ، و كان يدافع عن هذه الفكرة العلامة رشيد رضا الذي كان من أعز تلامذة الشيخ محمد عبده بق مدة طويلة شريدا من أهل طريدا من وطنه و ذاق ظلم الخلفاء العثمانيين و لكن لم يدفعه هذا الظلم و العدوان من قبل الخلفاء العثمانيين بأن ينكر الخلافة نفسها و ليقطعها من أساسها و يسابر المتحررين المتأثرين بالفکر الغربي ، و كان رشيد رضا من أقوى أنصار الخلافة في مصر بل في العالم العربي كله ، و لكننا في نفس الوقت نجد نفرا من الناس أبدوا اعجاجهم و سرورهم بما فعل مصطفى كمال و دافعوا عن الكماليين بأدلة من العقل و الشرع ، و كان في مقدمة هذه الفتنة الأستاذ على عبد الرزاق الذي أصدر كتابا كاملا في هذا الموضوع يستمد عناصره و مواده من الفكر الإسلامي و الفكر الغربي ، و كان الكتاب يدور حول موضوع الخلافة من الناحية العلمية حيث قال : لا نجد في التاريخ الإسلامي الطويل حكومة تستحق بأن تسمى حكومة إسلامية ، لاشك اننا نجد حكومات على مر الأيام يدير أمورها الخلفاء و قد لقبوا أنفسهم بالخلفاء و حكوماتها بالخلافة ، و قد فعلوا هذا ليبلوا قلوب الناس إليهم و ليتصوروا بأن لهم مكانة دينية و مدنية ، و هم باسم الخلافة كانوا يفعلون ما كان الملوك و السلاطين يفعلون . فإذا ألغيت في العصر الحديث و حلت محلها الجمهورية ، فالجمهورية الحديثة إن راجت في

الغرب لكنها هي أقرب إلى الحكم الإسلامي لأنها تستمد تناصرها من الشوري الذي هو من صميم الإسلام، وان الخلافة التي ورثها المسلمين لا أصل لها في الإسلام، هكذا انشغلت الصحافة والكتابة في هذه الفترة، نورد في هذا الصدد ما قال الأستاذ الدكتور محمد حسين :

قد اسفرت هذه المعركة الطويلة العنيفة التي أثارها الغاء الخلافة الإسلامية وما سبقها من تطورات عن أربعة كتب، أثنتان منها يؤيدان مصطفى كمال، وهما الخلافة وسلطة الأمة - وقد نقله عن التركية عبد الغنى سنى، والإسلام وأصول الحكم على عبد الرزاق؛ وآخران يعارضانه وهم : الخلافة أو الأمة العظمى لمحمد رشيد رضا، والنكير على منكر النعمة من الدين والخلافة والأمة لمصطفى صبرى . وقد كان كتاب محمد رشيد رضا هو أسبق هذه الكتب إلى الظهور، ثم تلاه الكتاب التركي الذي ترجمه عبد الغنى سنى و تلاه كتاب مصطفى صبرى ثم كان آخرها هو كتاب على عبد الرزاق " .

وكان كتاب مصر يكتبون بأن الخلافة التي ألغتها مصطفى كمال وهي ليست ملك له بل هي ليست ملكا للأتراء الذين يمثلهم كما يتصور هو بل هي ملك للإسلامين في مشارق الأرض و مغاربها الأتراء يتجاوز عدوهم جزءين من مائة جزء من المسلمين ، وكانت محاولة الكماليين هي قطع كل الصلات التي تربط تركيا بالاسلام والمسلمين ، يقول الشيخ أحمد شاكر وهو يندد بالكماليين :

الخليفة يخلع و خلافة تلغى ، و أموال تصادر و أوقاف تضم إلى أملاك الدولة و تعليم دين يمحى ، و محاكم شرعية تغلق ، و أسرة عثمانية تطرد من آفاق البلاد و تحترم حتى من جنسيتها التركية بما معنی هذه العاصفة

الهوجاء عاطفة الجنون التي تهب على العالم في مشارق الأرض و مغاربها من عاصمة الجمهورية التركية بقرارات الجماعة الوطنية في اتفقة<sup>٢٣</sup> .

فالكتب التي ألفت و المقالات التي حررت في الرد عن الكماليين أو المجموع عليه أثارت في الوادي فكرة علمية حيث بدأ الناس يفكرون في قضية الخلافة جدياً أهي عاطفية ورائية أم هي حقيقة دينية علمية ، فالطبقة الدينية من العلماء التي تمثل الشعب المصرى تقدم إلى الناس بأن الخلافة حقيقة ثابتة لا بد للمسلمين من خليفة يستظلوها بظله و لكن الطبقة الحديثة المثقفة الثقافة الغربية أو التي نشأت في احضان الغرب و درست الموضوعات السياسية و الفلسفية و الاجتماعية ، من الكتب ألفها علماء الغرب ، وكذلك درست الموضوعات الدينية و العلمية من الكتب التي ألفها علماء المسلمين قديماً و حديثاً ، لا شك أن هذه الطبقة كانت اسلس بياناً و أقوى حجة ، وكان يقود هذه الطبقة الحديثة الاستاذ لطفى السيد الذى لقب فيما بعد (بأستاذ الجيل) وكان هو ينادى بالوطنية المصرية و يدعو إلى سياسة توافق مصلحة الأمة المصرية إذا كان هو يحاول بأن يوجه انتظار الناس إلى مصر وكان من انصاره و تلامذة على عبد الرزاق ، الدكتور محمد حسين هيكل ، الدكتور طه حسين وكانت هذه الفئة المتجددة ، فكتب المقالات السياسية و الاجتماعية تدعوا إلى تركيز جهود الناس لحل القضايا الوطنية وإقامة حكومة جمهورية علمانية تقسيس أصولها و عناصرها عن الغرب ، وكانوا ينادون بأن آية حضارة كانت أو آية ثقافة تكون ينبغي للناس بأن ينظروا إليها نظرة احترام و اجلال ، و يأخذوا منها ما يوافق نهضتهم السياسية و الاجتماعية فإذا كانت هذه الطبقة توافق الكماليين لأنهم أعلنوا حكومة جمهورية علمانية وإن مصر بدورها ينبغي بأن تحذو حذوها .

فكانَ الطبقة الجديدة المثقفة تساعد الاتجاه المتحرر و تحالف الطبقة الدينية التي كانت تمثل الاتجاه الشعبي ، حين صدر كتاب الاستاذ على عبد الرزاق « الإسلام وأصول الحكم » ثار العلماء و ثار الشعب على المؤلف ، وأعلنت هيئة كبار العلماء الأزهر القرار المشهور ضد على عبد الرزاق و ضد كتابه المشهور ، وكان هذا القرار في المحرم ١٢٤٤ المطابق أغسطس ١٩٣٥ باخراج الشیخ على عبد الرزاق أحد علماء الأزهر و القاضی الشرعی بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية و مؤلف كتاب « الإسلام وأصول الحكم » من زمرة العلماء ، و زاد الأمر تعقيداً أن مؤلف الكتاب ينتمي إلى أسرة كانت تعتبر من أركان حزب الدستوريين المشتركين في الحكم و قتذاك مع حزب الاتحاد الذي أنشأه القصر ، وكان ترتيب على قرار علماء الأزهر الذي أخرجه من زمرة العلماء أن يفصل من وظيفته لأنها يقوم بالقضاء الشرعی بوصفه من علماء الدين ، وقد انتهت منه هذه الصفة بذلك الحكم ، وكان وزير الحقانية ( العدل ) آنذاك من الدستوريين وهو عبد العزيز فهمي ، فرفض تنفيذ الحكم و عند ذلك عزله الملك ، فاستقال وزراء الدستوريين من الوزارة احتجاجاً على عزله و تصايناً معه<sup>١٢</sup> .

لا شك أن افدام علماء الأزهر و قرارهم و أمر الملك فؤاد بعزل على عبد الرزاق من الوظيفة كان قائماً على العاطفة السياسية الموقته ، فقد أثار هذا القرار الطبقة المثقفة المتحررة المفكرة التي كانت تريد أن تسود في الفكر المصرى الآراء العلمية الحرة و أن تحل النظريات و الاتجاهات الحديثة المتعددة محل التقليد ، وكانت هذه الطبقة تقدم يوماً بعد يوم لأنها كانت تناهى بالجمهوريه مكان الارستقراطية كما كانت تطالب الابتكار و الابداع في الآراء السياسية و العلمية و الأدبية حتى الدينية أيضاً، فبدأت

هذه الطبقة تهاجم الملك فؤاد وعلماء الأزهر بل أقول: بدأت تهاجم الآراء القديمة هبوما عنيفا فكأنها كانت تناصر الاتجاه المسار للكلاليين وتعارض الاتجاه المغایر له ، وقد كتب طه حسين مقالا عنيفا يدل على جرأة هذه الطبقة ، وكان هذا المقال في تأييد على عبد الرزاق والهجوم على علماء الأزهر و القصر معا ، يقول :

«ستعرف أفي مصر دستور أم بهتان وزور، أ يستطيع الناس أن يفكروا أحرازا ويكتبوا أحرازا وأن يعيشوا أحرازا أم هم مأخذون بلون من التفكير والحياة، يؤمنون ما حرصوا عليه فان عدوه وأعرضوا عنه فوبل لهم من عذاب اليم، ايها الطريد من الأزهر تعال تحدث ضاحكين عن هذه الفحصة المضحكة قصة كتابك و الحكم عليه، و عليك ر طردك من الأزهر ما بال رجال الأزهر لم يقضوا على كتابك بالميزيق فقد كان يلزم أن نرى نسخة من كتابك في صحن الأزهر أو أمام باب المزينين أوفي ناحية أخرى من هذا الانحصار التي لا يأتتها ولا يصل إليها المذكر ولا يسعى إليها إلا الأمراء، ثم تضرم فيها النار، و دعنا تحدث في الحريقة، لا تكن أزهريا فقد أخرجت من الأزهر، تعال نجد فقد آن لنا أن نجد ما هذه الهيئة التي اخرجتك من الأزهر وما سلطتها الدينية؟ على أي آية من كتاب الله تستند؟ أركن من أركان الإسلام كلامامة كلام هي بدعة لا يعرفها القرآن الكريم ولا تعرفه السنة المطهرة ولا النظم الإسلامية » .

ولكن الغريب المدهش بأن أنصار التجدد لم يجدوا آذانا صاغية في طبقة الشعراء لذلك لازرى شاعرا من الشعراء المصريين ناصر هذه الطبقة التجددية أو عبر عن عواطفها وآرائها ، بل بقى الشعراء كلهم يدافعون عن

عن الخلافة و يهاجرون السكالين وأنصارهم ، و السبب في ذلك بأن الطبقة الجديدة المطلقة كانت ت يريد التغيير و التبدل حتى في عناصر الشعر و هيكله و دعت الشعراء بأن يكونوا أحراراً في آرائهم و عواطفهم ولا يكونوا بوقاً لطبقة أو هيئة ، وقالوا بأن الشعر القوى الخالد ينبغي أن يكون بذلت قريحة و فيض خاطر ، إذا كانت الطبقة المتقدمة تحارب الأمور القديمة و التقاليد العتيقة في السياسية و الاجتماع في الأدب و الدين في الفن و البيان ، حتى في العاطفة و الخيال ، و الشعر العربي لم ينضج بعد حيث يكون الشعراء مؤثرين غير متأثرين قائلين لا مقودين إذ الشعر العربي - لا أقول : الشعر المصري - لم يبلغ المستوى الفكري الذي كان تطالب به هذه الطبقة الجديدة بل بقى الشعر يدور حول المحور القديم يقتبس بعض عناصر الفكر من الغرب إيسار الحياة المصرية ، و يرى في ذلك خدمة للأدب و الشعر و خدمة للشعب و الأمة ، فالشاعر الحقيقي عندهم الذي يسأر الحياة الشعبية منها كانت هذه الحياة وفي نفس الوقت يسأر الحياة الفكرية وبها كان لونها ، لذلك نرى أن هؤلاء الشعراء الذين كانوا يمثلون الاتجاه الشعبي نالوا اعجاب الناس و تقديرهم لا في مصر فحسب بل في البلاد العربية جائعاً ، فلم تزل سمعة البارودي و شوقى و حافظ و مطران و أحمد محرم و الكافش إلى يومنا هذا ، وقد تغيرت و تبدلت المدارس الأدبية و الشعرية ولكن لم ينل من الشعراء الجديد إعجاب الناس و تقديرهم كما نال هؤلاء الشعراء .

قد حاولنا أن ندرس تطور قضية الخلافة في الحياة الإسلامية و العربية و خاصة في الحياة المصرية لأننا في صدد دراسة الشعر المصري الحديث و صلته بحياة العامة وكانت قضية الخلافة من أهم القضايا السياسية و الدينية شغلت أذهان الناس حيناً من الدهر و شغلت أقلام الكتاب

وألسنة الشعراء مدة من الزمان ، ولكن يبدو بأن هذه القضية بقيت مدة من الزمان حديث الناس ثم جعلت تصمحل وتختفى عن مسرح السياسة بعد أن تمكن مصطفى كمال باقامة الأمن في الجمهورية التركية وأن الجهد الذى بذلت فى سبيل إعادة الخلافة كلها فشلت وسكت الكتاب الشعراء بعد حين ، و هدأت العواطف الثائرة بعد اليأس ، و تغلب مصطفى كمال على جميع المشاكل و المتاعب التي حالت فى سبيله ، و بعد أن اختفت كلية الخلافة و الخليفة في المسرح الشعبي نجد مكانها كلمات تعود الناس بذكرها واللهج بشأنها و التغنى بها ، و رددتها الشعراء و الكتاب وكثير استعمالها في الجرائد و الصحف ، وهى الجمهورية ، و الديمقراطية ، و الحياة الاشتراكية ، والعروبة ، و الوحدة العربية ، بل نجد روح العربية المتطرفة في الشعر العربي الذى ظهر فيما بعد ، و يكمن كلامنا من هذه الناحية فيما بعد .

الدكتور محمد راشد الندوى

جامعة عليگره الإسلامية

### المواضيع

- (١) ديوان خليل مطران ج ٢ ص ٨٦ (٢) ديوان حافظ ابراهيم ج ١ ص ٢٢٠
- (٣) ديوان كاشف ج ١ ص ١٣٢ (٤) حافظ محمد ابراهيم / ١ ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥
- (٥) ديوان احمد شوقى / ٢ ١٣٦
- (٦) ديوان احمد محروم (خطوط) الاتجاهات في الأدب العربي المعاصر ١/١
- (٧) ديوان احمد محروم / ٢ ١٨٥ (٨) ديوان احمد شوقى / ٣ ٣٠٢
- (٩) ديوان حافظ محمد ابراهيم / ٢ ٨٨ ، ٨٩
- (١٠) الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر ١٩/٢ : الدكتور محمد حسين
- (١١) ديوان شوقى / ١ ٦٦ ، ٦٥ (١٢) ديوان عبد المطلب ٣ / ١٩٨
- (١٣) ديوان عبد المطلب ٢ / ٤٥٣ (١٤) ديوان شوقى ١٩٦ - ٤٠١
- (٤٠) الاتجاهات

- (١٥) الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر ٢٤/٢
- (١٦) الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر ٢٤/٢
- (١٧) ديوان شوق ١١٤/١
- (١٨) ديوان شوق ١١٥/١
- (١٩) ديوان احمد حرم (المخطوط) نقا ، الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر ٣٠/٢
- (٢٠) ديوان احمد حرم : نقا عن الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر ٣١/٢
- (٢١) ديوان احمد حرم : مخطوط : ص ٣٨
- (٢٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر ٢/٤ : الدكتور محمد حسين
- (٢٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر ٢/٣٢ : الدكتور محمد حسين
- (٢٤) الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر : ٢/٥٥
- (٢٥) جماعة ابولو واثرها في الشعر الحديث ص ٢٦٩ - تأليف عبد العزيز السموسي .



## المستعرب الإيطالي أو مبرتو ريتستانو

بين الأنباء السيئة أنباء تهبط على المرء هبوط الصاعقة ، و ترك لديه  
ذهولا لا يفيق منه بسهولة .

كذلك كان وقع الرسالة التي حطها إلى البريد الإيطالي من الصديق  
فتحى مقبول ، في روما ، و تارikhna ٢/٨ / ١٩٨٠ ، وفيها نبأ وفاة الصديق  
الجميم ، والأخ الطيب ، والرفيق الحبيب ، المستعرب أو مبرتو ريتستانو .  
كان أسهل على أن أتوقع أي نبأ آخر ، منها جل شأنه ، وأن  
أصدقه ، وأما ريتستانو ، فالرغم مما أعرفه من أمراضه التي كان يشكو منها  
في بعض رسائله ، لم أكن أتوقع ، ولا كان يمكنني أن أصدق أنه سيتوارى  
بهذا الشكل ، وفي هذا الوقت . وعلى الرغم من أنني الآن أحمل القلم  
وأكتب رثائى وداعى له ، لست قادرا على أن أصدق أنه مات ،  
ويذهلى حقا أن يموت .

الناس كلهم يموتون ، هذا صحيح وحق . ولكن ريتستانو كان أطيب  
من أن يستحق الموت في سن مبكرة ، وهو لم يتتجاوز السابعة والستين  
من العمر ؛ وكان عمره كله شعلة من نشاط وحركة وحياة ومرح وضحك .

تقول رسالة الصديق فتحى مقبول :

«أكتب إليك هذه الرسالة و كان القدر يريد أن أنقل إليك أنباء  
فقدان أصدقائك وأعزائك في إيطاليا . فلم يمض أكثر من عام على  
رسالتى التي نعىتك فيها الصديق ( هغاتى ) ، حتى أسمع اليوم بالذات

خبراً ارتعدت له مشاعري . أنه نبأ وفاة الصدوق العزيز و المستعرب الكبير أوزميرتو ريتستانو . لقد علمت بالأمر قبل ساعة فقط ، ولم أصدقه إلا بعد أن اتصلت بمهد الشرق فأكملت الخبر المحزن » .  
ويضيف فتحى أن ريتستانو قد رحل « بعد مرض قصير ٠٠٠٠ و من المؤكد أن الدراسات العربية قد فقدت بموته ريتستانو علماً من أعلامها يصعب تعويضه » .

حقاً . ليس من الممكن تعويض ريتستانو في إيطاليا ، و المكان الذي خلا بوفاته لن يملأه أحد من بعده . و ليس في هذه شيء من المبالغة ، بل هي الحقيقة التي يعرفها كل من عرفوا ريتستانو ، و عرفوا أنه وقف حياته كلها ، و دروسه كلها ، و بحوثه كلها على دراسة تأريخ الحضارة والثقافة العربية في صقلية . أنهم يعرفون أنه كان وراء كل مؤتمر ، و كل ندوة ، و كل لقاء للدراسات العربية في إيطاليا ، و وراء كل عمل يجمع العرب و الإيطاليين في لقاء في إيطاليا عامة ، و في صقلية خاصة .  
و كان ريتستانو مرجعاً من أرقى المراجع في كل ما يتعلق بحضارة العرب و ثقافتهم في إيطاليا ، و لاسيما في صقلية . حياته كلها و هبها للعرب و حضارتهم و ثقافتهم .

ولكنه سقط أخيراً في الميدان كما يسقط الفارس الباسل في اوج استعداده للقراع ، سقط القلم في يده ، بعد أن عاد من جولة في مصر ، و أبوظبي ، و الجزائر ، و البنديقة ، محارباً في ميدان الحضارة العربية . و على الرغم من أنه تعرض لأمراض و مصاعب غير قليلة في الأعوام الماضية ، لم يعرف الإسلام ، و لا واهنت عزيمته .  
و هنا أعود إلى بعض رسائله التي تلقيتها في الأعوام الأخيرة ،

و أقرأ فيها ما يلى :

١ - من رسالة بتاريخ ١٩٧٧ / تموز / ١ :

« وأخيراً أستطيع أن أعاود الاتصال بعمل وبأصدقائي البعيدين ، لقد اجتازت أوقاتاً عسيرة ، بدأت أولًا باضطرابات فلية لدى زوجتي ، ثم بالتهاب رئوي حاد لدى أنا . وقد عبر كل ذلك الآن ، بحمد الله ، ولكن ليس دون أن يتركني في أزمة ، لم ينج فيها حتى عملي من الضرر . ولكن هذا من أيضا بحسن الإرادة وأصبح شيئاً من الماضي » .

٢ - من رسالة بتاريخ ١٩٧٨/١٢ :

« شكرًا لدعوك إباهى إلى الكتابة لمجلة بجمع اللغة العربية الأردنى ، الذي أنت أمينه العام بمقداره . وأرجو أن أتمكن من تحقيق رغبتك ضمن الزمن الذي حدده لي ، فأنا الآن مرهق بالعمل ، وقد أخذ بصرى يقلقنى بسبب إصابتى بالماه الأزرق ، وهذا قد ينضج خلال بعض سنوات ، ثم لا بد عندي من جراحة لازالته . وكما ترى ، لقد بدأت الشيخوخة تفرع أجراس إنذارها ، فعسى أن لا تكون هذه الأجراس كثيرة !»

٣ - من رسالة بتاريخ ١٩٧٩/٩ : ( بعد عودته مع زوجته من الصيف في الشمال الإيطالي ) :

« هنا نعود أخيراً إلى باليرو بعده شهرين كاملين من عطلة مثل ، حتى الطقس كان حليفاً لنا ، فاستطعنا بذلك أن ننعم بفترة مثالية . وها نحن نستعد للنشاط الجديد : في أكتوبر سأكون في القاهرة ، وفي نوفمبر في أبو ظبي ، وفي ديسمبر في البندقية لأحد المؤتمرات ، وفي يناير في الجزائر . ومع الرسالة رسالة أخرى موجهة إلى فدوى طوقان ، يرجونى أن أوصلها إليها لأنه فقد عنوانها .

وقد حقق ريتستانو هذه الجولة كاملة، وعاد منها ليرقد رقته الأبدية .  
٤ - وتبقي الرسالة الأخيرة، وتاريخها ١٢ / ١٠ / ١٩٢٩، أي قبل  
شهرين فقط من وفاته، وفيها يقول :

«تأخرت في إجابتك لأنني ما بين مصر والامارات العربية، ورئاسة  
معهد الشرق، وعملي في باليرمو، لم أعد أستطيع أن أنظم مواعيد مراسلاتي» .  
ثم يرد على بعض ما جاء في رسالة سابقة مني إليه حول رغبتي في  
نشر كتاب له كنت قد ترجمته إلى العربية . ويختم الرسالة بمعايدتي وأسرتي  
بمناسبة عيد الميلاد والعام الجديد .

هذه كانت آخر رسائله إلى، ثم كانت النهاية الفاجعة التي فجعني  
برحيله وهو أرفع ما يكون نشاطاً وحركة وحيوية، وأكثر ما يكون  
اقبالاً على العمل، وعلى الأسفار، وعلى البحث والدرس، وأشد ما يكون  
رغبة في عقد اللقاءات والمؤتمرات بين الباحثين العرب والإيطاليين .  
لقد كان ريتستانو رابطة وثيقة العرى بين إيطاليا والبلاد العربية،  
عن طريق اللقاءات التي كان يسعى إلى تهيئتها بين الباحثين والمحركين من  
كل الطرفين .

.....

رجوع بداية صلائى بريتستانو الى يوم السبت الحادى عشر من شباط  
سنة ١٩٦١ - أي قبل عشرين سنة كاملة - يوم وصلت بالبحر إلى مدينة  
باليرمو، عاصمة جزيرة صقلية، قادماً من مدينة كاليارى، عاصمة جزيرة  
مردينيا . وكانت في بعثة أدبية على نفقة منظمة اليونيسكو ، للتعرف بالحركة  
الأدبية والثقافية في إيطاليا، والاتصال بالأدباء والشعراء والمستشرقين  
الإيطاليين .

كان

كان لي من زيارة باليرمو غرضان :

الأول : التعرف بالمستعرب الشهير أو هيرتو ريتستانو  
والثاني : القيام بجولة في أنحاء الجزيرة الصقلية التي حكمها العرب قرنين  
من الزمن ، و بقيت فيها حضارتهم و ثقافتهم نحو قرنين آخرين ، كما بقى  
الكثير من آثارهم العمرانية إلى اليوم في أماكن متعددة من الجزيرة .  
و كان ريتستانو خير من يستطيع أن يحدّثني عن تلك الحضارة الزاهرة ،  
ويطلعني على بعضها .

و لقد زرت ريتستانو ظهر اليوم الأول لوصولى ، و التقى عندة  
بالمستشرق البريطاني المعروف (أي . س . تريتون) . و شاء ريتستانو  
أن يأخذنا في سيارته بعد الظهر ليطوف بنا في مدينة باليرمو أولاً ، فيرينا  
قصر القبة ، و قصر العزيزة العربين ، و جرسية كنيسة هناك ، كانت من  
قبل متذلة ، و ما تزال على حالها منذ العهد الإسلامي . ثم انتقل بنا إلى  
قرية مونزيالي ، على رأس جبل مرتفع على مقربة من باليرمو ، حيث شاهدنا  
رواقاً عربي الطراز إلى جانب الكاتدرائية النورماندية التي بناها صناع  
عرب ، وأثر الصناعة العربية بارز فيها ، حتى في صورة السيد المسيح  
البدوي الوجه ، في قبة الكنيسة فوق الهيكل .

و في اليوم الثاني أخذنا ريتستانو في جولة أخرى ، فزرتنا كنيسة  
المارتورانا ذات المئذنات العريضة المذهبة الرائعة الطراز ، المحفورة في سقف  
الكنيسة . وهي في قصر الحكومة الذي كان يوماً يضم بين العاملين فيه  
الجغرافي العربي الشهير ، الأدريسي ، صاحب الخريطة الجغرافية المقلوبة ،  
و صاحب كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) الذي وضعه للملك  
النورماني روجار .

وفي معهد الدراسات الشرقية في جامعة باليرمو، الذي كان ريتستانو عميده حتى وفاته، كانت له جلسات مع هذا المستعرب الكبير، استفادت فيها كثيراً من علمه، وغنم من لطفه وبشاشة ما وطد الصلة بينه وبينه! فكانت بينما بعده مراسلات استمرت عشرين عاماً، دعاني ريتستانو خلاطاً مراراً إلى القاء محاضرات في جامعة باليرمو، ورتب مع زملائه في معاهد الدراسات الشرقية في جامعات نابولي، وروما، والبنديقية جولة عام ١٩٦٦ أقيمت فيها محاضرات بالإيطالية في كل تلك المعاهد. ولم يدع فرصة تفوت دون أن يدعوني، أو يوصي بدعوني، إلى المشاركة في كل مؤتمر يعقد في إيطاليا، فلقد كان هو دائماً وراء كل مؤتمر أو لقاء ثقافي عربي - إيطالي هناك، أو كان هو واحداً من يهيئون الظروف مثل هذه اللقاءات، ومن يعملون بحب وحرارة لأجل نجاحها.

عشرون عاماً من الصداقة الوثيقة بين ريتستانو وبيني، أنا مدين فيها كثيراً لريتستانو. ويجب أن أعترف بأنه كان وراء الكثير من آيات التكريم التي أقيمت لي، ولا سيما في باليرمو وأ هو الذي رشحني للدكتوراة الفخرية في الآداب التي منحتنيها جامعة باليرمو سنة ١٩٧٦، وهو الذي كان يراهنني ويقدمني في المحاضرات التي أقيمتها هناك، وفي الندوات التي شاركت فيها في صقلية. وفي مؤتمر البنديقية الذي عقد عام ١٩٧٦، وشارك فيه أكثر من خمسة وعشرين باحثاً عربياً، أصر ريتستانو على أن يترجم ترجمة فورية إلى اللغة الإيطالية الكلمة التي أقيمتها بالعربية عن أعمال العرب المشغلين بالثقافة الإيطالية.

وحين كان يعد كتابه ( دليل الطالب العربي في قواعد اللغة الإيطالية ) بتكليف من الإذاعة الإيطالية، كان يكتب فصوله ويعدها إلى (٤٢)

إلى بالبريد الجوى أولاً فأولاً لكي أراجعها وأضبطها وأعيدها إليه . لقد كان يثق بي ثقة متينة ، وكانت أراجع له الفصول وأضبطها وأعيدها إليه حالاً . وقد اعترف هو بجهدى - كما تقتضى الأمانة العلمية - مسجلاً اعترافه هذا في المقدمة الإيطالية التي وضعها لكتابه ، وكذلك في الصفحة الأولى من القسم العربي ؛ كما طلب إلى أن أكتب مقدمة عربية لكتابه . وفي أعماله الأخرى كان النقاش يدور بيني وبينه بصرامة الأخ لأخيه ، وكان يتقبل ملاحظاتي وانتقاداتي بصدر رحب ، وبمودة لا حدود لها . وهكذا ظلت المودة بيننا عشرين عاماً أو ثق وأصف ما تكون . و كثيراً ما طلب إلى ريتستانو أن أترجم إلى العربية بعض بحوثه ومحاضراته المتعلقة بأصدقائه العرب ، من أمثال طه حسين ، و ميخائيل نعيمه وغيرهما ، أو أن أراجع له بعض ما يكتب بالعربية ، زيادة في الثقة بما يكتب . و كان حريصاً كذلك على أن أترجم له إلى العربية بعض بحوثه الأخرى المتعلقة بأعمال المستعربين والمستشرقين الإيطاليين في حقل الدراسات العربية ، فقد كان يستطيع أسلوب الكتابي . و آخرما ترجمت له كان البحث الموسع الذي ظهر أخيراً في العدد المزدوج ( ٥ - ٦ ) من مجلة جمع اللغة العربية الأردني بعنوان ( الباحثون الإيطاليون و دراسة التاريخ العربي ) . لكن ريتستانو - وقد تلقى نسخة من الترجمة قبل نشرها - رحل قبل أن يرى بحثه منشوراً في المجلة التي كان بها شديد الاعجاب .

...

ولد ريتستانو في اسكندرية مصر سنة ١٩١٣ ، وأنهى في القاهرة دراسته الثانوية ، ثم انتقل إلى روما حيث أنهى دراسته الجامعية في جامعتها متخصصاً في الدراسات الشرقية والسامية ، و كان موضوع رسالته

الشاعر الأموي (محجن بن نصيف بن رياح) مولى عبد العزيز بن مروان ثم عاد إلى مصر، وأخذ يدرس العربية في المدارس الإيطالية هناك من سنة ١٩٣٧ إلى سنة ١٩٤٠، وفي الوقت نفسه كان متخرجاً بكلية الآداب في جامعة القاهرة، يستزيد من دراسة العربية على أيدي طه حسين، وأحمد أمين، وإبراهيم مصطفى، وأمين الخلوي.

في تلك الائتمان كانت الحرب العالمية الثانية على أشدتها. فأخذ ريتستانو أسيراً، ونقل جريحاً إلى مستشفى حلوان، ثم إلى السويس. ومن السويس استطاع أن يهرب من الأسر، فعاش في القاهرة متسلكاً في زى شيخ مصرى مسلم مدة ستة أشهر (من ديسمبر ١٩٤٠ إلى أواخر أيام ١٩٤١).

قال لي ريتستانو إن لغة العربية عليه فضلاً كبيراً لا ينساه، فلو لا أنه كان يجيدها كأهلهما، بحكم مولده ونشأته ودراسته في مصر، لافرضح أمره ووقع في الأمر من جديد. ويفضل تذكره وحسن إجادته للعربية استطاع أن يغادر القاهرة إلى الإسكندرية، ومن هناك إلى تركيا، ثم اجتاز البلقان كله إلى مدينة ترييستا، ثم إلى روما.

وعين ريتستانو أستاذًا مساعدًا في جامعة ميلانو مدة سنة واحدة، ثم انتقل إلى روما أستاذًا مساعدًا في جامعتها من سنة ١٩٤٣ إلى سنة ١٩٤٩. ثم استدعاه جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن) ليعمل فيها معيناً في كلية الآداب لتدريس تاريخ العرب في صقلية سنة واحدة. ويعتنى ريتستانو بأنه وضع هناك الأساس لاهتمام العرب بصلة وتأريخها العربي.

ولما انتهى عقد السنة المتفق عليها، طلب إليه الدكتور طه حسين - وزير المعارف يومئذ - البقاء في مصر لتدريس اللغة الإيطالية في جامعتها، فعين مدرساً للإيطالية في جامعتي فؤاد الأول وعين شمس. وبقي هناك

عشر سنوات .

وفي عام ١٩٥٩ عاد ريتستانو إلى إيطاليا أستاذاً لكرسي الدراسات الشرقية في جامعة باليرمو ، بعد مسابقة اشتراك فيها خمسة من المستشرقين الإيطاليين ، كان هو الفائز فيها - كعاده الجامعات الإيطالية - و كان هذا القسم قد أغلق منذ عام ١٩٤٣ ، حتى عاد ريتستانو فافتتحه ، و ظل يرأسه حتى وفاته ، و جدير بالذكر أن هذا القسم نفسه كان قد شغله المستشرق الشهير كارلو ألفونسو نلينو من سنة ١٩٠٢ إلى سنة ١٩١٣ .

و قد ذكر لي ريتستانو أن أول من غرس في نفسه الميل إلى الاستشراق كان أستاذه (كورونيلى) الذي كان يدرس العربية في المدارس الإيطالية في مصر ، فهو الذي شجعه على التخصص في الدراسات الشرقية ، و ساعدوه على ذلك أنه كان يجيد العربية ، فلما التحق بمعهد الدراسات الشرقية في جامعة روما ، كان من حسن حظه أن أستاذه في المعهد كانوا من أعظم المستشرقين المعروفين : كارلو نلينو ، و غويدي ، و جورجيو ليفي ديلا فيدا ، و آيتوري روتشي ، و كان روسي أستاذاً للغة التركية ، وقد حجب إلى ريتستانو دراسة التركية حتى كاد يهجر لأجلها دراسة العربية ، و تخرج ريتستانو مختصاً في اللغات الشرقية و السامية ، كما قدمنا .

أما نشاط ريتستانو العلمي فواسع و متعدد الجوانب و الوجوه ، فيبدأ هو بهتم اهتماماً كبيراً واسعاً بتاريخ العرب في صقلية ، نراه ينشئ المراجع القديمة بحثاً عن شاعر بجهول ، أو عن مخطوط لم يسبق إليه المستشرقون : أو يعني بالأدب العربي الحديث ، فيترجم - و يدفع مساعديه و طلابه إلى ترجمة - مؤلفات توفيق الحكيم ، و توفيق يوسف عواد ، أو نزار قباني ، أو يكتب عن القصة و الرواية في الأدب العربي الحديث ،

أو عن المسرح ، أو يشارك زملاء آخرين في ترجمة كتب أخرى أو تحقيق بعض الكتب .

وإذا كنت لا تستطيع ذكر جميع أعمال ريتستانو في هذا المقال ، فحسب أن أذكر بعضها ، مما اطلعت عليه بمنفسي ، وما أهداه إلى ريتستانو ، ومن أعماله هذه ما يلي :

- ١ - ترجمة الجزء الرابع من (ألف ليلة وليلة) - الأجزاء الثلاثة قام بترجمتها (السيدة فرجينيا فاكا - وروبرتو رويناتشى - و كوستاتينو بانسيرا ) وأشرف على الترجمة كلها المستعرب الشهير - عميد المستشرقين الإيطاليين الآن - فرانشيسكو غبريلى .
- ٢ - ترجمة ( الأيام ) لطه حسين .
- ٣ - ترجمة ( زيفب ) لمحمد حسين هيكل .
- ٤ - ترجمة ( أهل الكهف ) لتوفيق الحكيم .
- ٥ - تاريخ الأدب العربي ( من أقدم العصور إلى اليوم ) .
- ٦ - تاريخ العرب ( من أقدم العصور إلى اليوم ) .
- ٧ - المشاركة في تحقيق كتاب ( نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ) للادرسي ، في أربعة أجزاء .
- ٨ - القصة والرواية في الأدب العربي الحديث .
- ٩ - الثقافة العربية في صقلية .
- ١٠ - الباحثون الإيطاليون وكتابه التاريخ العربي .
- ١١ - تاريخ الأدب العربي في صقلية ( مجموعة المحاضرات الائتمى عشرة التي ألقاها في الجامعة الأردنية سنة ١٩٦٤ ، وصدرت في كتاب في منشورات الجامعة ) .

١٢ - تحقيق « منتخبات من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار »  
لابن عبد المنعم الحميري .

١٣ - تحقيق مختارات من كتاب « الدرة الخطيرة من شعراء الجزيرة »  
لابن القطاع ، ويعنى شعراء جزيرة صقلية .

١٤ - أخبار عن حياة ابن القطاع ومؤلفاته .

٥ - دليل الطالب العربي في قواعد اللغة الإيطالية .

وقد ألقى العديد من البحوث والمحاضرات في أكثريّة البلدان العربية،  
ولا سيما: مصر، وتونس، والمغرب، ولبنان، والمملكة العربية  
السعودية، وليبيا، وسوريا وغيرها، إلى جانب العديد من البحوث التي  
ألقاها في المؤتمرات المختلفة التي شارك فيها في إيطاليا وغيرها، وهناك  
بحوث ودراسات أخرى عديدة نشرت في مختلف صحف الاستشراق،  
وفي منشورات أكاديمية الفهود الإيطالية، كما أشرف على ترجمات عديدة  
من الأدب العربي المعاصر قام بها مساعدوه وطلابه . وكان يشرف على  
سلسلة من الكتب المترجمة من العربية يتولى نشرها معهد الشرق في روما،  
وهو المعهد الذي انتخب ريتستانو رئيسيًا له في أواخر عام ١٩٧٩ - إلى  
جانب عمله في باليرمو . ولكن لم يطل عهده برئاسته ، فقد فاجأه الموت سريعاً.  
وإذا كانت بلدان عربية عديدة قد دعت ريتستانو للحاضرة في  
جامعتها ، فقد دعته كذلك الجامعة الأردنية عام ١٩٦٤ ، فألقى على طلابها  
اثنتي عشرة محاضرة حول تاريخ الأدب العربي في صقلية، كما ألقى  
محاضرتين في الجمهور الأردني، كانت إحداهما في مدرج سمير الرفاعي،  
في الجامعة الأردنية، و موضوعها: الكوميديا الإلهية . قصة الاسراء والمعراج .  
لقد كان ريتستانو شعلة نشاط عجيبة، كان دائم العمل، لا يكل

و لا يتذر ، و كان خفيف الروح ، محبًا للراح . و كان يعتز باتقانه اللغة العربية ، وبسعة اطلاعه على تاريخ العرب و حضارتهم عامة ، وفي بلده صقلية وإيطاليا خاصة ، وفي كل مؤتمر للثقافة العربية يشارك فيه ، كان دائمًا من عناصر النشاط والحيوية فيه .

ولقد كان شديد الاعتزاز بأنه زار المملكة العربية السعودية ، وحاضر في جامعة الرياض ، وقد قال لي على أثر تلك الزيارة أنه يشعر بمنتهى السعادة لأنّه زار الجزيرة العربية ، مهد العرب ومهد الإسلام ، ولذلك ستظل زيارتها بين أهم الزيارات التي قام بها في حياته كلها .

وأذكر بهذه المناسبة أن مثل هذا الشعور كان قد اعترف به كارلو نلينو ، وقد ذكرت لي ذلك ابنته ماريا نلينو ، التي كانت قد رافقت والدها في تلك الزيارة .

...

و الآن ، لقد مضى ريتستانو إلى الأبدية التي لا رجوع منها .

وإذا كانت إيطاليا قد خسرت علما من أفاد ذرائع الاستشراق فيها ، فإن العرب قد خسروا بمorte صديقا لا يغوض ، ولا تقدر صداقته بشمن ، و خسارتهم فيه أعظم وأمر من خسارة بلده ، فقد كان اعزازه بشفافته العربية لا يقل عن اعزازه باليطالية ، وقد كرم حياته كلها للعرب ، وللثقافة العربية ، وللتاريخ العربي . و عسير جدا أن يقوم من يملأ المكان الذي خلا بغيابه .

عليه رحمة ربـه في الخالدين .

عسى الناعورى

الأمين العام لمجمع اللغة العربية الأردنية

عمان / الأردن

## امتياز على خان العرشى

( ١٩٠٤ - ١٩٨١ م )

برز العالم الباحثة ، الأديب المحقق ، الناقد المدقق ، اللغوى الحصيف ، مدير مكتبة رضا<sup>١</sup> الشهيرة بمدينة رامبور الهند<sup>٢</sup>، في ميدان التحقيق و التدقيق ، و التنقيح و التهذيب ، و النقد و التقرير ، بمؤلفاته العلمية و مصنفاته الأدبية ، في العلوم الإسلامية و الأدية و اللغوية باللغات الأربع : العربية و الفارسية و الإنكليزية و الأردية ، فترك وراءه ثروة علمية غزيرة ، غنية بالعلوم و المعرف و الآداب و اللغات ، تحتوى على آلاف آلاف الصفحات ما بين سبعة و ثلاثين كتابا و رسالة ، و ست عشرة و مائة مقالة مطبوعة ، و ثلاثين كتابا و رسالة و تسع مقالات غير مطبوعة .

وقف رحمه الله حياته لخدمة العلم بالتصنيف و التأليف ، و لإدارة مكتبة رضا في رامبور بالتنظيم و الترتيب الجديد المعاصر منذ شبابه ، فلم يلتفت إلى غيرهما طوال حياته المديدة ، رغم ما ساحت له من فرص مادية<sup>٣</sup> و جدها لا تشبع طموحة ، و قدم أسوة صالحة بحياته الذاتية المتواضعة ، و مثلا عاليا بأعماله العلمية ذات المستوى الرفيع في التأليف و التحقيق و الإخراج و النشر لجيشه و لمن بعده من الأجيال ، فاعترف بخدماته الخلصة الشرق و الغرب و العرب و العجم ، وهو معتكف في زاوية

مكتتبه يتحقق و يدقق ، يهذب و ينصح ، يشرح و يحشى الخطوطات القديمة ، و يخرجها و كأنها عقد من الجمان ، مرصوصة بانتظام ، محفوفة بالمعانى و البيان ، بدون ادعامات كاذبة أو دعایات مغرضة ، اتفق عليها الماديون و غيرهم من أبناء عصره على حد سواء .

### أسرته<sup>١</sup>

ينتمي العرشى إلى أسرة أفغانية عريقة من جهة والديه ، أما نسبة من جهة أبيه ، فجده الأعلى رحم باز خان<sup>٢</sup> كان من أحفاد مشرف خان رئيس أسرة حاجى خيل من فرع أكوزى المنتسب إلى قبيلة يوسف زئ أشهر القبائل الأفغانية وأقواها . وكانت الأسرة المذكورة تقطن في وسط القرن الثامن عشر الميلادى مدينة صغيرة تسمى « متباذ كى » - أو « متبااج كى » ، الواقعة على حدود سوات و بنى في جنوب شرق أفغانستان ، و كان له رئيسها يلقب بـ « خان » - أي الرئيس - حسب التقاليد المحلية ، و كان له أخ يسمى بمقرب خان الذى غادر أفغانستان بعد خلاف بينه وبين أخيه الأكبر مشرف خان ، فقدم الهند ، و جمع قوته ، واستولى على بعض أطراف مدينة رامبور ، و عاش بعده أولاده وأحفاده فيها عيشة الأمراء و الرؤساء كما يبدو .

نذكر منهم حفيده محمد سعيد خان الذى كان يعيش عيشة الرؤساء الخليبين في مدينة رامبور<sup>٣</sup> حين تولى النواب فيض الله خان ( ١٨١ - ١٢٠٨ هـ ) ( ١٧٦٧ - ١٧٩٣ م ) زمام أمور إمارة رامبور بدون منازع بعد وفاة أخيه النواب سعد الله خان ( سنة ١١٧٥ / ١٧٦٢ م ) والنواب عبد الله خان ( ٤٤ )

خان (سنة ١١٨١ هـ / ١٧٦٧ م) على التوالي، فنقل مركز الامارة من آنوله وبريلى إلى مدينة رامبور، ومنح محمد سعيد خان المذكور منصب «رسالدار»<sup>٢</sup>، ولضمن ولاته له أراد أن يصاهره بتزويج ابنته من بنتيه، ولم يكن يحب محمد سعيد خان هذه المصاهرة، فاحتال بخطبتهما من ابنة عمها، ثم استحوث بدعوة حفيدين من أحفاد مشرف خان من أفغانستان ليزوجهما ابنته، وكان أحدهما رحم باز خان المذكور فيما سبق، وهو والد أكبر على خان المحدث والجد الأعلى لاصاحينا العرشى، وكان يعرف «بنجانزاده»، أى ابن الرئيس.

جده أكبر على خان المحدث: (١٢١٦ - ١٣٠١ هـ / ١٨٠١ - ١٨٨٣ م)؛ وهو من اشتغل بالعلم في أسرة تحلى بالمخاطر العسكرية، والرئاسة القبلية في أفغانستان والهند، فدرس بادئ ذي بدء البشتو (لغة الأفغان) على حبيه محمد شاه خان تشانجى<sup>٣</sup>، والفارسية على خليفة حبي الدين، ثم المناهج المقررة في العربية على المولوى نصر الله وآخرين من علماء رامبور، فبرع في الحديث والفقه والكلام والعلوم الدينية الأخرى، واتخذ التدريس مهنة له، قضى فيه نحو نصف قرن، فأصبح مرجع الطلاب، وخاصة الأفغانيين منهم، لأنه كان يتحدث بالبشتو كأهل اللغة.

كان رحمة الله ورعا تقىاً، متمسكاً بالكتاب والسنة، متبعاً للذهب الحنفى في الفقه، والطريقة القادرية في التصوف، مؤيداً لدعوة السيد أحمد الشهيد رحمة الله (١٢٠١ - ١٢٤٦ هـ / ١٧٨٦ - ١٨٣١ م) للجهاد ضد الإنكليز على المستوى السياسى، وضد الجهل والبدع والخرافات على المستوى الدينى والإجتماعى، فاتهم به «الوهابية»، وهي كانت في ذلك العصر تهمة توجه إلى جميع المناضلين ضد الحكم الأجنبى، وكان لايزال

لا يستريح لها علماء أهل البدع ومن تبعهم من الجهال . فوشى به عند حاكم الامارة النواب كلب علي خان ( ١٢٨١ - ١٣٠٤ هـ / ١٨٦٥ - ١٨٨٧ م ) ومنع من الكلام ، فاضطر إلى مغادرة الامارة ، إلى أن عرف الحاكم خطأه ، فأعاده مكرماً معظها ، وأحسن إليه إلى أن توفي رحمة الله في المحرم سنة ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ م عن خمس وثمانين سنة ، وعلى هذا يكون قد ولد نحو سنة ١٢١٦ هـ / ١٨٠١ م وخلف ستة أولاد من الذكور ، وثلاث من البنات .

• عمّه جعفر على خان المحدث : ( ١٢٥٠ - ١٢٥١ هـ / ١٣٢٥ - ١٨٣٤ م ) : ورث في علم أكبر على خان المذكور وفضله ابنه جعفر على خان - عم صاحبنا العرشى ، فدرس على أبيه ، ثم تخرج على شيخ مدينة رامبور وأمر وده في العربية والعلوم الإسلامية مثل سيد حسن شاه المحدث <sup>٧</sup> ومحمد حسن الأمر و هو <sup>٨</sup> محمد نور و نور النبي <sup>٩</sup> و اشتغل بتدريسها طوال حياته المديدة ، وعيّن في أواخر أيامه أستاذًا للحديث بالمدرسة العالية في رامبور ، وكان له بجانب التدريس نشاط ديني في إصلاح المسلمين مثل أبيه ، فاشتهر عند العامة من الجهال أيضاً بالوهابية ، ولكن لم تصبه نازلة من جانب الحكام لهذا السبب كما أصابت أبيه . توفي رحمة الله سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م ، وقد بلغ خمساً وسبعين سنة ، ف تكون ولادته نحو سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م .

أبوه الطيب مختار على خان : ( ١٢٨٨ - ١٢٨٩ هـ / ١٢٧١ - ١٨٧١ م ) : أما والد صاحبنا الطبيب ( البيطري ) مختار على خان ، فقد كان أصغر أولاد أكبر على خان <sup>١٠</sup> الذي توفي سنة ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ م ، ولم يتجاوز سن ابنه الصغير من اثنى عشرة سنة ، فلم يستطع مواصلة دراسته ،

بل اشتغل في عسكر الامارة أيام التواب كلب على خان، ثم ترك العسكر، واشترك في تجارة الخيول مع أخيه نجف على خان، ثم عاد إلى وظيفة عسكرية أخرى في كتيبة الرماح (Imperial Service Lancers) وحصل على ترية بكلية الطب البيطري في لاہور سنة ١٨٩٩ م على نفقة الحكومة، نجح فيها بامتياز، فعاد إلى وظيفته، ثم تنقل في الوظائف العديدة، آخرها وظيفة «منصرم» (مدير) للاسطبل الحكومي من يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٩١٢ م.

وكان ذكياً، يحب للعلم والمعرفة، ولكن ظروف الوظائف حالت في طريقه، ومع ذلك اكتسب معرفة اللغتين: العربية والفارسية في سن متقدم بالاجتهاد الشخصي، وكان يحب الشعر ويتذوقه، بل يقرضه، ولكن شعره لم يخل من العيوب لعدم إلمامه بفننه، توفي رحمه الله يوم ٨ يناير سنة ١٩٥١ م / ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ هـ بمرض اليرقان، وقد بلغ الثانية والثمانين من العمر، وعلى هذا يكون من مواليد سنة ١٨٧١ م / ١٢٨٨ هـ ولو أنه تزوج عدة مرات وولد له أولاد، ولكن لم يعش منهم إلا ولدان فقط، أكبرهما صاحبنا العرشى من زوجته الأولى شعيم يسقم (المتوفاة سنة ١٩٠٧ م / ١٣٢٥ هـ) التي يأتى ذكرها فيما يلى، والآخر أmant على خان من زوجة أخرى، هاجر إلى باكستان سنة ١٩٤٨ م، وكان يشتعل هناك بالزراعة في هری بوره، بمحافظة هزاره، توفي بعد سنة ١٩٦٦ م.

أما نسبة من جهة أمه، فإنه كان أيضاً ينتمي إلى أسرة أفغانية تميزت بالصلاح والتقوى دون المفاخر العسكرية على التقاليد الأفغانية على ما يبدو. فقد انحدرت أمه من أسرة صوفية لمحمد خيل من باجور،

أمه شيم يقم المعروفة بجهة بيقم : (١٣٠٣ - ١٨٨٥ / ٥١٣٢٥ - ١٩٠٠ م ) : كانت ذكية ، حسنة الطبع ، مطيبة لزوجها ، ولدت له بنتاً و ولدين ، ولكن عاش من أولادها أوسطهم فقط وهو صاحبنا العرشى ، ولم تطل بها الحياة بعد وفاة أبيها سنة ١٩٠٦ م ، فتوفيت بالطاعون سنة ١٩٠٧ م = ١٣٢٥ هـ في الثانية والعشرين من عمرها ، وعلى هذا تكون قد ولدت نحو ١٣٠٣ / ٥ ١٨٨٥ م . وقد كان العرشى عند وفاتها ابن اثنين ونصف سنة فقط .

رابته فاطمة بيقم : ( المتوفاة سنة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م ) : وهي كبرى بنات تفضل حسين خان الرايمبورى « كوتوال » (رئيس شرطة) مدينة رامبور ، تزوج بها والد العرشى بعد ستة أو سبعة أشهر من وفاة زوجته الأولى شيم يقم المذكورة ، فأحسنت إلى صاحبنا العرشى واعتنى به ، كما ولدت لزوجها ولدين ، ماتا في صغرهما ، فعلى هذا كانت بمثابة الأم الأصلية للعرشى يحتاج إليها ، وهي تحتاج إليه ، ومع ذلك لم يستأنس بها كثيراً في صغره ، بل كان يخافها ، ويشعر بشيء من المقت والاغتراب نحوها ، ولكنه كلما كبر وشاهد حسن سلوكها ، أحبهما حباً عقلياً كما صرح بذلك بنفسه ، وخدمها في آخر حياتها ، عرفاناً للجميل وأداءً لحق الخدمة الواجبة عليه .

### حياته

ولادته ووفاته :

ولد العرشى يوم الخميس ٢٩ رمضان المبارك سنة ١٣٢٢ هـ الموافق ٨ ديسمبر سنة ١٩٠٤ م ما بين العصر والمغرب ، وتوفي يوم الأربعاء ١٩ ربيع الثاني سنة ١٤٠١ هـ الموافق ٢٥ فبراير سنة ١٩٨١ م في الساعة

الثانية و النصف صباحا ( ما بين ليلة الثلاثاء والأربعاء ) ، وقد أصيب ليلتها بنزيف الدماغ (Brain Hemorrhage) ، فاحتضر نحو نصف ساعة قبل أن لبى نداء ربه ، وعلى هذا بلغ تسعه وسبعين سنة هجرية ، أو سبعا وسبعين سنة ميلادية من عمره المديدة الذى خدم فيه العلوم الإسلامية والأدبية في أربع لغات معروفة بثرتها العلمية والأدبية في العلوم الإسلامية : وهي العربية والفارسية والأردية والإنكليزية ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه عننا وعن الإسلام خيرا ، ورفع درجاته ، وأنزل عليه شآبيب رضوانه .

**طفولته ونشأته :**

نشأ و قد توفيت والدته حين بلغ الثانية و النصف من عمره ، ورسيخ في ذهنه حرمانه من حنان الأم ، فانطوى على نفسه ، ولم يستأنس من رابته ، فلم يكن يطلب منها شيئا ولا يسألها عن حاجة ، بل يخاف من أن يتعرض لأشياءها ، فرسخت فيه عادة عدم السؤال إلى حد أنه لم يجد في حياته جرأة السؤال من أحد عن شيء يجد . فقد حكى أنه لم يكن يسأل حتى في بيته عن المأكولات والمشروبات ، فإذا انتهى الإنسان الطعام اكتفى بما قدم له ، ورفع يده وقام .

**تربيته وثقافته :**

عقدت له حفلة « بسم الله » في السن الخامس ( أي سنة ١٩٠٩ م ) على عادة المسلمين الهندود تبركا بالقرآن الكريم ، وإيداعا بيده التعليم ، فتعلم القرآن ومبادئ اللغة الأردية في مكتب الحافظ جعفر علي في رامبور . ثم دخل المدرسة الابتدائية ، فتعلم فيها الفارسية لسنة أو سنتين ، وكان من أساتذته فيها سيد محمد يوسف ، والمنشى فيروز شاه خان ، كما عين له مدرس في

في نفس الوقت يعلمه اللغة الإنجليزية التي لم يتم بها كثيراً في هذه المرحلة، فتوقف تعليمها له في ذلك الوقت إلى هذا الحد.

ثم عن أبيه بتعلمه اللغة العربية، فعن له مدرساً خاصاً يسمى قطب الدين المعروف بنتار أحمد<sup>١٢</sup> ليدرس كتاب ميزان الصرف، كما استعان أيضاً بالطبيب الخاص للنواب حامد على خان (١٣٠٦ - ١٣٤٩ هـ / ١٨٨٩ - ١٩٣٠ م)، وهو الحكيم عبد الرشيد خان<sup>١٣</sup> (المتوفى سنة ١٩٣١ م) ليعلمه نحو العربية وصرفها، إلا أن الطبيب المذكور اعنى بتدريسه كتب الطب في الفارسية أكثر من النحو العربي وصرفه.

التحق بعد ذلك بمدرسة مطلع العلوم في رامبور التي أسسها العالم الأفغاني الشيخ خليل الله، التحق بها وهو في الثالث عشر أو الرابع عشر من عمره (أي سنة ١٩١٧ م أو ١٩١٨ م)، فقرأ على الشيخ سيد أحمد الهزاروي<sup>١٤</sup> (المتوفى سنة ١٩٥٠ م) المدرس الأول والقائم بأعمال العميد فيها في ذلك الوقت إضافة على المقررات العربية والفارسية، و القرآن، و دلائل الخيرات، و الحصن الحصين، و الكهف المتن، و قد منحه الشيخ إجازته لهذه الكتب، كما تدرب هناك على الكتابة في العربية والتحدث بها، ولكنه في هذه المرحلة كان معتمداً بالعلوم العقلية أكثر من غيرها، فلم يلتفت إلى علوم الحديث والتفسير و الفقه و الفنون الأدبية التي عنى بها فيما بعد، حين أعد نفسه بنفسه إعداداً ذاتياً بالدراسة العميقه المتواصلة، و المطالعة الغزيرة الدائمة التي لم تنقطع إلا بوفاته.

و توجه في هذا العصر أيضاً إلى تحسين خطه، فتعلم فن الخط على يد محمد علي خان المعروف بدولها خان الخطاط (المتوفى سنة ١٩٤٧ م)، فكان حسن الخط جيدة كما تدل على ذلك آثاره المكتوبة الباقيه.

اتجه بعد ذلك إلى السكريات والجامعات العصرية، لينال منها الشهادات المتقدمة في العلوم العربية والفارسية وآدابها، فحصل على شهادة «مولوى عالم» (تعادل درجة ليسانس الآداب العربية) من جامعة بنجاب في لاهور سنة ١٩٢٣ م = ١٣٤٢ هـ، ثم التحق بالكلية الشرقية في لاهور، وأقام هناك سنة ليعد العدة لامتحان شهادة «مولوى فاضل»، واستفاد فيها من أشهر أساتذة الهند في الجامعات الهندية في ذلك الوقت مثل الشيخ نجم الدين<sup>١٠</sup> في العلوم العقلية، والعلامة عبد العزيز الميمني رحمه الله<sup>١١</sup> (المتوفى ١٣٩٩ - ١٣٥٦ هـ ١٩٧٨ - ١٨٨٨ م) في الأدب، وقد جعله فيما بعد أسوة حياته العلمية، والشيخ سيد طلحه<sup>١٢</sup> (المتوفى ١٣٠٨ - ١٢٩٠ / ٥١٨٩٠ - ١٩٧٠ م) في التفسير - وكان الشيخ ينتهي إلى أسرة سيد أحمد الشهيد، فكان يعني به عنابة باللغة لصلة أسرة العرشى بحركة الشهيد رحمه الله كما ذكرنا فيما مضى .

وعاد إلى رامبور بعد حصوله على شهادة «مولوى فاضل» (تعادل درجة الماجستير في الآداب العربية) سنة ١٩٢٤ م = ١٣٤٣ هـ من جامعة بنجاب في لاهور، فالتحق بالسنة النهائية للدراسة العالية في رامبور، إلا أنه لم يدخل إمتحانها النهائي<sup>١٣</sup>، ولكنه استفاد من أساتذتها، وخاصة بالشيخ فضل حق الرامبوري<sup>١٤</sup> (المتوفى ١٢٧٨ - ١٢٥٨ / ١٨٦١ - ١٩٤٠ م)، أحد العلماء المبرزين في العلوم العقلية في وقته، وقد منحه الشيخ شهادة ذاتية . ودخل امتحان شهادة «منشى فاضل» (تعادل درجة الماجستير في الآداب الفارسية) لجامعة بنجاب لاهور سنة ١٩٢٥ م / ١٣٤٤ هـ، ونجح فيه<sup>١٥</sup> .

ويبدو أنه شعر بعد ذلك باحتياجه إلى معرفة اللغة الإنجليزية حياته العلمية والعملية القادمة، فأعاد نفسه إعداداً ذاتياً، ودخل إمتحاناً رسمياً في مادة اللغة الإنجليزية فقط شهادة "Entrance" (تعادل الثانوية، وتحسّن صاحبها

لصاحبها بالدخول في المواد العصرية في الجامعة ) سنة ١٩٢٦ م / ١٣٤٥ هـ ، ونجح فيه ، ثم دخل امتحان شهادة "F. A" (الستين الأولين من الجامعة) ، فرسب فيه ، و كان له أثر سيئ في نفسه ، فقرر أن لا يدخل أى امتحان في حياته ، وأن يعد نفسه إعدادا ذاتيا ، ويبرهن بأعماله أنها ليست أقل قدرًا من حاملي شهادات الماجستير والدكتوراة ، وقد فعل .

نرى من هذا العرض السريع أن صاحبنا كان تلميذا ذكيا نابها ، و طالبا نشيطا مجتهدا ، تعلم في اثنين وعشرين سنة من عمره أربع لغات ، و اغترف من معارف عصره المتداولة بين المسلمين الهنود في ذلك الوقت على الشيوخ المعروفين ، و تخرج من معاهد المسلمين الخاصة ، و نال الشهادات المعاصرة من جامعة بنجاب الشهيرة في عصره ، وقد غالب في دراساته إلى ذلك الوقت عنصر العلوم العقلية من المنطق والفلسفة أكثر من أي شيء آخر ، ثم واصل دراسته للعلوم الإسلامية المختلفة والفنون الأدبية المتنوعة إلى أن بلغ القمة التي نلاحظها في مؤلفاته القيمة الكثيرة ، وقد رأى فيه علماء الذكاء وآيات النبوغ شيخه سيد أحمد الهزاروي المذكور الذي كان يحبه ويقدر امتيازه بين زملائه ، وفوض إليه تدريس بعض الطلبة تحت إشرافه أيام تربيته على يديه ، وكذلك رأى علمه وفضله في العلوم الإسلامية الحافظ أحمد على خان شوق حين ذكر في آخر سطر من ترجمة عممه جعفر على خان ضمن ذكر (أخيه) الطيب البيطري مختار على خان «أن له ولدا ، قد حصل العلوم العربية والفارسية تحصيلا جيدا <sup>٢١٠</sup> ، ولا بد أنه كان يعني به العرشى غير سواه ، لأن ابنه الثاني أمانت على خان لم يعرف عنه الاشتغال بالعلم ، بل كان مزارعا كما ذكرناه . وهذا التقدير له والإعجاب به وهو لم يبلغ خمسا وعشرين سنة من عمره ، لأن المؤلف

المذكور ابتدأ تأليف كتابه في الترجم سنه ١٩١٤ م كا صرح في مقدمته، ونشر في مارس سنه ١٩٢٩ م ، والظاهر أن الملاحظة المذكورة سجلت بين هذه المدة .

وقد ورث صاحبنا جه للشعر من أبيه منذ طفولته ، وكان صاحب قريحة شعرية ، فتلقب باللقب الشعري على طريقة شعراء اللغة الأردوية في الهند أولاً بـ « تاج » ، ثم تركه وتلقيب بـ « عرشى » ، فاشتهر به أكثر من اسمه . أما شعره فأكثره في الغزل إلى جانب أصناف أخرى من الشعر الأردوي ، ولكنه لم يكن يحب نشر شعره كثيراً ، كما لم يرد طبعه في ديوان ، لأنه كان يراه أقل قدرًا من شعر فطاحل الشعراء في الأردوية ، وقد درسهم دراسة عميقه ، وكتب عنهم كثيراً ، ونشر دواوينهم بتحقيق دقيق وإخراج جميل أنيق ، وكان لا يحب أن ينسب إليه شيء يحط من قيمته ومكانته الرفيعة .

#### حياته العملية : الوظائف و التجارة :

يبدو أن صاحبنا لم يهتم بعد تحصيله العلوم واللغات المذكورة إلى عمل مناسب يختاره لحياته القادمة ، إلا أنه كان يحب أن يستغل بالتجارة ليحافظ على حرية واستقلاله في الحياة ، ولكن الظروف لم تتح له هذه الفرصة ، وقد أراد بعض أصدقائه بعد انتهاءه من التعليم توظيفه في المدارس المختلفة في بنجاب ، ولكنه لم يقبل ، لعله اعتبرها أدنى مرتبة لشخصيته التي كان يعتز بها على ما يبدو ، فاقتنا نعرف أنه رغب في الحصول على وظيفة تدريسية في القسم العربي في (جامعة) إله آباد ، واجتهد للحصول على وظيفة تدريسية أخرى في المدرسة العالية في كلكته ، فحصل على رسالة توصية من الأستاذ فدا على خان المرحوم رئيس قسم اللغات العربية والفارسية والأردوية

والاردوية في جامعة دهاوك إلى المولوى هدايت حسين عيد المدرسة المذكورة، ولكن فشل سعيه في الحصول على أية من الوظيفتين المذكورتين. وقد علم سيد هاشم الندوى، موظف دائرة المعارف العثمانية في حيدرآباد باهند، كان يزور رامبور من حين لآخر، وكان صاحبنا على صلة به، فحين علم سعيه للوظائف رغبه للعمل كـ «سفير»<sup>٢٢</sup> لندوة العلماء في لكهنو، وقبل صاحبنا هذه الوظيفة، و Ashton بها ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر، ثم استقال منها من يوم أول مارس سنة ١٩٣١ م<sup>٢٣</sup> لتجربة مrirة قاسية من جانب أحد المتطوعين، حسبها غير لائقة بكرامة الإنسان العادى، فضلا عن عالم يعتد بنفسه اعتدادا يليق به .

ثم اشتغل بالتجارة بالاشتراك مع بعض أصحابه، وذلك عن طريق الحصول على وكالة ما كينة الخياطة والآلة الكاتبة الإنجليزية لشركة نومان (Nomann) الالمانية، وكان يميل إلى التجارة بطبعه كما ذكرنا، ولكنه فشل لقلة المال وعدم الخبرة الازمة، ومع ذلك أبى أن يتركها قبل أن يودي جميع شركاته في التجارة أموالهم، ثم تركها غير عابٍ بما عانى في مدة ستين فرحا مسرورا شاكرا بأن الله حفظه من وصمة العار أمام شركاته . ويبعد أنه لم يقطع في هذه المدة صلته بالعلوم والآداب، فكان ينهل منها بين الحين والآخر، ويزور مصادرها ومواردها من أهل العلم والمدارس والمكتبات ، ويكتب ويصنف ويؤلف كلما وجد لذلك من فرصة موازية ، فانا نعرف ميله منذ نعومة أظفاره إلى الكتابة ، فقد كتب في أوائل أيام دراسته ( قصة قاطع الطريق بهين خان ) ، وزينها بعض أبياته البدائية ، متاثرا بما سمع عنه من أعمال جريئة . ثم مأساة قتله في معركة مع الشرطة يوم ٢٤ اغسطس سنة ١٩١١ م .

كما نعرف أنه قام بعمل الشرح والتعليق على كتاب تسهيل الميزان لمحب الله بن عبد الشكور البهاري<sup>٢</sup> (المتوفى سنة ١١١٩ / ١٧٠٧ م)، (انظر مؤلفاته العربية غير المطبوعة رقم ١)، ولو أنه لم يقدر له أن ينشر. ثم قام بالترجمة الأردية للقرارات العربية في منهج بكالوريوس الآداب (B. A.) ومنهج الستين الأولين من بكالوريوس الآداب (F. A.) جامعة بنجاب لاهور، على طلب الشيخ مبارك على تاجر الكتب في لاهور. وكانت هاتان الترجمتان من آثاره الأولى التي نشرت له سنة ١٩٢٨ م وما قبلها. (انظر مؤلفاته الأردية المطبوعة رقم ١٥ و ١٦).

وقد ازداد شغفه بالتأليف والتحقيق أثناء ترجمته لمقررات الستين الأولين مع منهج بكالوريوس الآداب المذكورة لما وجد فيها من ثلاثة رسائل لسيدهنا عمر الفاروق (٤٠ ق ٥٢٣ - ٥٨٤ / ٦٤٤ م) رضى الله عنه يحتوى أربها على توجيهاته لأحد قواده العسكريين. وثانيها على نصبه لأحد قضااته في فصل الأمور، وثالثها على أمره لأحد ولاته في تحصيل الخراج، فتأثر بها تأثراً بالغاً، وعزم على جمع جميع رسائله مع خطبه وحكمه وسيرته في كتاب سماه «فصل الخطاب» لعمر بن الخطاب، وقد جمع منها مواد كثيرة في نصف قرن من الزمن، ولكنه لم يكمله. (انظر مؤلفاته العربية غير المطبوعة رقم ١٢).

ثم تأثر بسيد هاشم الندوى المذكور كان الذي يزور مكتبة رامبور كثيراً لمراجعة الكتب والمخطوطات وإعدادها قبل نشرها من دائرة المعارف العثمانية، وكان العرشى يلتقي به في المكتبة فيراهم يعمل على المخطوطات، فبدأ يفكر في التأسي به في تحقيقه، فبحث عن رسالة صغيرة يبدأ (٤٧)

يبدأ بها عمله ، وعشر على مخطوطته «كتاب الأجناس» لابن سلام (١٥٧ - ٢٢٤ / ٧٧٤ - ٨٣٨ م ) ، فأعدها للنشر ، ولم يقدر لها النشر من الدائرة المذكورة ، إلا أنها نشرت كأول عمل له في العربية من المكتبة الحكومية في رامبور سنة ١٩٣٨ م . ( انظر مؤلفاته العربية المطبوعة رقم ١ ) .

ثم أتاح الله تعالى له الفرصة الذهبية لخدمة المكتبة الحكومية برامبور حين عين ناظمها ( مدیرا ) لها يوم ٣١ يوليو سنة ١٩٣٢ م ، فوقف حياته خدمتها من يوم تعيينه إلى وفاته ، فهذبها ورقاها ، وحسن إدارتها ، ورتب مخطوطاتها ، ونظم كتبها ، ونشر فهارسها ، وأعز من شأنها ، وعرف العالم بقيمتها حتى عدت من أهم المكتبات الإسلامية الشهيرة في العالم ، وأصبح هو والكتبة كأنهما صنوان ، لا يذكر أحدهما إلا بالآخر ، ولا ترى صورة أحدهما إلا في عكس مرآة الثاني ، وقد قدرت الحكومة الهندية بخدماته الجليلة لهذه المكتبة ، فاستثنى من قانون الاحالة على المعاش بعد الستين سنة من العمر . وأبقىته في مركزه إلى آخر حياته<sup>٣٠</sup> ، خفر منها بالجملة مدة نصف من الزمن ، منها نحو سبع عشرة سنة بعد سن المعاش ، وهذه حالة استثنائية لا يعرف لها نظير إلى حد علمنا في عصرنا الحاضر .

حياته العائلية : زواجه وأولاده :

ترزق العرشى بعد أن اطمأن إلى وظيفة مناسبة من الناحية العملية في مكتبة رامبور الحكومية سنة ١٩٣٢ م ، وحياة مستقرة من الناحية المادية ، وخطبة ثابتة لحياته العلمية القادمة ، تزوج من سيدة محترمة تسمى هاجرة يقيم بنت أشفاق ( زوجها ) خان مفتش الشرطة في مدينة رامبور في شهر نوفمبر سنة ١٩٣٣ م . وهي أيضاً تنتمي مثله إلى أسرة علمية أفغانية عريقة ، قدم

جدتها الأعلى الملا أحمد خان الولايٰ<sup>١</sup> إلى روهيل كهنهُد في عصر محمد على خان (١١٠٨ - ١١٦٢ / ١٧٤٨ - ١٧٠٦ م) مؤسس امارة رامبور . و كان الشيخ أحمد خان من البارعين في المنطق والفلسفة خاصة ، يعيش عيشة محترمة كريمة ، ويتصف بالشجاعة والصدق والصراحة ، فينبئ رؤساء الروهيلية على أخطائهم ، ويرأس مجالسهم ، خلف ولدا يسمى الملا إسحاق خان ، وهو والد المولوى نور النبي خان من أشهر أساتذة مدينة رامبور الذى تخرج على يديه خلق كثير ، و كان منهم جعفر على خان المحدث ( ١٢٥٠ - ١٢٢٥ / ١٨٣٤ - ١٩٠٧ م ) الذى ذكرناه كعم صاحبنا فيما سبق .

أما حمو العرشى ووالد زوجته أشفاق النبي خان المفترش فقد كان حفيد نور النبي خان . توفي أبوه وهو صغير نحو اثنين أو اثنين ونصف سنة ، فلم يكمل تعليمه الفارسى ، إلا أنه أعد نفسه إعدادا ذاتيا ، فكان واسع الإطلاع في التاريخ الإسلامى وآداب اللغة الفارسية ، قوى الحافظة ، فكانت وقائع أكثر المشاهير على طرف لسانه بتحديد السنين . ورث عنه ابنه إسحاق النبي خان ( الأخ الكبير لزوجة العرشى ) الذكاء والذوق التاريخي العلمي ، فقام بحل خلافات السنين في وقائع السيرة النبوية ببراعة فائقة .

تزوج العرشى مع السيدة هاجرة بيقم ، فماش معها طوال حياته محظوظا بالحياة العائلية السعيدة المطمئنة الهدامة ، المتسمة بالاحترام المتبادل ، ورعاية الجانبين لمشاعر وأحاسيس الآخر ، وهذا ليس غريبا عنه ، فقد كان يرى صاحبنا معاملة الزوجة على أساس اعتبارها محبوبة طوال الحياة مفتاح نجاح الحياة العائلية . كما كان يكره إصرار الرجل على شخصيته الحاكمة ، لما يؤدي ذلك إلى استبعاد الزوجة ، ومن ثم عدم الانسجام بين الطرفين

الطرفين ، الداعي إلى القلق والخيرة .

عاش العرشى معها نحو نصف قرن حياة هدوء وطمأنينة واستقرار ، وخلف منها تسعه أولاد ، سبعة بنين وابنتين ، نذكرهم على ترتيب الأقدمية فيما يأتى :

- ١ - محمد أكبر على خان عرشى زاده ، المدير المساعد لمكتبة رضا برامبور ، وله عدة أولاد ، وهم بالترتيب : حسان عرشى وسلامن عرشى ونعمان عرشى وسجان عرشى وسميرة عرشى ( بنت ) ، وعدمان عرشى .
- ٢ - صالحه الكبرى عرشى ، وهي متزوجة <sup>٢٢</sup> ، ولها من الأولاد بالترتيب : عيسى الله خان ، وأسید الله خان ، وحيمه خاتون ( بنت ) ، وحيد الله خان ، وعميد الله خان .
- ٣ - محمد مختار على خان عرشى .
- ٤ - الدكتورة زهرة عرشى ، نالت الماجستير في الفارسية من جامعة على كره ، وقامت بتحقيق كتاب فرهنك جهانگیری (الجزء الأول) لحسين انجو الشيرازى ( الذي ألفه سنة ١٠١٧ هـ / ١٦٠٩ م ) لرسالة الدكتوراه من جامعة على كره تحت إشراف الأستاذ نذير أحمد رئيس القسم الفارسي السابق ، وهي تقوم الآن بتحقيق الجزء الثاني من الكتاب المذكور .
- ٥ - محمد ممتاز على خان عرشى ، مدرس علم النبات في كلية رضا العالية برامبور ، وله ابن اسمه حماد عرشى .
- ٦ - محمد بحف إرشاد عرشى ، طالب الدراسات العليا في العلوم الإسلامية ، بجامعة الزيتونة ، تونس .

- ٧ - محمد جعفر علي خان عرشى ، بكالوريوس علم الصيدلة ، و موظف في البحرين .
- ٨ - محمد راشد علي خان عرشى ، ماجستير علم الاقتصاد ، و موظف في شركة جيب لأنوار الكشافة (Jeep Flash Light) ، دهلي بالهند .
- ٩ - محمد طاهر علي خان عرشى ، طالب بكالوريوس التجارة ، جامعة على كره الإسلامية ، على كره .

هكذا نرى أن صاحبنا العرشى عن أيضا بتربية أولاده و تثقيفهم عنابة باللغة ، فتخرج بعضهم في العلوم العصرية ، كما اختار آخرون خط والده ، فتوجهوا إلى العلوم الإسلامية ، واللغات والأداب الشرقية الإسلامية ، فالله يوفقهم ، ويسدد خططهم في اتباع آثار والدهم العظيم في خدمة العلوم والأداب الإسلامية بأخلاق ونزاهة مثله .  
حياته العلمية : التقدير والإعجاب :

و بجانب الصلاحيـة الإدارية الغير العاديـة التي ذكرناها في حياته العملية فيما سبق ، هناك جانب آخر من شخصيته الفذـة ، وهو أكثر إشراقا و نصـوا ، وبروزا و ظهورـا من الجانب السابق ، ألا وهو خدمـته للعلوم الإسلامية و الفـنون الأـدبية دراسـة و بحـثا ، تـحقيقـا و تـهـذـيبـا ، شـرـحا و تـحـشـيـة ، تـصـنـيفـا و تـأـلـيفـا في أربع لغـات شـرقـية و غـربـية ، و عـرـبـية و بـحـمـيـة ، و هـيـ العـرـيـة و الـفـارـسـيـة و الـأـرـدـوـيـة و الـإـنـكـلـيـزـيـة . فقد كان أوسع العلمـاء المـصنـفـين المـعاـصـرـين في المـحيـطـ الـهـنـدـيـ مـطالـعـة ، و أـكـثـرـهـمـ دـقةـ ، و أـرـفـعـهـمـ مـسـتـوىـ ، و أغـزـرـهـمـ اـتـاجـاـ منـ النـاحـيـةـ الـعـلـمـيـةـ وـ الـأـدـيـةـ الـخـاصـةـ ، كـماـ كانـ أـحـسـنـهـمـ إـخـرـاجـاـ وـ نـشـرـاـ منـ نـاحـيـةـ جـمـالـ الطـبـاعـةـ وـ اـنـاقـهـاـ عـلـىـ الـمـسـتـوىـ الـمـطـلـوبـ فيـ الـظـرـوفـ الـهـنـدـيـةـ الـقـاسـيـةـ الـمـعـاـصـرـةـ ، خـاصـةـ فيـ الـلـغـاتـ الـعـرـبـيـةـ وـ الـفـارـسـيـةـ وـ الـأـرـدـوـيـةـ .

أعد النصوص العلمية والأدبية والتاريخية واللغوية على الأسس الحديثة المعاصرة، فسبق باتقاده في التحقيق معاصريه، ثم قدمها دائماً بمقدمة ضافية مبسوطة تدل على علم واسع، ودراسة عميقة، وذهن ثاقب، ونظر بعيد، وفکر صائب، ورأي سديد، فترى بجنب اثنين وعشرين صفحة من نص كتاب الأجناس، ترجمة حافلة لابن سلام في أربع وعشرين صفحة إلى جانب سبع عشرة صفحة اللافاظ المهائة المستخرجة من كتاب غريب الحديث لابن سلام نفسه، وبجنب ثمان وعشرين صفحة من نص ديوان شعر الحادرة الذي صححه بالرجوع إلى أربعة وعشرين من المراجع القديمة تجده مقدمة في ست صفحات تعريفاً بصاحب الديوان، وكذلك قدم لديوان أبي محجن في ست صفحات بجنب النص في أربع وثلاثين صفحة، وشعره من المراجع الأخرى في ثمان صفحات، وكذلك تشاهد في الأمثال السائرة من شعر المتبنى مقدمة في ست عشرة صفحة بجنب النص في ثلاثين صفحة، وزيادات عليه من الجرجاني في سبع عشرة صفحة ومن الشعالي في اثنين وعشرين صفحة، وقدم لتفسیر القرآن للثوري في أربعين صفحة بجنب تصحيح نص الكتاب في أربع وأربعين ومائتين صفحة بمراجعة خمسة ومائتين من المصادر العربية القديمة إلى جانب تراجم تسعة وتسعين ومائتين من رجال الثوري في سبع وسبعين ومائة صفحة، هذا بالنسبة لبعض أعماله في العربية، وتراه بالطبع أكثر شمولاً وإحاطة وبساطاً وتفصيلاً في أعماله الفارسية والأردية، وهكذا قدم نموذجاً صالحاً عالياً رفيعاً في ميدان التحقيق يقتدى به، ولا يستغنى عنه أى باحث في ميدان التحقيق.

لم ينحمه في ميدان العلم والأدب في القارة الهندية، فكان مرجع

العلماء والباحثين، يرشدهم ويساعدون حسبة الله وخدمة للعلم ، وأشهر أمره فتيل أماراة رامبور السابقة في دورات متعددة لكونغرس التاريخ الهندي لعلوم الهند (Indian History Congress) وهيئة السجلات التاريخية (Historical Records Commission) وإدارة المعارف الإسلامية (Administration of Islamic Knowledge) في لاہور، واتحاد رقى الأردية الهندي (انجمن ترقى اردو هند ) ، والكونغرس الأردوی لعلوم الهند ( كل هند اردو کانگریس ) في حیدرآباد ، ومثل الهند كعضو في وفد علماء الدراسات الهندية ( Delegation of Indologists ) إلى الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٥٨ م ، وفي منتدى اليونسكو لصيانة المخطوطات (UNESCO Seminar on the Preservation of Manuscripts) المنعقد في کابل سنة ١٩٦٧ م ، وفي احتفالات الشاعر الوطني الافغاني خوشحال خان خيلك في کابل سنة ١٩٦٨ م . وقد كان عضواً للهيئات العلمية الهندية الشهيرة مثل الدائرة الشرقية العثمانية (Osmania Oriental Bureau) في حیدرآباد ، وندوة العلماء في لکھنؤ ، ومؤتمر المسلمين التعليمي لعلوم الهند (All-India Muslim Educational Conference) في علی کره ، واللجنة الإدارية لمدرسة مطلع العلوم في رامبور ، ولجنة غالب المثوية لعلوم الهند (All-India Ghalib Centenary Committee) في دلهي الجديدة ، ومؤتمر الدراسات الإسلامية لعلوم الهند (All-India Islamic Studies Conference) ، وقد رأس دورتها الخامسة المنعقدة في الجامعة الملة الإسلامية بدلهي الجديدة ، ٦ - ٨ اکتوبر سنة ١٩٦٧ م ، كما كان عضواً مؤسساً لمكتبة صولت العامة في رامبور ، وكان عضواً سابقاً للجامعة الأردوية (جامعة اردو) في علی کره ، وفرع على کره لاتحاد رقى الأردية الهندي ، والأكاديمية الأردوية

الأردية اترا براديش (اردو اکيڈمی اتر براديش) في لکھنؤ . و قد قبلت مؤلفاته العلمية و دراساته الأدبية باستحسان و إعجاب و تقدير على المستويين الشعبي و الحكومي ، فقد طلمت عدة طبعات لبعض مؤلفاته ، كما أعيد نشر بعض مقالاته مرارا و تكرارا ثم نشرت بعضها في مجموعة ، كما نشرت بعضها الأخرى في كتب مستقلة ، وسيأتي ذكر ذلك كله في مؤلفاته فيما يلي ، أما من ناحية التقدير المادى فتراه منح عدة جوائز علمية و أدبية ، رسمية و شعبية تقديرا لخدماته و مجهوداته ومساعيه المشكورة ، و تكريما و تشريفا له ، منها الجائزة الأدبية لامارة رامبور السابقة سنة ١٩٤٦ م ، و معها ألف روبيه ، ر الجائزة الأدبية لـ كاديمية ساهتيه (Sahitya Academy) دلهى الجديدة سنة ١٩٦١ م ، و معها خمسة آلاف روبيه على إخراجه ديوان غالب سنة ١٩٥٨ م بتحقيق ممتاز وشكل جميل أنيق لم يسبق له مثيل ، و إجازة شرف من جانب رئيس الجمهورية الهندية لعلماء العربية الممتازين سنة ١٩٧٢ م ، و معها خمسة ألف روبيه سنويا مدى الحياة ، و جائزة أدبية خاصة لولاية اترا براديش سنة ١٩٧٤ م ، و معها خمسة ألف روبيه ، و أخيرا (وليس آخرها) جائزة مودي عن غالب للنشر الأردوى لسنة ١٩٨٠ م ، و معها خمسة ألف روبيه ، استحقها بعد وفاته ، والتي أعلن عنها أخيرا ، وقد انعقدت حفلة توزيع «جوائز غالب» لسنة ١٩٨٠ ، يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٨١ م في "ديوان غالب" بدلهى الجديدة ضمن حفلة الافتتاح لمنتدى غالب الدولي (بين الأقوامى غالب سمينار ) المنعقد ٢٤ - ٣٧ ديسمبر سنة ١٩٨١ م ٠

إنه كان سعيد الحظ في نظرى بأن لقى بعض التقدير من الأوساط العلمية والأدبية والشعبية والرسمية في حياته على خلاف عادة أهل الشرق

الذين يقدرون أمواتهم أكثر من أحيانهم ، ويتجاهلون المشغلين في ميدان العلم والأدب والثقافة في حياتهم ، فيخسون في حقهم ويكون عليهم بعد مماتهم .

أني اعتبره أكثر حظاً مما سبق ، خاصة بما آتى من تقدير واعجاب من شيخه الفاضل العلامة عبد العزيز الميمني رحمه الله ( ١٣٠٦ - ١٤٨٨ / ٥ - ١٣٩٩ ) ( ١٩٧٨ م ) الذي كان من نفسه من أعلام الأدب العربي وآثره وفراخه ، ومرجع أهل العلم في شبه القارة الهندية في هذا القرن ، و الذي اتخذنا صاحبنا العرشى أسوة له في حياته العلمية كما ذكرنا فيما سبق ، قدر له ان عاش فرأى أعمال تليذه الذكى النجيب المتاز ، وأعجب بنشاطه و همه واستعداده و خدماته العلمية والأدبية .

وكذلك أعتبره أكثر حظاً فيها وجد من حب وود و إخلاص من أصدقائه وزملائه المعاصرين في ميدان العلم والأدب في الهند ، فقد أسس « مجلس نذر عرشى » المكون من اثنين وأربعين عضواً بارزاً في المجتمع الهندي تحت رئاسة رئيس الجمهورية الهندية الأسبق الدكتور ذاكر حسين ( ١٣١٥ - ١٤٨٩ / ٥ - ١٩٦٩ م ) ، بعد العدة لإهدائه كتاباً تذكارياً تكريماً له عند عيد ميلاده الحادى والستين ( يوم ٨ ديسمبر سنة ١٩٦٥ م ) ، وقد صدر هذا المجلد التذكاري بترتيب الاستاذ مالك رام والدكتور مختار الدين أحمد موزعاً في قسمين : الأول في ترجمته ، يحتوى على أربع مقالات عن حياته ، وأعماله المطبوعة وغيرها ( إلى سنة ١٩٦٥ م ) ، و انبطاعات أحد معاصريه ، وتقدير بعض أعماله الأردية والفارسية ، والثانى يحتوى على تسعة عشرة مقالة علمية بأقلام العلماء والباحثين المعروفيين من الهند وخارجها .

أما في الأوساط العلمية خارج القارة الهندية، فلم يعرف أمره كا  
ييدو إلا بتفسير القرآن للثورى ( انظر مؤلفاته العربية المطبوعة رقم ٧ ) ،  
وذلك لأن أكثر أعماله العربية العلمية لم تظهر إلا في مجلة " ثقافة الهند " <sup>٢٩</sup>  
الصادرة من مجلس الهند للروابط الثقافية بدهلي الجديدة ، ولم تقدر هذه  
المجلة أن تنفذ في الأوساط العلمية العربية في العالم لشبيه رسالتها ، ولكن  
حين وصل التفسير المذكور إلى أيدي العلماء والباحثين من العرب  
وغيرهم عرفوا شخصيته وقدرته ومكانته العلمية ، واستحسنوا ما وجدوا  
فيه من تحقيق ودراسة ، واستيعاب وشمول ، وأعجبوا بما تمسك فيه من  
مستوى عال رفيع ، وقدروا ما بذل فيه من جهد مضن حق تقدير ، فقد  
كتب الأستاذ الفاضل محمد بهجة البيطار ( ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م )

معلقاً عليه <sup>٣٠</sup> :

..... و الحق أقول إن لم أر كتابا شرقيا أو غربيا أوسع  
استيعابا ، وأكثر اتقانا من هذا الكتاب ، و تعليلات الأستاذ  
المصحح ( العرشى ) ليس عليها أثر للعجمة ، بل هي مثل رائع في  
فصاحتها .

كما كان انطباع الباحث المستشرق و مونت جومرى وات  
( W. Montgomery Watt ) عنه :

و بالجملة لا يمكن للباحث الأوروبي إلا أن يعجب بهذا الكتاب  
و يقدره ، و يدهش أمامه ، و ما وراءه من علم و معرفة متسمة  
بالمثابرة و الاتقان .

و هنا نشعر بضرورة نشر جميع أعماله العربية المطبوعة وغير المطبوعة  
في مجموعة كاملة لحفظها عليها كنوز خيرة علمية أدبية قيمة ذات مستوى

عال رفيع ، وندعو الله عز وجل أن يوفق أحد أبناءه الأبرار باخراجها على المستوى العلمي المطلوب الذي كان يسعى - رحمه الله - دائماً إلى أن يبلغ فيه القمة ، ويصدق على ذوقه الجمالي الرفيع في إخراج كتبه ونشرها جميع المترجمين له و المتصلين به .

### مؤلفاته<sup>١</sup>

ألف رحمه الله تعالى في حياته العلمية الراherة بالعلم والأدب والمعروفة سبعة وستين كتاباً ورسالة ، وخمساً وعشرين و مائة مقالة في اللغات العربية والفارسية والأردية والإنكليزية عثروا عليها الآن ، منها سبعة وثلاثون كتاباً ورسالة ، وست عشرة و مائة مقالة مطبوعة ، وباقي غير مطبوع حسب الجدول التالي :

### البيان الإجمالي لمؤلفاته وكتاباته

اللغات	الكتب والرسائل	المقالات	المجموع
العربية	غير المطبوعة	المطبوعة	المجموع
الإنكليزية	١	١	٤
الفارسية	٦	٠	١
الأردية	١٩	١٢	٣١
و نحن	٣٧	١١٦	١٩٢

و نحن سوف نحاول هنا إحاطة جميع مؤلفاته حسب ترتيب اللغات الأربع أولاً ، ثم موزعا تحت كل لغة على المطبوع وغير المطبوع ، ثم مقسما حسب المواد المتيسرة من موضوعات تحقيق النصوص ، والدراسات ، وفهرسة للخطوطات ، والرسائل ، والترجمات ، والكتب المدرسية ، وجموعة المقالات ، والمقالات ، وتقديم الكتب و التعریف بها مع مراعاة الترتيب التاريخي فيها .

### مؤلفاته العربية المطبوعة

#### الف - تحقيق النصوص :

١ - كتاب الأجناس = لأبي عبيد القاسم بن سلام ، سلسلة مطبوعات المكتبة الرايمورية رقم ٢ ، المطبعة القيمة ، بمبنى ، سنة ١٣٥٦ / ١٩٣٧ م ، ٧٦ صفحة .

هذه رسالة لابن سلام ( ١٥٧ - ٢٢٤ / ٧٧٤ - ٨٢٨ م ) فيها اشتبه لفظه و اختلف معناه ، أعدها العرشى من مخطوطه لها في المكتبة الحكومية برامبور بمراجعة أمهاه كتب اللغة ، و معارضتها على مخطوطة " غريب الحديث " لابن سلام نفسه في المكتبة المذكورة ، ثم مقابلتها مع صورة مخطوطتها في المكتبة الخديوية المصرية ، وزودها بترجمة حافلة للمؤلف في أربع وعشرين صفحة جنب الاثنين وعشرين صفحة لنص الرسالة ، كما الحق باخرها كثيرا من الألفاظ المذكورة مستخرجة من « غريب الحديث » المذكور في سبع عشرة صفحة مرتبة على ترتيب حروف الهجاء ، وضمنها بثلاثة فهارس مفيدة لمراجعة الألفاظ المذكورة ، آخرها على ترتيب الحرف الأخير للباب ، والأول للفصل على طريقة « الصحاح » ، لأبي نصر إسماعيل الجوهري ( المتوفى نحو سنة ٥٢٩٦ /

١٠٥ م ) ، اتَّهَى من العمل فيه في أغسطِس سنه ١٩٣٠ م ، وأراد نشرها من دائرة المعارف حيدرآباد في الهند . ولكنه لم يوفق ، فنشرت بعد ثمان سنوات من المكتبة الحكومية في رامبور التي كان يديرها ، فكان أول عمل منشور له في العربية .

٢ - ديوان شعر الحادرة = لقطة بن أوس الدياني الملقب بالحادرة ، برواية أبي عبد الله محمد بن عباس اليزيدي ، نشر كملحق أول في Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic Society , New Series , Vol. 24-25, 1948-49 ; Supplement 1, 1-40 pp. بقى نص ديوان شعر الحادرة ( الشاعر الجاهلي ) برواية اليزيدي ( ٢٢٨ - ٩٢٢ / ٨٤٣ - ٥٣١ م ) على رأى العرشى « من النقص ما يأبه الذوق ، ويخل في المعنى ، فضلاً عن ندرته فيها نشره المستشرق الألماني Engelmaan ( G. H. Engelmaan ) مع ترجمته اللاتينية .

فأعده بمقابلته لنسخه الخطية في رامبور و مصر و إنكلترا ، مثبتا اختلافها في الحواشى ، و مضيقا إليه ما وجده من أبيات الحادرة في أربعة وعشرين من الكتب الأدية و اللغوية العربية القديمة ، شارحا و مفسرا لغات شعره ، كما كتب في أوله مقدمة في ست صفحات تعريفا بصاحب الديوان ، وألحق في آخره فهارس عديدة للراجعة .

٣ - لامية الهند = للقاضي عبد المقتدر بن محمود بن سليمان الشربي الكندي الدهلوى ، مجلة ثقافة الهند الفصلية ، الصادرة من مجلس الهند للروابط الثقافية بدلهى الجديدة ، ١ / ٣ / سبتمبر سنه ١٩٥٠ م ، الصفحات ٩ - ٢ .

عارض بها القاضي عبد المقتدر الدهلوى ( المتوفى سنة ٥٧٩١ / ١٣٨٩ )

(١٣٨٩ م) لامية العجم الشهيرة لمؤيد الدين الطغرائي الأصفهاني (المتوفى سنة ٥١٥ / ١١٢١ م) بكلام بلغ فضيحة، وجدها العرشى بأنها لم تنقل في كتب الأدب والتاريخ إلا ناقصة، ولا تكاد توجد كاملة إلا في بعض المجاميع الأدبية مصححة مشوشة، فرجع إلى مطانها وضبطها وشرحها وصححها وفسر بعض كلماتها الغامضة.

٤ - الدالية = للشيخ أحمد بن محمد التهانيسري، مجلة ثقافة الهند، دلهى الجديدة، ١ / ٣ يونيو سنة ١٩٥٢ م، الصفحات ٨٠ - ٨٢.

وجد العرشى من القصيدة المذكورة للتهانيسري (المتوفى سنة ٨٢٠ / ٥١٤١٧ م) أبياتاً في سبحة المرجان في آثار هندوستان (ص ٣٧ طبعة بمبى ١٣١٣ هـ) وتسليمة الفواد في قصائد آزاد (الصفحات ١٤ - ١٥ ب) كلتيهما لسيد غلام على آزاد البلكري (١١٦ - ١٢٠٠ هـ ١٧٨٥ - ١٧٠٤ م)، فضبطها وشرحها، وقد فاته كثير من أبيات هذه القصيدة، ذكرها العالم المؤرخ الهندي الشهير عبد الحى الحسنى (المتوفى سنة ١٢٤١ / ١٩٢٣ م)، ولم ترد القصيدة كاملة عنده أيضاً<sup>٢٢</sup>.

٥ - ديوان أبي محجن = لعمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى الصحابى الملقب بمعظيم الربع، صنعة أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى، مجلة ثقافة الهند، دلهى الجديدة، ٣ / ٢ سبتمبر سنة ١٩٥٢ م، الصفحات ٨٣ - ١٣٠.

وجد العرشى عند عمله في تصحيح ديوان الحادرة (المذكور أعلاه رقم ٢) في نسخة بخط محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي، من نسخة ملوكية بخط ياقوت المستعصمى ديوان أبي محجن (المتوفى سنة ٥٣٠ /

(٦٥٠ م) ، من صنعة أبي هلال العسكري (المتوفى سنة ٥٣٩٥ / ١٠٠٤ م) فأعجب بغزاره معانى شعره وجزالة أبياته ، فنسخه وعارضه على المطبع من الديوان (طبعة ليدن ، ١٨٨٩) بتصحيح لاندبرج (Le Comet Landberg) الملقب بالشيخ عمر السويدى ، كما قابله على نسخة خطية ييد أبي عبد الله محمد بن يوسف السورى ٢٢ (١٣٠٧ - ١٨٨٩ / ١٣٦١ - ١٩٤٢ م) الذى رتب أبياته على القوافي مع استدراك ما فات العسکرى من شعره ، ثم تتبع العرشى شعره فى المظان الأدبية والتاريخية ، جمعه مع التحقيق والتفسير والشرح ، وقدمه بترجمة لصاحب الديوان وجامعه الأول العسكرى فى ست صفحات بحسب النص فى أربع وثلاثين صفحة ، وشعره من المراجع الأخرى فى ثمان صفحات .

٦ - الأمثال السائرة من شعر المتى = للصاحب كافى الكفافة إسماعيل ابن عباد الطالقانى القزوينى ، مجلة ثقافة الهند ، دلهى الجديدة ، ٤/٤ / ديسمبر سنة ١٩٥٣ م ، الصفحات ٣٢ - ٤٨ ؛ ١ / ٥ / ١ مارس سنة ١٩٥٤ م ، الصفحات ١٤ - ٤٤ ؛ ٢ / ٥ / ٢ يونيو سنة ١٩٥٤ م ، الصفحات ٤١ - ٥٨ ؛ ٣ / ٥ / سبتمبر سنة ١٩٥٤ م ، الصفحات ١٤ - ٣٦ .

وقف العرشى على هذه الرسالة للصاحب ابن عباد (٣٢٦ - ٥٣٨٥ / ٩٣٦ - ٩٩٥ م) الذى جمع فيه الأمثال من شعر أبي الطيب أحد ابن الحسين بن عبد الصمد الجعفى الكندى الكوفى المعروف بالمتنى (٣٠٣ - ٩١٥ / ٥٢٥٤ - ٩٦٥ م) ، فأعجب بها وأخرجها بتحقيقه وزياداته من المراجع الأدبية الأخرى مثل كتاب الوساطة للقاضى أبي الحسن الجرجانى (المتوفى سنة ٥٣٩٢ / ١٠٠٢ م) ، ويتيمة الدهر

الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الشعالي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ١٠٣٧ م) ، وشرح ديوان المتنبي لأبي البقاء العكبرى (المتوفى سنة ٦١٦ هـ ١٢١٩ م) ، وخزانة الأدب لتقى الدين أبي بكر ابن حجة الحموي (المتوفى سنة ٨٣٧ هـ ١٤٣٤ م) ، أخرجهما لأهل العلم ”ليزينوا بها جياد عباراتهم البلية“ ، ويقتدوا بالصاحب (ابن عباد) في الإنفاق والعدل ، ولو في حق من يكرهوه ويغضبه لوجه ما“ . ثم زودها بمقدمة عن المتنبي وترجم الصاحب ابن عباد ، ونفر الدولة أبي الحسن على بن ركن الدين (المتوفى سنة ٣٨٧ هـ ٩٩٧ م) في ست عشرة صفحة بجنب النص في ثلاثة صفحات ، والزيادات عليه من الجرجانى في سبع عشرة صفحة ومن الشعالي في اثنين وعشرين صفحة .

٧ - تفسير القرآن = لأبي عبد الله بن سعيد بن مسروق الثورى ، سلسلة مطبوعات مكتبة رضا رامبور رقم ١٣ ، رامبور ، سنة ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م .

أعده العرضى من مخطوطة لتفسير الثورى (المتوفى سنة ١٦١ هـ ٧٧٨ م) في مكتبة رضا برامبور بعد مراجعة خمسة ومائتين من المصادر العربية القديمة في التفسير والقراءات والحديث والأصول والكلام والتاريخ والسيرة والرجال والترجم واللغة والأدب . وكانت المخطوطة المذكورة ناقصة من الأول والوسط والآخر ، لذلك يحتوى هذا الكتاب تفسير تسع وأربعين سورة من أربع عشرة ومائة سورة للقرآن الكريم ، أوله سورة البقرة ، وآخره سورة الطور ، وقد سقطت من بينهما سورتا محمد والدخان ،

كما أن ترتيب التفسير فيه أيضاً ليس على النهج المتعارف بسبب تقديم وتأخير بعض الآيات . وقد قدمه العرشى بترجمة حافلة في نحو أربعين صفحة بجانب نص الكتاب في أربع وأربعين ومائتين صفحة ، كما زوده بترجم حافلة لستة وتسعين ومائتين من رجال الثورى مرتبة على الصحابة والتابعين وتابعهم في سبع وسبعين ومائة صفحة ، وهى من نفسها تعتبر ذات قيمة كبيرة للعاملين في هذا الميدان ، وألحق في النهاية فهارس علمية نافعة معروفة . وقد ذكرنا فيما سبق ما لقى هذا الكتاب من تقدير وإعجاب واستحسان وثناء من العاملين في ميدان العلوم الإسلامية في الشرق والغرب ، فلا حاجة إلى إعادةه هنا مرة أخرى .

٨ - كتاب الأخبار للجاحظ = في كتاب ندر ذاكر ، الصادر من مجلس ندر ذاكر ، دلهى الجديدة ، سنة ١٩٦٨ م ، الصفحات ٢٠٣ - ٢٢٤ (في الأردية) - ٢٦٦ - ٢٣٥ (النص العربي) .

نشر في المجلد التذكاري الذي أهدى إلى الدكتور ذاكر حسين (١٢١٥ - ١٢٨٩ / ١٨٩٧ - ١٩٦٩ م ) رئيس الجمهورية الهندية الأسبق عند عيد ميلاده الحادى والسبعين تكريماً لخدماته الوطنية ، وخاصة في ميدان التربية والتعليم في الهند من جانب العلماء والباحثين الهندود . وذكرنا هذا المقال هنا لما يحتوى من تحقيق النص العربي ، مع أن التقديم له كتب في اللغة الأردية .

أشار فيه أولاً إلى ما كتب عن أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٦٠ - ٢٥٥ / ٧٧٦ - ٨٦٩ م ) ثم قام بتعريف شخصه ومنزلته العلمية ومكانته الأدبية ، ثم ذكر مؤلفاته ، ومنها كتاب الأخبار الذي (٥١)

الذى لم يجد منه نسخة إلى وقت كتابة هذا المقال ، إلا أنه وجد منه اقتباسين طويلين في كتاب تفسير الحور العين للقاضى أبي الحسن نشوان الحميرى (المتوفى سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٨ م ) ، أولهما في بيان إفراط الأمم من العرب والروم والفرس والهنود في الاعتقاد بالأمور الدينية اعتقادا خاطئا ، لا يتناسب مع تقدمها العلمي والفكري والإدبى ، وثانىهما عن الإيمان بالأحاديث المخالفة للعقل والتجربة عند المسلمين خاصة ، قدم نصها العربي في آخر المقال بتحقيقه مع الإحالة على كتاب « تأویل مختلف الحديث » لابى محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة الدينوري (٢١٢ - ٨٢٨ هـ / ٩٢٧ - ٨٨٩ م ) وكتاب « مشكل الحديث وبيانه » لابى بكر محمد بن حسن بن فورك (المتوفى سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م ) لمن يريد من أهل العلم معرفة جانب آخر من هذا الموضوع .

٩ - كتاب رسوم الخط = لابى بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى البغدادى ، المعهد الهندى للدراسات الإسلامية ، تغلق آباد ، دلهى الجديدة (رامبور ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٧ م ) الصفحات

٦ - ٦

بحث فيه ابن الأنبارى (المتوفى سنة ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م ) رسوم خط القرآن ، و ما اختلف فيه قراء الأمصار ، و ما اتفقا عليه من ذلك ، وقد أعده العرشى من نسخته الوحيدة التي وجدتها في مكتبة رضا برامبور ، مجلدة مع شرح العقيدة الخاقانية لابى منراجم البغدادى (المتوفى سنة ٩٣٧ هـ / ٥٣٤ م ) ، والتي شرحها أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى (٣٧١ - ٩٨١ هـ / ٤٤٤ - ١٠٥٣ م ) ، وقد ألحق

بآخره فهارس للكلمات المبحث عنها والأشخاص والأحزاب  
واليارات والكتب .

١٠ - كتاب المقطوع والموصول = لأبي بكر محمد بن القاسم بن محمد  
بن بشار الأنباري البغدادي ، سلسلة مطبوعات مكتبة رضا برامبور  
رقم ١٩ ، (رامبور ، سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م) الصفحات ٦-٥٨  
ذكر فيه ابن الأنباري (المتوفى سنة ٩٤٠ هـ / ٣٢٨ م) ما رسم في  
المصاحف من المقطوع والموصول ، وما رسم بالهاء والتاء ، وما رسم  
بالواو و الألف و الياء ، و اختلف سائر مصاحف أهل الامصار  
في الزيادة والقصاص وغير ذلك .

وقد أعده العرشى من مخطوطته في مكتبة رضا برامبور بمراجعة  
كتاب رسوم الخط لنفس المؤلف (المذكور برقم ٩ أعلاه ) ،  
وكتاب المقنقع في رسم مصاحف الامصار ، وكتاب التيسير في  
القراءات السبع كليهما لأبي عمرو الدانى (٢٧١ هـ / ٤٤٤ م - ٩٨١ هـ / ١٠٥٣ م ) ، واتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر لآحمد  
بن محمد بن أحمد الدمياطى المعروف بالبناء (المتوفى سنة ١١١٧ هـ / ١٧٥٥ م ) ، ثم أراد نشره في بداية القرن الخامس عشر الهجرى  
احتفاء بذكره ، وانه طبع في حياته ، ولكن لم ينشر إلا بعد  
وفاته ، وهكذا كان آخر عمل منشور له في العربية طبع تحت  
عناته الذاتية .

### ب - الدراسات :

١١ - استناد نهج البلاغة = تعریب عاصم الانصاری ، المطبعة القيمة ،  
بمبئی ، سنة ١٩٥٧ م ، الصفحات ٨٧ وطبع أخيرا في إيران .  
ألف

ألف العرشى هذه المقالة في الأردية ، فقبول باستحسان وتقدير زائد ، ونشر مرارا ( انظر مؤلفاته الأردية المطبوعة رقم ٩ ، ومقالاته الأردية المطبوعة رقم ٤٩ ) ، وصادف أن رآها وزير التعليم الهندي الأسبق الشيخ أبو الكلام آزاد<sup>٢٤</sup> ( المتوفى سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م ) فأعجب بها ، وأشار إلى عبد الرزاق المليح آبادى المرحوم<sup>٢٥</sup> مدير مجلة ثقافة الهند في ذلك الوقت أن ينشر ترجمتها العربية في مجلته ، فنشرها بتعريب عامر الانصارى ومراجعة صاحب المقال ( انظر مقالاته العربية المطبوعة رقم ٢ ) . وقد ذكرناه هنا أيضا لأنه نشر في شكل كتاب مستقل .

عرض فيه العرشى لكتاب نهج البلاغة الذى يحتوى على نخبة من خطب سيدنا على بن أبي طالب رضى الله عنه ( ٢٣ ق ٥ - ٤٠ هـ ٦٠٠ - ٦٦١ م ) ورسائله وحكمه ، فرد على من يزعم بأن محتوياته من صنع محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضى ( ٣٥٩ - ٤٠٦ هـ ٩٧٠ - ١٠١٦ م ) بأدلة وبراهين ، وبحث محتوياته خطبة خطبة ، ورسالة رسالة ، ثم بعض الحكم في المصادر والمراجع العربية القديمة على طريقته المعهودة في التحقيق والتدقيق ، واستنتاج بأنها ليست من صنع الشريف الرضى ، بل اعنى بتدوينها وتسجيلها متفرقة مبعثرة من سبقه من المؤرخين والمؤلفين ، و كان ينوى مناقشة محتويات نهج البلاغة دراسة فيها « إذا كان على رضى الله عنه قد نطق بكل ما جملت في دقى كتاب نهج البلاغة ، وهل يصح انتسابه إلى أمير المؤمنين رضى الله عنه »<sup>٢٦</sup> .

ج - المقالات :

١ - «الإمام الثوري وكتابه في التفسير»، في المباحث العلمية، دائرة المعارف الإسلامية، حيدر آباد بالهند، سنة ١٣٥٨ هـ، الصفحات ١٥٩ - ١٨٨.

هذه المقالة سبقت نشر كتابه تفسير القرآن للثوري (المذكور في مؤلفاته العربية المطبوعة رقم ٧) نحو خمس وعشرين سنة، قدمها في الاحتفال بعيد الفضى لدائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد بالهند سنة ١٣٥٨ / ٥ م ونشرت ضمن مجموعة المقالات المقدمة فيه.

٢ - استناد نهج البلاغة . تعریب عامر الانصاری ، مجلة ثقافة الهند ، دلهی الجديدة ٨ / ٤ / ديسمبر سنة ١٩٥٧ م الصفحات ٢ - ٨٧  
 (سبق التعريف بها في مؤلفاته العربية المطبوعة رقم ١١)

٣ - « حول أخبار الزمان » . مجلة ثقافة الهند ، دلهی الجديدة . ١١/١٢  
 يناير سنة ١٩٦١ م ، الصفحات ٩٣ - ١٢٣ .

بحث في هذه المقالة أن المطبوع من أخبار الزمان (تصحيح مراجعة الأستاذ عبد الله الصاوي ، ١٩٣٨ ) لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (المتوفى سنة ٩٥٧ / ٥٣٤٦ م) ليس في الحقيقة أخبار الزمان (لا كله ولا جزءه) ، بل هو في الحقيقة اختصار أجزاءه التي اختصرها المسعودي نفسه لا غير ، وأنه لا يبعد أن يكون قطعة من الكتاب الأوسط له ، بدليل ما يوجد في المطبوع (من أخبار الزمان المذكور) من المطالب التي لم يذكرها المسعودي إلا في الكتاب الأوسط فقط .

٤ - «الجاحظ وانتاجه العلمي والأدبي» . تعریب سلمان الشمسي ، مجلة البعث (٥٢)

البعث الإسلامي ، لـ كـ هـ نـ ، ١٨ / ٨ / ابريل سنة ١٩٧٤ م ، الصفحات

٩٧ - ٧٨

الترجمة العربية للتقديم الذي كتبه العرشى في الأردودية عند نشر اقتباسين من كتاب الأخبار لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ( ١٦٠ - ٢٥٥ / ٥٨٦٩ م ) ( انظر مؤلفاته العربية رقم ٨ ) .

### مؤلفاته العربية غير المطبوعة

#### ألف - تحقيق النصوص :

١ - تسهيل الميزان = تحب الله بن عبد الشكور البهارى .  
هو اختصار لسلم العلوم في المنطق للبهارى نفسه ( المتوفى سنة ١١١٩ / ٥١٧٠٧ م ) ، وقام العرشى بالشرح و التعليق عليه على ما يedo حين كان ابن ثمان عشرة سنة ، فقد أرخت المخطوطة المحفوظة منه بخطه في مكتبة رضا رامبور برقم ٣٤٤٥ بسنة ١٣٤٠ / ٥١٩٢٢ م ، مما يدل على أنه قام بهذا العمل حين كان طالبا في مدرسة مطلع العلوم رامبور ، وتلميذا خاصا للشيخ سيد أحمد الهزاروى ، و معتنيا بالعلوم العقلية أكثر من غيرها . وعلى هذا هو أول تأليف له في العربية لم يقدر له أن ينشر .

٢ - شواهد القرآن = للإمام أبي جعفر بن جرير الطبرى .  
خرج في هذا الكتاب جميع الآيات التي وردت في تفسير الطبرى ( ٢٢٤ - ٢٣١٠ / ٨٣٩ - ٩٢٣ م ) بالحالة على أقدم المصادر العربية المتيسرة مع ذكر أصحابها و نقل سياقها في التفسير المذكور ، وهو في سبع مجلدات . وبهذا أضاف العرشى إلى مؤلفات الطبرى

الكثيرة المتعددة كتاباً جديداً هما ينتفع به في الدراسات القرآنية  
والأدبية وغيرها.

٣ - ديوان النمر = مجموعة شعر النمر بن تولب العكلى (المتوفى نحو  
سنة ١٤٥ هـ / ٦٣٥ م) ، جمعها باحثاً متقدماً من الكتب القديمة،  
شم رتبها في هذا الديوان.

٤ - كتاب المصور والمددود = لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله  
الفراء السكوفي جمع فيه الفراء (١٤٤ - ٥٢٠٧ هـ / ٧٦١ - ٨٢٢ م)  
الكلمات العربية الكثيرة التي تنتهي بالألف المقصورة والألف  
الممدودة، وأعده العرشى من مخطوطة مكتبة رضا برامبور، ونسخة  
أخرى منه في تركيا، ولكتنه لم ينشره، لأن شيخه الأستاذ  
عبد العزيز الميمى قد نشر نفس الكتاب بتحقيقه قبله.

٥ - رسالة في اختلاف الملل في الألوهية والإماماة.

اقتبسها مما جاء في كتاب تفسير الحور العين للقاضى أبي سعيد /  
أبي الحسن نشوان بن سعيد بن نشوان الحميرى اليمى (المتوفى سنة  
٥٧٣ هـ / ١١٧٨ م) من شرح لمعتقدات الطوائف الإسلامية وغيرها  
في الألوهية والإماماة، وأورد في الحواشى ما جاء فيها من مصادر  
أخرى.

٦ - ديوان جرير بن عطية (٢٨ - ١١٠ هـ / ٦٤٠ - ٧٢٨ م).

٧ - النواذر عن أبي عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابى  
(١٥٠ - ٢٣١ هـ / ٨٤٥ - ٧٦٧ م).

٨ - كتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة = لسکی بن  
حوش القيسي (٣٥٥ - ٤٣٧ هـ / ٩٦٦ - ١٠٤٥ م).

كتاب

- ٩ - كتاب المختصر في صحيح الاعتقاد و صريح الانتقاد = للقاضى أبي سعيد نشوان الحميرى .
- ١٠ - كتاب مختصر ميزان الشعر و ثبيت النظام = للقاغنى أبي سعيد نشوان الحميرى .
- ١١ - مختصر كتاب مشكل الروى و صراطه السوى = للقاضى أبي سعيد نشوان الحميرى .

ب - الدراسات :

١٢ - فصل الخطاب لعمر بن الخطاب .  
و هو في أربعة أجزاء : الأول في سيرة سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه (٤٠ ق - ٥٢٣ / ٥٨٢ - ٦٤٤ م ) ، مروية عنه بصيغة المتكلم ،  
والثاني في خطبه على الترتيب التاريخي مع بيان المناسبة و الغرض  
من كل خطبة ، والثالث في رسائله مرتبة على أسماء المرسل إليهم  
بالمسلسل التاريخي مع بيان أحوالهم و نقل رسائلهم الموجهة إليه في  
الحواشي إن تيسر ، والرابع في أقواله المأثورة على ترتيب  
الموضوعات .

و قد ذكرنا فيما سبق أنه كيف اهتم بجمع مواد هذا الكتاب منذ  
وقت مبكر ، ججمع منها كثيرا في نحو نصف قرن من الزمن ، ولكنه  
لم يوفق بترتيبه نهائيا إلى آخر حياته <sup>٣٧</sup> .

مركز الدراسات الآسيوية الغربية     الدكتور مسعود الرحمن خان الندوى  
جامعة إسلامية على كره .

## المواهش

(١) إن هذه المكتبة العظيمة الضخمة تضم بين جوانحه ثروة علمية غزيرة من المخطوطات النادرة البالغ عددها خمسة عشر ألف مخطوط ، منها ستة آلاف في العربية ، و مثله في الفارسية ، و ألف و خمسين في الأردوية ، و ألف في الهندية و السنكريتية ، و مائة و خمسون في التاميلية ( لغة جنوب الهند ) ، و خمسين في التركية والبشتو ( لغة الأفغان ) ، بالإضافة إلى ثلاثة مخطوطات من مكتبة لوهارو التي نقلت إلى مكتبة رضا برامبور سنة ١٩٥٧ م . و يبلغ عدد المطبوعات في المكتبة نحو ثلاثة ألاف و خمسة كتب ، منها ثلاثة ألاف و خمسة كتب من مكتبة لوهارو المذكورة ، وأكثر هذه المطبوعات في الأردوية حيث يبلغ عددها نحو سبعة عشر ألف كتاب .

(٢) اعتمدنا أساساً في أحوال أسرته و حياته على ما جاء في المقابلة الصحفية التي أجرأها معه أديب الأردوية المعروف مالك رام بوبيجيه أعداداً للجلد التذكاري « نذر عرشى » ( جمع و ترتيب الأستاذ مالك رام و الدكتور مختار الدين أحمد ) بمناسبة عيد ميلاده الحادى و الستين ( ٨ ديسمبر سنة ١٩٦٥ م ) ، و الذي أهدى إليه من جانب « مجلس نذر عرشى » تحت رئاسة الدكتور ذاكر حسين رئيس الجمهورية الهندية في ذلك الوقت في مارس سنة ١٩٦٦ م . وقد وجدنا نسخة من نص المقابلة المذكورة عند أكبر على خان عرضى زاده ( أكبر أبناء العرشى ) وكانت مصدرنا الأسمى في استقاء المعلومات إلى جانب ما كتب عنه في حياته و بعد وفاته ، و ما علمنا عنه من معارفه و أصحابه و خاصة ابنه المذكور .

(٣) و رد خطأ « رحيم » بازخان في تذكرة ساملان رامبور للحافظ أحمد على خان شوق ، همدرد بريس دهلي ، سنة ١٩٢٩ ، الصفحة ٤٩ .

(٤) مالك رام ، « ذكر عرشى » ، في كتاب نذر عرشى ، الصفحة ١٦ .

- (٥) كان يحق لرسالدار أن يوظف ألف فرسان كموظفيه على نفقه الحكومة التي تمنع عادة اقطاعاً لنفقة تهم .
- (٦) كلمة «نشانجي» معناها الهدف ، مما يوحى أنه كان أيضاً من عساكر الأفغان
- (٧) هو حسن شاه بن سيد شاه الحسيني (المتوفى سنة ١٣١٤ھ) أحد العلماء المشهورين بالحديث (ترجمته في نزهة الخواطر ٨ / ١٠٨) .
- (٨) هو محمد حسن بن كرامة علي بن رستم على الحسيني (١٢٤٩ - ١٣٢٣ھ) أحد العلماء المبرزين في معرفة الكتب السماوية ، وله مؤلفات عديدة . (ترجمته في نزهة الخواطر ٨ / ٤٢٠) .
- (٩) من أشهر أساذذة مدينة رامبور ، تخرج على يديه خاق كثير . (المقابلة ، الصفحة ٣٧) .
- (١٠) اعتبره صاحب تذكرة ساملان رامبور (الصفحة ٨٩) و كذلك : س . بزمي انصارى (هم درد اسلاميكس الفصلية ، الصفحة ١٠١) خطأ من اولاد جعفر على خان الذى ذكرناه كمعه .
- (١١) وقد خالط مالك رام هنا خلطًا عظيمًا حين وصف اولاً غلام قادر خان بكلد العرشى ، ثم ذكره في النهاية كأخى والدته (نذر عرشى ، الصفحة ٢٠) أى خاله ، وهو خطأ و الصواب كما ذكرنا .
- (١٢) وهو كان طالباً من مدينة «گيا» في ولاية بهار ، يسكن مسجد الحى في ذلك الوقت .
- (١٣) وهو من تلامذة العالم الشهير العلوم العقلية الشيخ عبد الحق الخير آبادى (١٢٤٤ - ١٣١٨ / ١٨٢٨ - ١٩٠٠م) ، فبرع في المنطق و الفلسفة و البحدل و الماظرة ، كما تعلم الطبع على يد الطبيب المشهور الحكيم عبد المجيد خان الدهلوى (١٢٦٦ - ١٣١٩ / ١٨٤٩ - ١٩٠١م) ، وقد عين طبيباً خاصاً لحاكم الإمارة على توصية من الطبيب المعروف الحكيم إجمل خان الدهلوى (١٢٧٤ - ١٣٤٦ / ١٨٦٤ - ١٩٢٧م) ، وتوفى يوم ٣٠ مارس سنة ١٩٣١م .

(١٤) من سكان بلدة رجوعية في محافظة هزاره ، تعلم فيها ثم في بغداد و رامبور ، و تولى منصب رئاسة المدرسين في مدرسة مطلع العلوم برامبور ، وقد كان إلى جانب علمه ديننا أمنينا صادقا ، بعيدا عن الكلفة والتصنم ، محبا للعيشة البسيطة ، صريحا جسورا لا يخاف في الله و رسوله لومة لائم . وقد تأثر به العرش في حياته ، فكان صورة له في خلقه و عاداته و صفاته . توفي يوم ٢٠ يونيو سنة ١٩٥٠ م .

(١٥) اشتهر في العلوم العقلية والنقدية ، كان من أقدم الأساتذة الكلية الشرقية لا هور سنة ١٩٣٢ م ، حين رجع إليه الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوى بعد قراءته الجزء الأول من حجة الله البالغة للشاه ولـ الله الدهلوى على الشيخ أحمد على اللاهوري ( المتوفى ١٨ / رمضان المبارك ١٣٨١ هـ / ٢٣ فبراير سنة ١٩٦٢ م ) .

(١٦) كان من أعلام الأدب العربي في القرن الحاضر في الهند ، اشتغل بالتدريس و اشتهر بالتأليف و تحقيق المصادر الأدبية العربية القديمة و شرحها ، و التعلق و التحشية عليها . ذكرنا موجزا حياته و مؤلفاته في حديث إذاعي للبرامج الموجهة إلى العالم العربي من إذاعة عموم الهند في دلهي الجديدة ، و نشر في جريدة الرائد النصف الشهرية ، لكنه ظهر بالهند ، ٢٠ / ١٩ / او ابريل ١٩٧٩ م ، و نقل منها أيضا في مجلة الجامعية السلفية ، بقارس بالهند ، ١١ / ٦ - ٧ / يونيو - يوليو سنة ١٩٧٩ م .

(١٧) كانت له مشاركة في أكثر العلوم العقلية والنقدية والأدبية والرياضية ، واطلاع على التاريخ و الترجم ، و شغف بالنجوم و المواقف ، ( ترجمته في نزهة الخواطر ٢٠٢ / ٨ - ٢٠٣ ) .

(١٨) أخطأ مالك رام حين قال أنه تخرج من المدرسة المذكورة ( نذر عرضي الصفحة ٢٣ ) ، وكذلك أخطأ العرشى بذلك في حوادث سنة ١٩٢٤ م ، المقابلة الصفحة ٢٠ ) و ذلك لأنه كان في هذه السنة مقيا في لا هور ، بعد العدة الدخول امتحان « مولوى فاضل » كما ذكرنا .

- (١٩) اشغفل بالتدريس في بہو بال ، و کلکستا ، و رامبور حيث أصبح المدرس الأول للدرسة العالية ، وأنه من تلامذة مدرسة خير آباد في العلوم العقلية عن طريق سيد هدايت على البريلوي و عبد الحق الخيرآبادي ، وليس كما قال مالك رام من تلامذة فضل حق الخيرآبادي (١٢١٢ - ١٢٧٨ / ١٧٩٢ - ١٨٦١ م ) (نذر عرشى ، الصفحة ٢٣) لأن سنة وفاة الخيرآبادي يطابق سنة ولادة الرامبورى (ترجمتها في نزهة الخواطر بالترتيب ٧ / ٣٨٣ - ٣٨٦ ، ٨ - ٣٦٢ - ٣٦١ ) .
- (٢٠) ذكر العرشى و مالك رام شهادة « منشى فاضل » أيضاً ضمن حوادث ١٩٩٤ م (المقابلة ٢٠ نذر عرشى ٢٣) وهو خطأ لاسباب المذكور في الحاشية رقم ٢٨ فوق .
- (٢١) تذكرة كاملاً رامبور ، الصفحة ٨٩ .
- (٢٢) السفير في اصطلاح المدراس العربية الإسلامية الهندية هو « الحصل » الذي يتصل بأهل الخير من المسلمين بجمع التبرعات التي هي المصدر المالي الوحيد للدارس المذكورة منذ نهاية الحكم الإسلامي في الهند ، فإنها لم ترض بقبول المساعدات الحكومية أيام الاحتلال الإنجليزي لمعارضتها و مقاومتها له على طول الخط ، كما أنها تخشى منذ استقلال البلاد من تدخل الحكومة الوطنية العلمانية في أمورها بمحنة المساعدات المالية ، فتفضل تغطية نفقاتها عن طريق التبرعات الشعبية من المسلمين .
- (٢٣) أطلعنا على نسخة من رسالة الدكتور عبد العلى قائم بأعمال ناظم ندوة العلماء بتاريخ ١٤ مارس سنة ١٩٣١ م برقم ١٤٢٨ ، أخبره فيها عن أسفه البالغ على تقديم الاستقالة ، و قبولها على طلبه .
- (٢٤) أحد العلماء المبرزين في الهند في العلوم العقلية ، و صاحب المؤلفات الشهيرة فيها ، وقد تداولت مؤلفاته في المدارس الهندية الإسلامية إلى وقت قريب مثل سلم العلوم في المنطق و مسلم الثبوت في الفقه ، و الجواهر الفرد في بحث الجزء

- الذى لا يتجزأ . (ترجمته في نزهة الخواطر ٦ / ٤٦٩ - ٢٥٠ / ٢٥٢ ) .
- (٢٥) الأستاذ سعيد أحمد الأكابر آبادى ، الكلمة الافتتاحية بعنوان نظرات في مجلة «برهان» ، دهلي ، ٨٦ / ٣ / مارس ١٩٨١ م ، الصفحة ٣ ، و ١ . س . فرمى انصارى ، الوفيات في مجلة «همدرد اسلاميكس» الفصلية ، كراتشى ، ٤ / ٢ / صيف سنة ١٩٨١ م ، الصفحة ١٠٣ .
- (٢٦) وجدت في تراجم القرن الثاني عشر الهجرى ذكر الشيخ أحمد بن أبي أحمد الأفغاني الرامبورى أحد الأفضل المشهورين في عصره ، قرأ العلم على محمد بركة الله السه آبادى ، وعلى غيره من العلماء ، ثم تصدر للتدريس برامبور ، وانتهت إليه الرئاسة العلمية بها ، مات ودفن برامبور . (نزهة الخواطر ٦ / ٢٥ - ٢٦ ) ، ولا أعرف هل هو نفس الرجل الذي تتحدث عنه .
- (٢٧) زوجها ذكي الله خان ، المهندس في قسم الخدمات العامة العامة (P.W.D.) لولاية اتراباديش ، المقيم حالياً في على كره .
- (٢٨) مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق ، (٣/٤١) ربىم الأول سنة ١٣٨٦ / ٥ / يوليو سنة ١٩٦٦ م ، الصفحة ٥٢٠ .

(٢٩) تعریف من النص الإنگلینزی  
Bulletin of the School of Oriental  
and African Studies, London, 30/3/1967 : 760 pp.

(٣٠) اعتمدنا في أسماء مؤلفاته أولاً على افتراض المطبع لمؤلفاته بعنوان «نگارشات عرشی» ، لأكابر علي خان (عرشی زاده) في كتاب نذر عرشی (الصفحات ٣٧ - ٦٠) ، ثم على ورقة المعلومات الشخصية عنه في الإنگلینزیة ، وفهرس مؤلفاته العربية المكتوبة بخط عرشی زاده في ورقة ، وقد أضفنا إليه تعليقاتنا ، وما عثنا عليها من عناوين الكتب والمقالات التي لم تذكر في المصادر المذكورة .

(٣٢) نزهة الخواطر ٣ / ٩ .

(٣٣) ترجمته في نزهة الخواطر ٨ / ٤٠٤ .

(٣٤) هو أحمد بن خير الدين ، العالم الفاضل والأديب النابغ صاحب النشاط الصحافي والسياسي الكبير في المحيط السياسي الهندي قبل الاستقلال ، وقد تولى وزارة المعارف الهندية المركزية منذ الاستقلال إلى وفاته يوم ٢ فبراير سنة ١٩٥٨ م ، وله مؤلفات علمية أدبية في الأردية ، منها ترجمة القرآن في التفسير الذي نشر في جزئين في أربعة أجزاء من ساهتيه أكيدمي ، دلهي الجديدة بالهند سنة ٦٤ - ١٩٧٠ وقد قام بتعريف بعض أجزاءه الشیخ أبو نصر البھوپالی . (ترجمته في نزهة الخواطر ٨ / ١٧ - ١٥ - ٤١) .

(٣٥) من المثقفين ثقافة عالية في الأردية والعربية أبرز في ميدان العلم والأدب والصحافة في الهند ، ولزم الشیخ أبا الكلام آزاد في نشاطاته العلمية والأدبية والسياسية والصحفية ، ثم رأس إدارة تحرير مجلة ثقافة الهند الفصلية إلى وفاته .

(٣٦) استناد نهج البلاغة ، الصفحة ٨٣ .

(٣٧) وبالإضافة إلى المؤلفات العربية المذكورة ، أخبرني أكبر على خان عرضي زاده أنه وجد من ترتيب أبيه فهرس تراجم النور السافر في أعيان القرن العاشر لمحى الدين عبد القادر العيدروسي (٩٧٨ - ١٥٧٠ / ١٠٣٨ - ١٦٢٨ م) على ترتيب حروف الهجاء في سنت صفحات مكتوبة على الآلة الكاتبة مؤرخة ١٥ نونبر سنة ١٩٣٧ م كما جاء في آخره .

## الأستاذ آصف على أصغر فيضي

١٩٨١ - ١٨٩٩ م

توفي في ٢٤ ذى الحجة ١٤٠١ هـ المطابق ٢٣ أكتوبر ١٩٨١ م الأستاذ آصف على أصغر فيضي عضوٌ بجمع اللغة العربية بدمشق وعضوٌ بالمجمع العلمي العربي الهندي بجامعة عليسکرہ الإسلامية ، الهند ، بعد عمر طویل قضاه في حقل العلم و الثقافة و السياسة وقد كان موافقاً في جميع هذه الحقوق -  
رحمه الله رحمة واسعة .

ولد آصف على في أبريل ١٨٩٩ م في منطقة « میتھران » بمقاطعة « مهاراشترا » وقد درس في جامعة بمبائی ، ثم سافر إلى انجلترا لإكمال دراسته فالتحق بجامعة كیمیریدج واستفاد بأعلام الفکر ، وخاصة المستشرقين الذين عرفوا بدقة البحث والتحقيق في اللغة العربية و الفارسية ، و العلوم الإسلامية أمثال الأستاذ یون ، والأستاذ نکلسن مؤلف تأريخ الأدب العربي ، والأستاذ براؤن رئيس قسم اللغة العربية و الفارسية بجامعة كیمیریدج . قد درس آصف على فيضي في جامعة كیمیریدج اللغة العربية و العلوم الإسلامية ، ثم التحق بقسم الحقوق فحصل على شهادة ليسانس في الحقوق ، حين رجع إلى الهند لم يشتغل بالمحاماة كما كان يشتغل أبناء الأعيان فيها آنذاك ، بل مال إلى التعليم و التدريس وقد عين أستاداً في الكلية الحكومية في مدينة

بمباني فبني يعلم ويدرس كأستاذ ناجح متقول، ثم ترقى إلى أن عين عميداً لهذه الكلية الشهيرة، ثم عين فيما بعد عضواً بلجنة الاختبار للوظيفين في مقاطعة بمباني، وبعد ذلك عين عضواً بلجنة الاختيار للوظيفين بالحكومة المركزية، وقد أدى الأستاذ فيضي هذه الخدمة بلباقه ومهارته.

وقد عينه الحكومة الهندية سفيراً لدى الدول العربية المختلفة: مصر، سوريا، الأردن و لبنان، فقد كان سفيراً حفاً وقام بخدمات جليلة وخاصة في توطيد العلاقات الثقافية والعلمية والسياسية بين الهند وبين البلاد العربية فقد كان - رحمه الله - يتقن اللغة العربية، وكان مطلعًا على الثقافة الإسلامية فانتهز مدة البقاء في البلاد العربية، فقد كان يقابل علماء اللغة والبيان كما كان يقابل أعلام الفكر والسياسة، ويزور الجامعات ومعاهد العلوم، ويستفيد من المكتبات وخاصة قسم المخطوطات، ويساهم في الندوات العلمية والمؤتمرات الثقافية.

قد قضى الأستاذ حياته مع مسئoliاته في الدوائر المختلفة، دارساً وباحثًا، كاتباً ومحفظًا، فظهر نبوغه وتقديره حتى في هذا الميدان فألف وحقق كتاباً عديدة وقد بلغ عددها حوالي (١٥) كتاباً فالت إعجاب العلماء والباحثين في البلاد المختلفة، قد كان يتكلم اللغة العربية والفارسية والإنجليزية كما كان يتكلم اللغة المراهية والسكراتية، وكان يعرف اللغة الفرنسية والألمانية ويستفيد بها في الكتابة والبحث.

كان الأستاذ فيضي شغوفاً بالعلوم الإسلامية وخاصة الفقه الإسلامي، (قانون الأحوال الشخصية). أثناء قيامه في مصر حقق كتاب «داعم الإسلام» للقاضي النعيم بن محمد التميمي المغربي (المتوفى ٣٦٥ هـ) فأبدى فيه دقة البحث وحسن الترتيب والمهارة في قراءة المتون العربية القديمة

و تصحیح المخطوطات و المقارنة بينها ، في سنة ١٩٥٦ م انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية بدمشق الذي يعد من أقدم المجامع و أعظمها في البلاد العربية ، وأن عضوية هذا المجمع شرف عظيم لكل عالم و باحث ، وقد منح هذا الشرف لعدد من علماء الهند ، منهم الطيب الحاذق و السياحي الكبير أجمل خان رحمه الله ، و الباحثة الكبير العلامة عبد العزيز الميمني ، و أخيرا انتخب الكاتب الشهير العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوى - متعمد الله المسلمين بطول بقائه - عضوا في هذا المجمع .

قد قابلته مرارا وكانت صلاته قوية ، فقد كان رحمه الله يحبني جدا جدا و يقدر أعمالى العلمية تقديرا مشجعا حتى انه كان إذا قرأ مقالة أو بحثا لي في مجلة أو جريدة يكتب إلى رسالة يدي فيها إعجابه و يكتب كلمات تنم عملا كان في نفسه من حب و إعجاب بشخصيتي المتواضعة .

أذكر حينما كنت أستاذًا في معهد الدراسات الإسلامية بجامعة على كره الإسلامية ، وكنت تلك الأيام أشرف على إصدار مجلة علمية باسم : «مجلة علوم إسلامية» . وقد كان رحمه الله يقرأ أعدادها بالتزام وانتظام ، و يقدر أبحاثها و مقالاتها و يكتب إلى دائما عن أبحاث هذه المجلة وجهد المدير المسؤول .

في سنة ١٩٧٦ م خطر يالي أن أوسس بمعا علميا عربيا في الهند باسم «المجمع العلمي العربي الهندي» ، فقد اتھمنا فرصة وجود سيادة الأستاذ الكبير الدكتور حسني سبع ، رئيس المجمع اللغة العربية بدمشق ، في جامعة على كره حيث تكرم حضرة الرئيس بافتتاح هذا المجمع العلمي المزبور . فقد كتبت توا إلى الأستاذ فيضي عن تأسيس هذا المجمع كما أخبرته أن المجمع قد انتخبه عضوا عاملا فقد تفضل رحمه الله بقبول هذه العضوية

لجمعنا ، ورحب بها ، و حينما صدر اول عدد مجلة المجتمع العلمي العربي الهندي أرسلنا إلينه هذا العدد فقد أعجب بأبحاثها و مقالاتها و أبدى سروره و غبطته باصدار مثل هذه المجلة العلمية الأدبية باللغة العربية في القارة الهندية .

قد كتب إلى رحمة الله في إحدى رسائله أنه قد حصل على نسخة مخطوطة علمية نادرة مؤلف عاش في العصر الفاطمي و ان هذه المخطوطة لها قيمة علمية و أنه سيقوم بتحقيقها و يرسلها إلى لنشرها في مجلة المجتمع العلمي الهندي . ولكنه يبدو أن أشغاله و سوء صحته لم تسمح له أن ينجز بوعده حتى عاجله المنيه .

مع أن الأستاذ الفقيد كان ينتمي إلى الطبقة المتجددة في القضايا الدينية و الاجتماعية و بعض الأحيان يبدى آراء و أفكارا تختلف مبدئي و مسلكى في القضايا الدينية و الاجتماعية و العلمية و كنت أناقشه في هذه القضايا ، و أخالقه بعض الأحيان و أبدى رأى فيها بكل صراحة ولكن في حدود الأدب و الاحترام ، مع ذلك كانت صداقه و مودته استمرت لي ، وهذا يدل على سعة أفقه و رحابة صدره ، شأن كل عالم و محقق .

على كل حال كان رحمة الله تعالى دائما على الحركة و النشاط مستمرا طول حياته في البحث و التحقيق و الكتابة بالمقالات العلمية و السياسية في المجالات و الجرائد ، كما كان يلقي المحاضرات في الندوات العلمية و الدينية و خاصة في الفقه الإسلامي ( الأحوال الشخصية ) .

نقدم بالابتهاج فهرس مؤلفاته التي طبعت في اللغة العربية و الإنكليزية في البلاد المختلفة :

١ - قانون الوصايا عند الإسماعيلية . أركسفورد ، ١٩٣٢ .

كتاب

- ٢ - كتاب الجهاد والمقدمات ، مستخرج من دعائم الإسلام للقاضي النعما بن محمد التميمي المغربي دار المعارف مصر ، ١٩٥١ م .
- ٣ - دعائم الإسلام في الحلال والحرام والقضايا والاحكام للقاضي النعما التميمي المغربي (في مجلدين) دار المعارف مصر ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- ٤ - الدراسات الإسلامية في الهند ، مكتب الاستعلامات والنشر ، السفارة الهندية القاهرة ، ١٩٥٥ م .

- (5) An Introduction to the study of Mohammadan Law Oxford, 1931.
- (6) Isma‘ily Law of Wills, Oxford, 1933.
- (7) Hidayatu’l Amīriya (an epistle of the 10th- Fatimid Caliph), London, 1938.
- (8) Shīte Greed, by Shaykh Saduq (Eng. Transl), Oxford, 1942.
- (9) Islamic Culture, Bombay, 1944.
- (10) Outlines of Mohammadan Law, Oxford, 1955.
- (11) A modern approach to Islam, Bombay, 1963.

و نقدم كذلك بعض أبحاثه العلمية و مقالاته العلمية التي نشرت في  
المجلات والجرائد وغيرها في اللغات الإنكليزية :

- Qādi an-Nu‘mān, The Fatimid jurist and author *JRAS*, London, Jan. 1934.
- An ancient copy of *Da‘ā’im al-Islām JBBRAS* May, 1936.
- R.A. Nicolson, *JBBRAS* 1946.
- A descriptive list of the Arabic, Persian and Urdu MSS.

in the Bombay Branch, Royal Asiatic Society *JBBRAS* 1928.

- Recent development in Islam, *Islamic Culture* 1927.
- A Chronological list of the Imams and Dā‘is of the Musta‘lims Isma‘ilis *JBBRAS* 1934.
- Materials for Ismāili bibliography *JBBRAS* 1935, 1940.
- Additional notes for Ismaili bibliography *JBBRAS* 1936.
- Three Sulaymanis Dā‘is *JBBRAS* 1948.
- The Creed of Ibn Babawayh *Journal Univ. of Bombay* 1943.
- A brief note on the influence of the English Law on the Mohammadan Law in India during the 19th century, *Vyavahara Nirnaya* Vol. II, 1953.
- Islamic Law and Theology in India : proposal for a fresh approach *Middle East Journal* 1954.
- Law and Culture in Islam *Ic* 17, 1943.
- Law and religion in Islam *JBBRAS* 28, 1953.
- Shah Mohammad Sulaiman (1880–1941) *Ic* 21, 1947.
- Islamic Law and its founder *Ic* 9, 1935.
- Notes on Mut‘a <sup>نكاح</sup> or temporary marriage in Islam *JBBRAS* 8, 1932.
- Bequests to heirs in Islamic Shia Law *JBBRAS* 5, 1929.
- Islamic Culture *JKR Cama Oriental Institute* (37) 1944.
- La Culture in Islamique Conferences sur l'Islam 1956.
- Islamic studies in India Mel. L. Massignon II, 1957.
- The date of the transcription of the Kershāspnāma *JBBRAS* (4) 1928.
- The essence of Islam : an Indian modernist view *The Islamic Near East* 1960.

- 
- The reinterpretation of Islam *Maulana Abul Kalam Azad Memorial Volume* ed. by Humayun Kabir New York, 1959.
  - The Fatawa Alamgiri on ariya *Bombay Law Journal* (10) 1932-33.
  - A note On the Fatimid Jurist Nu'man and his book : “*The Pillars of Islam*” Congress Oriental 1951 II (1957).
  - Bequests to heirs: Shia Islamic Law *Bombay Law Reporter* (31) (1920).
  - Doctrines Juris'deques Shi'ites *Fyzee, Conferences sur l'Islam* 1956.
  - Droit et religion en Islam *Fyzee, Conferences sur l'Islam* 1956.
  - Droit et theologies Islamiques dans l'India *Fyzee, Conferences sur l'Islam* 1956.
  - Studies in Isma'ili Law:
    - (i) Bequests to heir *Bombay Law Reporter Journal* (31) 1929.
    - (ii) Muta': a temporary marriages *Bombay Law Reporter Journal* (33) 1931.
    - (iii) The Ismaili Law of Wills *Bombay Law Reporter Journal* (34) 1932.
    - (iv) Marriage of minors *Bombay Law Reporter Journal* (38) 1936.
  - The Muslim wife's right of dissalving her marriage *Bombay Law Reporter Journal* (38) 1936.
  - The Fatimid law of inheritance *SI* (9) (1958).
  - The Study of Modern Arabic *Aryan path* (23) 1952.
  - Muslim Law in India Com. Stud. Society (5) 1963.

- Ibn Khaldun and his theory of literary composition  
*Jammu and Kashmir University Review* (3) 1960.
- Aspects of Fatimid law *SI* (31) 1970.  
The study of the literature of the Fatimid Da'wa *Ar. and Isl. studies in honour of H.A.R. Gibb* 1965.
- Middle Eastern Studies : a proposal *Studies in Islam* (8) 1971.
- W. Ivanov (1886–1970) *Indo-franica* (23) 1970.
- W. Ladimar Ivanov *JASB* (45–46) 1970–71.
- A Collection of Fatimid MSS. *Essays in honour of D.N. Marshall* 1973.
- The religion of the Ismailies *India and Contemporary Islam* ed. by S.T. Lokhandwalla 1971.
- Mohammadan law in India: *India and the Arab World* ed. by S.M. Ahmad 1970.

وكان الأستاذ الفقيه يمثل الفكر العربي في العصر الحديث ، و كان ملتقى البحرين يتقن الثقافة العربية كما كان يتقن الثقافة الغربية ، يتجلّى ذلك كلّه في جميع أبحاثه و مقالاته و مؤلفاته .

رحمة الله رحمة واسعة ، وأمطر على قبره شأبيب رحمته .

الدكتور مختار الدين أحمد

القسم العربي

جامعة على كره الإسلامية

الهند

## أحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الديمة

أبو جعفر أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الكاتب المعروف بابن الديمة المصري، من وجوه الكتاب الفصحاء و من أشهر مصنفي الدولة الطولونية بمصر ولكن الأسف أن ترجمة حياته لا توجد في كتاب سوى "معجم الأدباء" لياقوت الحموي، وهو بدوره لم يترجم له ترجمة مفصلة و اختلف في أن المعروف به "ابن الديمة" هو أحمد بن يوسف أو أبوه أبو الحسن يوسف بن إبراهيم، ويرى ياقوت الحموي أن ابن الديمة هو يوسف بن إبراهيم<sup>١</sup>، وبما أن أم يوسف كانت قد أرضعت إبراهيم بن المهدى (المولود سنة ١٦٢ھ) أخا هارون الرشيد (المتوفى ١٩٣ھ) قد اشتهر يوسف بابن الديمة و لكن يظل رأى ياقوت هذا ما ورد في "كتاب المكافأة" لأحمد بن يوسف الكاتب، فإنه قد ذكر<sup>٢</sup> أن يوسف كان أخا من الرضاعة للعاصم بن هارون الرشيد وكان يعرف برضيع العاصم .

ولد أبو الحسن يوسف بن إبراهيم في سنة ١٨٠ھ، وفيها ولد العاصم، إنه ثري و تعلم مع أبناء هارون الرشيد الآخرين . تعلم الحساب والطب والأخبار والرواية والإنشاء والشعر، وكذلك تلقى علوماً مختلفة لدى الطيب الملكي هارون الرشيد جبرائيل بن بختيشوع و عيسى بن حكم الدمشق الطيب النسطوري وإسماعيل بن أبي سهل بن نوخت، وأيوب بن الحكم البصري المعروف بالكسرى ، وأحمد بن دشيد الكاتب مولى سلام بن

الأبرش واحمد بن هارون الشرابي ، انه قد صحب إبراهيم بن المهدى واستفاد منه كثيراً . وبعد ذلك قد تعين مراقباً لأملاك إبراهيم وأميناً له . وقد ألف من الكتب "أخبار أبي نواس و المختار من شعره" و "أخبار الأطباء" و "كتاب الطبيخ" . وكتاباً عن حياة إبراهيم باسم "كتاب إبراهيم بن المهدى في أنواع الأخبار" . وفي زمن اختفاء إبراهيم فر إلى مصر أو الشام و مكث هناك من سنة ٣٠٣ هـ إلى سنة ٣٢١ هـ ، وبعد أن عفا الخليفة العباسى المأمون عن إبراهيم وعاد هو إلى بغداد عاد يوسف أيضاً إليها و اتصل بابراهيم بن المهدى وبقى هناك إلى أن توفي إبراهيم في سنة ٣٢٤ هـ ، وفي سنة ٣٢٥ هـ ، أى بعد وفاة إبراهيم بن المهدى بعام واحد ، غادر بغداد إلى دمشق لمدة أيام ، ثم رجع إلى بغداد وأقام بها إلى أن توفي المعتصم في سنة ٣٢٧ هـ على الأقل<sup>٦</sup> . وبعد وفاة رضيعه المعتصم وصل إلى القاهرة حيث توفي في عهد أحمد بن طولون (أى بين سنة ٣٥٤ هـ و سنة ٣٧٠ هـ) ، وعلى هذا فيكون عام وفاته حوالي ٣٦٠ هـ .

وبعد انتصار الدولة الطولونية (في سنة ٣٩٢ هـ) حينها ولـى مصر محمد بن سليمان من قبل الخليفة العباسى المكتفى بالله عوتب جميع المسلمين إلى الدولة السابقة وقتل معظمهم بعد عقوبات قاسية . وفي هذه الظروف الصعبة كان أحمد بن يوسف قلقاً مشوشًا إلى أن طلبـه محمد بن سليمان الذى كان بنفسه عالماً أديباً ملماً بأثارـه أحمد بن يوسف العلمية ، وحينما سمع شعره أعجب به وأكرمه وعظمـه<sup>٧</sup> . وقد أقامـهـ أحمد بعد انتصارـهـ الدولة الطولونية أى في زمن دولةـ الاخـشـيدـيـنـ في مصر . ومن سنة ٣٩٢ هـ إلى سنة ٤٣٠ هـ أى من انتصارـهـ عـهـدـ الطـولـونـيـنـ إلى وفاتهـ لا نعلمـ شيئاًـ عنـ حـيـاتـهـ وـ ماـ جـرـىـ فيـهاـ . وـ يـدـوـأـنهـ قدـ سـافـرـ مـرـةـ إـلـىـ عـلـىـ بنـ عـيـسىـ بنـ دـاؤـدـ بنـ الجـراحـ الوزـيرـ

بغداد (٥٧)

بغداد، كما ذكرنا، وهناك قد ألف "مختصر المنطق" واهداه إلى ابن الجراح، ولعله قد عاد بعد ذلك إلى مصر وقضى فيها الأيام الأخيرة من حياته . وتوفي ، كما يرى ياقوت ، في سنة ٣٤٠ هـ ١١٥٠ . أما ابن تغري بردي وغيره من المصنفين فلم يقولوا شيئاً عن عام وفاته .

والمعلومات التي بين أيدينا عن حياة أحمد بن يوسف قليلة جداً، لعله ولد هو بمصر ، كما يرى الدكتور عبد الرحمن بدوى أنه ولد بين سنتي ٢٥٥ هـ ١٢٦٠ ، ولكن الأستاذ محمود محمد شاكر يرى أنه ولد حوالي سنة ٢٤٠ هـ ١١٥٠ ، وعلى ذلك فاحمد بن يوسف عمر مائة سنة تزيد أو تقل قليلاً . وأنه تلقى تربته و تعليمه تحت إشراف أبيه يوسف بن إبراهيم - والمظنون أنه تعلم المنطق والحساب والهندسة والتلجمون والشعر والأدب والأخبار والرواية على شيوخ مصر الأفضل . فإنه يروى في مؤلفاته التي وصلت إلينا عن المصريين . وأما ما كتبه عن بغداد فكتبه نقالاً عن أبيه الذي قضى حياته في بغداد مع أهلهما . ونرى ياقوت الحموي يشى عليه في الإنشاء والفصاحة والبلاغة والحساب والتلجمون والشعر وحسن المجالسة والكلام<sup>١</sup> . والذى نجده من شعره قليل جداً، أنه قد ضمن كتابه «المكافأة» بعض شعره<sup>٢</sup> . وأورد بعض رسائله أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (م ٢٣٥) في «كتاب الأوراق» وابو الفضل أحمد بن أبي طاهر الملقب بابن طيفور البغدادي (المتوفى ٢٨٠) في كتاب تاريخ بغداد . ويبدو أنه لم يقبل منصب السكتابة والإشاء في عهد أحد بن طولون بل آثر أن يقضي حياته حرراً مع أملاكه وأمواله ، ولكنه لم ينقطع عن التصنيف والمطالعة . كان كاتباً مجيداً ممتازاً ، وكما ذكرنا لم يكن خلوا من الشعر ، ولكنه قد ركز اهتمامه حول الطب والتلجمون والحساب والتاريخ ، ويظهر تفوّقه في علم

النجوم من الشرح الذي ألفه على كتاب بطليموس "الثرة" و بذلك نرى ابن القبطى يذكره كنجم لا غير<sup>١٠</sup> . و كذلك يظهر أنه كان ملما بالعلوم اليونانية ، و لعله اطلع عليها بالترجم العريية .

و قد اطلعنا إلى الآن من مؤلفاته على ما يأتي :

### ١ - سيرة أحمد بن طولون .

و قد استوعب ابن سعيد الأندلسى (المتوفى ٦٨٥ هـ) أكثر هذا الكتاب في تصنيفه «المغرب»، (الجزء الخاص بمصر الذي طبعه الدكتور شوقى ضيف وغيره من العلماء بالقاهرة سنة ١٩٥٣ م) . و كذلك قد طبع سى . فولز (C. Voles) مقطوعات من هذا الكتاب نقلًا عن «كتاب المغرب» في برلين سنة ١٨٩٤ م . و كان هذا الكتاب من مصادر كتاب "النجوم الزاهرة" لابن تغري بردى ، وكذلك من مصادر كتاب "سيرة أحمد بن طولون" لأبي محمد عبد الله بن محمد بن عمير بن محفوظ (المتوفى بعد سنة ٥٣٠ هـ) و البلوى أيضا قد استفاد منه . و قد عارض هذا الكتاب عبد الله ابن محمد المدنى بكتاب سماه "سيرة آل طولون"؛ توجد نسخة خطية لهذا الكتاب في المكتبة الظاهرية بدمشق<sup>١١</sup> . و نشره الاستاذ محمد كرد على بدمشق سنة ١٤٥٨ هـ

١ - سيرة أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون<sup>١٢</sup> :

يجد نقولا منه في "كتاب المغرب" لابن سعيد الأندلسى ،

٢ - كتاب سيرة هارون بن أبي الجيش<sup>١٣</sup> .

٤ - أخبار غلوان بن طولون .

٥ - أخبار الأطباء (أو المتطيبين) .

ذكره المؤرخ الشهير صلاح الدين الصفدى استطرادا<sup>١٤</sup> .

٦ - مختصر المنطق :

وقد ألفه لعلى بن عيسى بن داود بن الجراح (المتوفى سنة ٥٣٤) صاحب "كتاب الورقة" ووزير المقader ونسبه إليه . وقد صنف ابن الدايه في الهيئة و النجوم و الرياضي و الطب الكتب الآتية :

٧ - شرح كتاب الثرة لبطليموس . وهذا مؤلف مهم له في النجوم . ذكره ياقوت الحموي و ابن النديم و صاعد الاندلسي و القسطي . و قال الاستاذ بدوى : و شرح أحد بن يوسف لهذا الكتاب يدل على سعة اطلاعه على علم النجوم . والاطلاع على المكتبات التي توجد فيها النسخ الخطية لهذا الكتاب يراجع تاريخ الأدب العربي لبروكلمان<sup>١</sup> و مقدمة "الأصول اليونانية" للدكتور عبد الرحمن بدوى<sup>٢</sup> و هذب نصير الدين الطوسي (المتوفى ٦٧٢) شرح كتاب الثرة المذكور .

٨ - النسبة و التنااسب .

ورد ذكره في "طبقات الأمم"<sup>٣</sup> و "أخبار الحكاء" و توجد منه نسختان في الجزائر و القاهرة<sup>٤</sup> .

٩ - رسالة في الأقواس المتشابهة .

وفي تاريخ الأدب العربي لبروكلمان الترجمة العربية (٨١: ٣) "رسالة في الأقواس المتماثلة" (Dearcubies Semilibus) وفي تاريخ آداب اللغة العربية للأستاذ فؤاد سينكين "القسي المتشابهة" ونسخة خطية لهذه الرسالة محفوظة في مكتبة بودليانا (آكسفورد) .

١٠ - رسالة في خطوط العروض .

توجد نسخة خطية في مكتبة بودلانا (اكسفورد) باسم : "الصحيفة

من جميع أبعادها" .

١١ - كتاب أخبار المنجمين .

ذكره الصدفي في الواقي استطرادا<sup>٢٦</sup> ، ويرى الأستاذ محمود محمد شاكر أن هذا الكتاب من تأليف أبيه يوسف بن إبراهيم ، ورواه أحمد بن يوسف عنه وزاد عليه<sup>٢٧</sup> .

١٢ - أخبار الأطباء (أو أخبار المتطيبين) .

ذكره الصدفي<sup>٢٨</sup> استطرادا .

ومن الممكن أنه صنف كتاباً أخرى غيرها في هذه الفنون ولم تصل إلينا . وتبعد أهمية هذه المؤلفات من أن بعضها قد ترجمت إلى اللاتينية ، وهذه الترجمة محفوظة في مكتبات أوربا بصورة المخطوطات .

ومن كتب أحمد بن يوسف التي طبعت ما يأتي :

١٣ - كتاب المكافأة .

وهي مجموعة تشتمل على ٧٣ قصة مقسمة على ثلاثة أقسام وقد نقل من هذا الكتاب ابن أبي أصياغة<sup>٢٩</sup> ويقوت الحموي بعض الفصول . وقد طبعه أول مرة في القاهرة الأستاذ أمين عبد العزيز آفندى في سنة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م . والطبعة الثانية العلمية الحقيقة طبعها الأستاذ محمود محمد شاكر في سنة ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م . ولم يذكر في هذه الطبعة شيء عن المكان الذي توجد فيه النسخة الأصلية للكتاب ولا عن العصر الذي كتبت فيه . وقد بلغنى أن الطبعة الثالثة للكتاب صدرت من وزارة المعارف بالقاهرة ولكن لم أطلع عليها

عليها بعد .

١٤ - كتاب حسن العقى :

قد اطلع عليه ابن أبي أصيحة فإنه نقل منه بعض أجزائه في كتابه<sup>٣٠</sup> ، وقد طبعت هذه الرسالة الوجيزة في آخر «كتاب المكافأة» طبعة الأستاذ محمود محمد شاكر ، ولكنها ناقصة من البداية فالسطور الأولية (أو الصفحات ؟) لا توجد فيها ، والعبارة تبدأ من الوسط ،

وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٩٤٠ م .

١٥ - العهود اليونانية :

العجب أن أحداً من المصنفين القدامى لم يذكر هذا الكتاب ، وقد اطلع على نسخة وحيدة فريدة منه ، وهي توجد في المكتبة المليلية بباريس<sup>٣١</sup> ، وقد طبعه أول مرة الأستاذ جليل بك العزيز في بيروت تحت عنوان كتاب السياسة لـ«فلاطون» ، استخراج أحمد بن يوسف ، وأول طبعة تحقيقية للكتاب طبعها الدكتور عبد الرحمن بدوى بالقاهرة سنة ١٩٥٤ م .

وقد ذكر ياقوت الحموي<sup>٣٢</sup> و تبعه الدكتور بدوى<sup>٣٣</sup> ضمن مؤلفات أحمد بن يوسف «أخبار الأطباء» و «كتاب الطبيخ» و «كتاب أخبار إبراهيم بن المهدى» ، مع أنه من المؤكد تقريباً أن هذه المؤلفات لـ«إيساف بن إبراهيم» ، نعم هناك إمكان ضعيف لأن صنف يوسف «أخبار المطبعين» ، أو «أخبار الأطباء» و تناول نفس الموضوع بالكتابة ابنه أيضاً أو زاد في كتاب أخيه أشياء - أما بالنسبة لكتاب الطبيخ و «أخبار إبراهيم بن المهدى» ، فقد صرخ أحد بن يوسف بنفسه أنها من مؤلفات أخيه<sup>٣٤</sup> . وبذلك يصير من المحقق أن

ياقوت قد سها في ذلك ، وما ذهب إليه الأستاذ محمود محمد شاكر محقق «كتاب المكافأة» من أن كتاب 'أخبار المنجمين' ، أيضاً من مؤلفات يوسف بن إبراهيم و نسبته لابنه أحمد غير صحيحة<sup>٢٩</sup> ، فليس بصحيح ، لأن ابن القسطى قد ذكر أحمد بن يوسف في كتابه 'أخبار الحكام' ، كمنجم لا غير<sup>٣٠</sup> .

و قد ذكرنا فيما قبل أن أشعار أحمد بن يوسف قليلة جداً في المصادر القديمة ، ويمكن أنه لم يكثر من قول الشعر ، ولكنه من المؤكد أنه لم يكن حلوا من الشعر ، فقد ذكر هو بنفسه أنه أرسل إلى صديقه الشاعر أبي الفياض سوار بن أبي شراعة حوالي خمسين ورقة من شعره على طلب منه<sup>٣١</sup> . ولكن الأسف أتنا لا نجد الآن بعد الطلب والتفحص سوى خمسة أو ستة من شعره ، و ثبتها فيما يأتى .

قال أحمد بن يوسف في المخفرین<sup>٣٢</sup> :

جزى الله خيراً معاشرًا حقنوا دمى	و قد شرعت نحوى المثقفة السمر
درارهمم بمنولة لضعيفهم	و أعراضهم من دونها الغفر والستر
إذا ما أغروا واستباحوا غنيمة	أغار عليهم في رجالهم الشكر
و إن نزلوا قطرًا من الأرض شاسعاً	فما ضره إلا يكون بها قطر

وقال علي بن المظفر السكري حينما سأله عن حاله<sup>٣٣</sup> :

يكفيك من سوء حالك أن سألت به آني إلى ثوب طمر في الكوانين

و قد ذكر الأستاذ محمد كرد على في كتابه 'كنوز الأجداد' ، يبنا آخر من «كتاب المكافأة» ، سوى آياته المذكورة ، وهو هذا<sup>٣٤</sup> :

ظللتنا بها نستنزل الدن صفوه فينزل أقباساً بغـير طيب

المصادر :

- (بالإضافة إلى مقدمة كتاب المكافأة للأستاذ محمود محمد شاكر و مقدمة العهود اليونانية للدكتور عبد الرحمن بدوى) قد استفدنا من المراجع الآتية :
- ١ - أحمد بن يوسف الكاتب : كتاب المكافأة ، تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ، القاهرة ، ١٩٤٠ م .
  - ٢ - أحمد بن يوسف الكاتب : العهود اليونانية ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .
  - ٣ - ابن النديم : كتاب الفهرست ، طبعة الرحابنة القاهرة ١٣١٨ م .
  - ٤ - ابن أبي أصيحة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، طبعة ملر ، القاهرة ، ١٨٨٢ - ١٨٨٤ م .
  - ٥ - ابن القسطى : أخبار العلماء بأخبار الحكام ، ليبسك ، ١٩٢٢ م - ١٩٠٣ م .
  - ٦ - ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، نشر أحمد فريد الرفاعي ، القاهرة ، ١٩٣٨ - ١٩٣٦ م .
  - ٧ - أبو هفان : معجم الأدباء ، نشر الأستاذ مارغوليث ، القاهرة ، ١٩٢٥ - ١٩٠٧ م .
  - ٨ - صلاح الدين الصفدى : الوافي بالوفيات ، استانبول ، ١٩٣١ م .
  - ٩ - المسعودي : مروج الذهب ، باريس ، ١٨٦١ - ١٨٧٧ م .

- ١٠ - حاجى خليفة : كشف الظنون ، المطبعة البهية ، استانبول ، ١٩٤٣ - ١٩٤١ م .
- ١١ - عمر رضا حالة : معجم المؤلفين ، المطبعة الترقى ، دمشق ، ١٩٥٧ - ١٩٦١ م .
- ١٢ - يوسف العش : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (التاريخ وملحقاته) ، دمشق ، ١٩٤٧ م .
- ١٣ - صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ، نشرة الاب لويس شيخو ، بيروت ، ١٩١٢ م .
- ١٤ - كرد على : كنوز الأجداد دمشق ، ١٩٥٠ م .
- ١٥ - بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (باللغة الألمانية) ، ليدن ، ١٩٣٦ - ١٩٤٩ م .
- ١٦ - د . : تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية لعبد الحليم النجار) ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .
- ١٧ - فؤاد سينكين : تاريخ آداب اللغة العربية (باللغة الألمانية) ليدن .

محاتر الدين أحمد

جامعة عليكتره الإسلامية  
الهند

### المواضيع

- (١) ياقوت الحموي : معجم الأدباء (١٥٤٠: ١٥٧٤) طبعة الرفاعى (١٥٧٤: ٢) طبعة الأستاذ مارغوليث .
- (٢) أحمد بن يوسف الكاتب : كتاب المكافأة : ١٣٦٠ .

- (٣) معجم الأدباء : (٥٩:٥) نقلًا عن تاريخ دمشق لابن عساكر .
- (٤) ابن النديم : كتاب الفهرست ٢٢٨ ، أبو هفان : أخبار أبي نواس ، انظر فهرس الأعلام تحت يوسف بن الداية : راجع فؤاد سيرزكين : تاريخ آداب اللغة العربية (١:٣٧٣) .
- (٥) صلاح الدين الصقلي : اوافي بالوفيات (١:٥٤) ، بروكلمان ذيل (١:٢٢٩) ، وذكر ابن أبي أصيبيعة أنه لأحمد بن يوسف ، راجع عيون الأنباء في طبقات الأطباء (١:٧٧) .
- (٦) كتاب المكافأة : ١٣٦ .
- (٧) المسعودي : سروج الذهب (٧:٦٨) ، كتاب المكافأة : ١٣٦ ، فؤاد سيرزكين : تاريخ آداب اللغة العربية (١:٣٧٣) .
- (٨) قال ياقوت الحموي : كان من جلة الكتاب بمصر ، ولا أدرى كيف كان انتقاله إليها عن بغداد ، معجم الأدباء (٥:١٥٤) .
- (٩) انظر مقدمة كتاب المكافأة : ٣ - ٥ .
- (١٠) معجم الأدباء (٥:١٥٩) ، تاريخ الأدب العربي ببروكليان الترجمة العربية (٣:٧٩) وقال الأستاذ عبد الرحمن بدوى : أما وفاته ففضل أن تكون في أوائل العقد الرابع من القرن الرابع أى حوالي سنة ٣٣١ هـ - وفي كشف الظنون : ٦٦٧ ، ١٠١٥ و معجم المؤلفين لعمر رضا كالة (٢:٢٠٧) أنه توفي في سنة ٣٣٤ هـ و ذكر الأستاذ أحمد سليم سعيدان أنه مات سنة ٣٠٠ / ٩١٢ م (مجلة معهدخطوطات العربية ٧:٢ ص ١٠٠) .
- (١١) أحمد بن يوسف الكاتب : العهود اليونانية (مقدمة) : ٠٢٦:٥ .
- (١٢) مقدمة كتاب المكافأة : ٧٠ . (١٣) معجم الأدباء (٥:١٥٩) .
- (١٤) كتاب المكافأة : ٢٢ - ٥٢ و انظر أيضًا معجم الأدباء (٥:١٦٠) .
- (١٥) ابن القسطى : تاريخ الحكام : ٧٨ .
- (١٦) يوسف انعش : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهيرية (التاريخ

- و ملحوظاته ) : ٩٩ و انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ( ١٢ : ٥٠٦ ) و ذكره المستشرق الالماني جوزف هوروتيس في مجلد MSOS المجلد العاشر صفحة ٠٢٩ ( ١٧ ) المتوفى سنة ٢٨٢٥ . ( ١٨ ) المتوفى سنة ٢٩٢٥ ( ١٩ ) الواقي بالوفيات ( ١ : ٥٤ ) .
- ( ٢٠ ) معجم الأدباء ( ٥ : ١٦٠ ) ، الفهرست : ٣٧٥ ، طبقات الأمم : ٩٠ ، أخبار الحكماء : ٧٨ . ( ٢١ ) تاريخ الأدب العربي لبروكمان ( ١ : ٢٢٩ ) ؛ الترجمة العربية للدكتور عبد الحليم النجار ( ٣ : ٨٠ ) .
- ( ٢٢ ) الأصل اليونانية مقدمة : ٢٨ .
- ( ٢٣ ) طبقات الأمم : ٩٠ ، أخبار الحكماء : ٧٨ .
- ( ٢٤ ) فهرس عام لخطوطات المكتبات الفرنسية العامة ببلجائر ( ١ : ١٤٤٦ ) راجع تاريخ الأدب العربي ، لبروكمان ( ٣ : ٨١ ) الترجمة العربية ، و فهرست خطوطات دار الكتب للعربية ( ٥ : ١٦٨ ) .
- ( ٢٥ ) تاريخ آداب اللغة العربية لبروكمان ( ١ : ١٥٥ ) الترجمة العربية ( ٣ : ٨١ ) .
- ( ٢٦ ) الواقي بالوفيات ( ١ : ٥٤ ) . ( ٢٧ ) مقدمة كتاب المكافأة : ٩ .
- ( ٢٨ ) الواقي بالوفيات ( ١ : ٥٤ ) .
- ( ٢٩ ) المكافأة : ٢٨ ، ٥٦ ، معجم طبقات الأطباء ( ١ : ٤٠ ) .
- ( ٣٠ ) طبقات الأطباء ( ١ : ٢٠٧ ) . ( ٣١ ) رقم : عربية ٢٤١٦ .
- ( ٣٢ ) معجم الأدباء ( ٥ : ١٦٠ ) . ( ٣٣ ) مقدمة العهود اليونانية : ٢٧ .
- ( ٣٤ ) المكافأة : ١٣٨ . ( ٣٥ ) مقدمة كتاب المكافأة : ٩ .
- ( ٣٦ ) أخبار الحكماء : ٧٨ .
- ( ٣٧ ) سألني أن اكتب له شيئاً من شعرى ، فكتبت له مقدار خمسين ورقة منه ، وكان يستحسنها و يعجب بها - ( المكافأة : ٥٢ ) . ( ٣٨ ) كتاب المكافأة : ٢٢ .
- ( ٣٩ ) معجم الأدباء ( ٥ : ١٦٠ ) و انظره ، كتاب المكافأة : ٥٢ .
- ( ٤٠ ) كرد على : كنوز الأجداد : ١٣١ .

## مع المستعرب البريطاني الراحل

أ . س . تريتون

حملت (برقيات الأديب) في عددها الصادر أخيراً، نبذةً انتفأة المستعرب الإنجليزي (أ . س . تريتون) عن عمر مُنْقَل بالستين، و بالعمل الدائب الصمود في حقل الاستشراق؛ فقد مات عن أربعين و تسعين عاماً، و خلف و راءه ثروة من الأعمال الجليلة.

ولى مع المرحوم تريتون ذكرى واحدة، قصيرة المدى، ولتكنها باقية في النفس مدى الحياة.

كان ذلك يوم السبت، الحادي عشر من شباط عام ١٩٦١م، وكانت أزور مدينة باليرمو، عاصمة جزيرة صقلية، لأول مرة. ونزلت في فندق هناك يدعى فندق ساوسيلا (و ساوسيلا: كلمة ألمانية - كما قيل لي - معناها: الخنزير البري).

لم أكن أعرف في باليرمو أحداً، ولكن زيارتي لها كانت ضمن جولة واسعة في أنحاء إيطاليا. وكان الهدف منها التعرف بالمستعرب الإيطالي أو برتوكريستيانو فيمن عرفتهم في تلك الجولة من المستعربين والأدباء الإيطاليين.

بعد أن استرحت قليلاً في الفندق، خرجت أبحث عن معهد الدراسات الشرقية، لكي أزور ريتستانو فيه. وهناك وجدت لديه شيخاً جليلاً،

صغير حدقى العينين ، مديد القامة ، أبيض شعر الرأس واللحية المدببة الصغيرة والشاربين ، يدل مظهره على أنه في الثمانين ، أو فورقها بقليل ، وإن يكن في مرح الشباب وخفته . و كان يتحدث مع ريتستانو باللغة الإنجليزية . وقدمنى إليه ريتستانو ، ثم قدمه إلى قائلا : "المستشرق البريطاني الأستاذ تريتون" . و مضينا تحدثاً فترة قصيرة ، عرفت في أثنائها أن تريتون ينزل في فندق سارسيلا نفسه الذي كنت أنزل فيه . فقلت : صدقة طيبة ، ولست أشك في أنني لنأشعر بثقل الوحدة في باليرمو ونحن معاً . وغادرنا معهد الدراسات الشرقية عند الظهر لنعود إلى الفندق للغداء . وأردت أن أستدعى سيارة نعود بها ، فقد كانت المسافة إلى الفندق تزيد عن كيلو متر ، غير أن تريتون رفض ركوب السيارة . وقال : بل نعود على الأقدام . وفعلاً كانت مشيته أسرع من مشيي ، على الرغم من أن عمري كان نحو نصف عمره فقط . كانت خطاه طويلة وحبيبة وقوية ، ولا يدو فيها أثر الثمانين . كان صوته فقط ثقيراً بعض الشيء ، وهو وحده الدليل على الشيخوخة .

وتناولنا الغداء معاً في الفندق ، وتواعدنا على اللقاء على المائدة في كل وجة قادمة ؛ وكنت آنس إلى حديبه ، وإلى لطفه وصفاء نفسه وذهنه . بعد ظهر اليوم الأول جاء ريتستانو إلى الفندق في سيارته ، و معه زوجته وابنه اسكندر ، وأخذونا معهم إلى قرية (مونزيالي) على مقربة من باليرمو . وهناك دخلنا معهم إلى الكنيسة الكبيرة ، ثم إلى الرواق العربي إلى جانها . وراح ريتستانو يشرح لنا عمل الصناع و الفنانين العرب الذين بنوا الكنيسة والرواق ، وقاموا بنقوشها وزخرفتها . حتى المسيح في صورته الكبيرة داخل قبة الكنيسة ، فوق الهيكل الكبير ، كان وجهه

عربياً، بدوى الملائم والسهات . وأما الهندسة العربية في الرواق فكانت بارزة مدهشة . وفي ذلك الرواق التقاطت عدداً من الصور . كان من بينها صور لتريليون مع ريتستانو وزوجته ولده اسكندر .

مكثت في باليرمو يومي السبت والأحد، وفي صباح يوم الاثنين ١٣ شباط ١٩٦١ م ، غادرت الفندق الساعة السابعة صباحاً إلى المحطة لتأركب القطار إلى مدينة أغريجنتو - مدينة الروائي والمسرح الإيطالي الشهير لوبيجي بيرا نديلو - وعلى الرغم من أن الوقت كان مبكراً جداً، وأن من كان في مثل سن تريليون كان ينبغي أن يراعيشيخوخته ، ويركز إلى الراحة في فراشه في تلك الساعة ، فقد أتي تريليون إلا أن يرافقني إلى المحطة ، متحدياً بذلك الشيخوخة بنشاط وخفة وإصرار .

وفي المحطة بقى داخل القطار إلى الساعة الثامنة والنصف . وظل تريليون معى داخل العربة حتى أعلن المذيع عن الاستعداد للسفر ، فودعني تريليون بحرارة وهو يشد على يدى ويتمنى لي سفرة طيبة . ونزل من العربة ، وظل واقفاً بقامته المديدة على الرصيف إلى جانب نافذة العربة التي كنت فيها ، حتى مضى القطار ، والعجوز المديد القامة ذو الحدقتين الصغيرتين ، يلوح لي يميناه ، حتى بعد القطار ، ورأيته ينكفِّ عائداً في طريقه إلى الفندق من جديد .

كانت هذه البداية منه رائعة ، انحفرت في نفسى بعمق و Moderator و عرفان . حتى لو أكتفى بأن يودعني ونحن على مائدة العشاء في الليلة السابقة ، لكان له عذر ، ولكان يستحق منى الشكر الحار لكرمه ولطفه . ولكنه لم يفعل ذلك ، وأصر على أن يرافقنى إلى المحطة ، وأن يظل معى يوانسى إلى آخر لحظة ، حتى تركه القطار وحيداً على الرصيف .

لم أنس تلك البدرة ، ولن أنسها ما حيت .  
 واليوم ، وأنا أقرأ في ( برقيات الأديب ) السريعة القصيرة نبا  
 وفاة تريتون ، شعرت بدمعتين حارتين تندран من عيني ، و تذكرت  
 صورته وهو واقف على رصيف محطة باليرمو يلوح لي بيده مودعا .  
 هناك في مدينة باليرمو التقينا في معهد الدراسات الشرقية في كلية  
 الآداب ، و تزاملنا يومين فقط في فندق ساوسيلا - أو فندق الخزير البرى -  
 ثم افترقا في صباح اليوم الثالث في محطة السكة الحديدية .

ترى ماذا تم في أمر كتابه ( ابن حزم ) ؟

كان تريتون حينذاك يحذى باهتمام ، في كل جلسة على المائدة ،  
 وفي غرفته أو غرفتي ، عن عکوفه على تأليف كتاب عن ابن حزم ، وعلى  
 المصادر المختلفة التي تتعلق بموضوعه . ثم لم أعلم عنه بعد ذلك شيئا .  
 رحمك الله يا تريتون ! لقد كنت إنسانا طيب القلب ، و مودتك التي  
 نعمت بها فترة قصيرة عابرة فقط ، ستظل بين الجميل من ذكرياتي ، تذكرني  
 بك ، و بالقاممة المديدة ، والحقدين الصغيرتين ، و اللحية المذهبة الصغيرة ،  
 و الشعر الأبيض حول الصلة المنداحة إلى الخلف ، و المشية الثابتة السريعة  
 رغم الثمانين من الأعوام حينذاك ، يوم عرفك في باليرمو .

الدكتور عيسى الناعورى

عمان / الأردن

## مع «إصلاح المنطق»

في ترتيب العكّرى الذي أسماه «المشوف المعلم»

وقدت بأخرة على كتاب جديد وسم به "المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح" على حروف المعجم<sup>١</sup> تصنيف أبي البقام عبد الله بن الحسين العكّرى الحنبلي المتوفى سنة ٦١٦هـ، وقد قدم له وحقيقه وعلق عليه ياسين محمد السواس، و «السواس» هذا من أهل الفضل، وما كنت قد عرفته في عمل آخر من ذي قبل .

لقد حمد العكّرى إلى «إصلاح المنطق» لابن السكّيت وهو كتاب متعالّم متعارف بين الدارسين، فأعاد ترتيبه على حروف المعجم وأسماه «المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم»، ومن هنا فأصل الكتاب معروف وقد طبع منذ سنين، وبهذا يكون هذا الأصل نسخة معتمدة استفاد منها المحقق من غير شك .

و «إصلاح المنطق» يندرج في صنف المصنفات الخاصة بـ «حن العامة»، وكلمة «الإصلاح» فيه تقيد «التصحيح»، وفي ثانيا الكتاب ما يدل على هذا كذا سترى .

و قد حظى هذا الكتاب بعذابة الدارسين فأقبلوا عليه وأكثروا في الكلام على فضل الكتاب وقيمه، قال المبرد: ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن من كتاب يعقوب بن السكّيت في «المنطق»<sup>٢</sup> .

و قول المرد «ما رأيت للبغداديين» يعني «الكوفيين» فقد اتسع المتقدمون في نعت «الكوفيين» بالبغداديين؛ ولعل ذلك يرجع إلى أن الكوفيين من اللعويين والنحاء سرعان ما تحولوا إلى بغداد فاتخذوها مستقرًا لهم، وأن الكثير منهم كانوا هؤلئين لأولاد الخلفاء والأمراء.

وقال ابن خلkan: قال بعض العلماء: «ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل إصلاح المنطق». ولا شك أنه من السكتب النافعة الممتعة الجامحة لـكثير من اللغة. ولا نعرف في حجمه مثله في بايه».

وقد جعله ابن فارس أحد مصادره الخمسة في مصنفه «مقاييس اللغة» وهي: «كتاب العين» للخليل، و«غريب الحديث» و«الغريب المصنف» لـأبي عبيد، و«المنطق» لـابن السكينة، و«الجهرة» لـابن دريد، وما بعد هذه السكتب فحمل عليها وراجع إليها.

وكان من عناية الدارسين بـ«إصلاح المنطق» أن عرض له طائفة منهم بالتاريخين والشرح، وقد أتى محقق كتاب «المشوف المعلم» على ما كان من ذلك.

ولعرض لشيء مما ورد في مقدمة السيد السواس فنقول:  
○ جاء في كلامه على المؤلف العكبري أنه بدأ بقوله: «حياته وسيرته».  
أقول: لو اقتصر المحقق على قوله «سيرته» لكان أحسن وأوفي ذلك لأن كلمة «سيرة» تعني ما تعنيه كلية «حياة» التي درج عليها المعاصرون واقتبسوها من الكلمة LIFE، الانكليزية أو VIE الفرنسية.  
وقد عرفنا من استعمال الكلمة «سيرة» فيما ورد من المصادر: «السيرة النبوية» و«سير أعلام النبلاء» و«المغازي والسير» وغير هذا كثير.

○ وعرض المحقق في كلامه «لسيرة المؤلف» فذكر أنه «عُـكـبـرـي» وأصله

وأصله من مدينة «عكّبرا» . . . وهي بلدة تقع على نهر دجلة بين بغداد وسامراء ، والسبة إليها عكّبرى و عكّبراوي .

و هذه الفوائد اقتبسها من «معجم البلدان» (عكّبرا) .

ثم أردف هذا بالكلام على بساتين (عكّبرا) و مروجها . . . « و شرابها العكّبرى » وأنها اجتذبت بثمارها الفتنة الكثيرة من طلاب اللهو والقصف . . . و ذاع خبرها في أواسط المجان و الخلاء .

و أيد هذا الذي بسطه من أخبار «عكّبرا» بمصدر حديث هو

«مجلة الأقلام العراقية ١٩٦٥» .

ولَا أدرى كيف جاز للحقق هذا ؟ ولو فرضنا أن في «مجلة الأقلام» شيئاً عن «عكّبرا» لكان عليه أن يشير إلى المقالة أو البحث . و «مجلة الأقلام العراقية ١٩٦٥» تعنى أعداد المجلة لمدة سنة ، وليس من العلم أو التحقيق أن يشار على هذا النحو لمجلة مهما كانت من المجالات المتخصصة به مجلة قصد منها أن تكون مما يشغل بها القارئ العام ، وهي حديثة قبل كل شيء . ثم إن الكلام على «عكّبرا» وبساتينها وأصحاب اللهو فيها مما يمكن أن يوجد في كتب البلدان و غيرها .

و كيف يجوز أن يذكر شيء ذكره ياقوت ، ولا نرجع إلى «معجم البلدان» ، بل نأخذ بما نشر في «المجلة» المذكورة كما ورد في الصفحة (١٢) من «المقدمة» ، في الكلام على المنسوبين من أهل العلم إلى «عكّبرا» ؟

و عرض المحقق في الكلام على سيرة المؤلف ، للذين أخذ عنهم من أهل العلم في الصفحة (١٤) وأشار في حاشيته إلى «سير النبلاء» المجلدة ١٣ الورقة ٣٧٥ كما أشار إلى مصادر أخرى .

أقول : و الذي عرف بما حقق من هذا الكتاب ، وما قرأناه في

كتب التاريخ أن الكتاب «سیر أعلام النبلاء» للذهبي، وهو كذلك في فهرست المصادر الذي ختم به المحقق الكتاب.

و جاء في هذه المصادر أيضاً «ختصر الديبيثي»، و يريد المحقق «الختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الديبيثي» وليس «الديبيثي» لأن المنسوب إلى «ديبيثا» من أعمال واسط هو الاب، و مؤلف «التاريخ» الذي ذيل به على الخطيب في «تاريخ بغداد» هو الابن، والاسم مثبت على وجهه الصحيح في فهرست المصادر.

أقول : و ليس من العلم أن يسامي إلى أسماء الكتب وأسماء المؤلفين بحجية الاختصار كما هو جار في «كتاب الأنساب»، يقال : للسمعاني، و الصواب : ابن السمعاني، ومثل هذا «المغرب» للجواليق، و الصواب : ابن الجواليق.

وفي كلام المحقق على كتاب «المشوف المعلم» قال في الصفحة (٢٧) .  
 «... وقد سار في ذلك على طريقة كتاب «المجمل» لابن فارس، أي تبعاً «للحرف الأبجدي الأول»، أقول : و الذي أراده المحقق من «الأبجدي» هو الترتيب الهجائي ا ب ت ث ج . و هي حروف المجمم كما يقال، و ليس هذا «أبجدياً» ذلك أن «الأبجدي» هو ما اتبع فيه : أبجد هوز حطي ..

و يتتجاوز عمل العنكبي في كتاب «إصلاح المنطق» الترتيب على حروف المجمم فهو يقول :

و سويت في وضوح معانيه بين الفصيح والأعمم، واجهدت في تلخيص العبارة، و اكتفيت عن الاسهاب بالإشارة<sup>٦</sup>. و هو يقول أيضاً: ولم أزد على ما فيه، غير ايضاح خافيته، و تسمية شاعر أغفله، و إتمام بيت حذف آخره

آخره أو أوله . وضم بيت إلى بيت به يعرف معناه ، ويعلم به ما قصده  
الشاعر و انتهاه ٠

و جاء في الصفحة (٣١) من مقدمة المحقق :

«وفي حواشى الكتاب عدد من «ال تصويبات » تدل على قراءة  
النسخة على المصنف ٠٠

أقول : و «ال تصويبات » هنا تعنى « التصحیح » أو « الإصلاح »  
وليس الأمر كذلك لأن « التصویب » يعني الإقرار بالصواب كأن تقول :  
أفاد فلان أو ذكر الخبر المعروف فصوبه جماعةً أى أقرروا بصواب ما ذكره  
وأفاده ، وعلى هذا جرى المتقدمون في أساليبهم الفصيحة ، فأما « التصویب »  
بمعنى تصحيح الخطأ فلغة حديثة معاصرة ٠

٠ ٠ ٠

ثم نأتي إلى نص الكتاب فنجد في كتاب الهمزة في باب الهمزة والباء :  
أبر : أبرت النخل وأبره أبرا إذا لفتحه وأصلحته .... أقول :  
والصواب : ... وآبره أبرا ، وذلك لأن اجتماع الهمزتين مفتوحة  
وساكنة يوجب المد ، كقولنا : آمن وآنس وآجر من الأفعال ، وآخر  
وآدر وآزر من الأسماء ٠

ومن العجيب أن المحقق أثبت ما يبني بهذه القاعدة في الصفحة  
التالية (٥٠) فجاء : آبل فهو مثيل ، وجاء فيها أيضا : أبى الشى آباء إباء ،  
ولنعد إلى كتاب « إصلاح المنطق » لنقول إنه كتاب لغة وهو  
شيء من كتاب ابن السكين الكبير الموسوم بـ « الألفاظ » الذي اشتهر  
« تهذيه » الذي صنعه التبريزى . وأما مسألة « الإصلاح » أى « التصحیح »  
فشيء قليل لا زراه في أغلب مواد هذا الكتاب ، بل ثمر به في حشو

جملة قليلة من مواده .

إننا نقرأ في آخر «العرَبَان» و «العرَبُون» قوله : ولا يقال : الربون ، وهذا يعني أن «الربون» شيء درج عليه العامة .

ونقرأ في مادة «آزيته» بمعنى حافنته قوله : ولا يقال : وازيته .

ومثل هذا قوله في «الأالية» بفتح الهمزة و تخفيفها ، وغيره خطأً .

وغير هذا مما عبر عنه بقوله : «لا غير» كما في كلامه على مادة (غ ل ق) قال : أغلقت الباب بالألف لا غير .

وبعد فإن هذا الكتاب لا يمكن إلا أن يدرج مع الكتب التي أراد منها أصحابها أن تكون شيئاً من المعجم القديم .

جامعة الأردن

عمان

### الهوامش

- (١) «اصلاح المنطق» لابن السكيني ، نشر دار المعارف في القاهرة .
- (٢) «المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم» لاعسکبری ، جزءان حققهما ياسين محمد السواس من منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

(٣) صرآة الجنان ١٤٨/٢ .

(٤) وفيات الآعيان ٤٤٢/٥ .

(٥) معجم مقاييس اللغة ١/٥ .

(٦) مقدمة المحقق ص ٢٩ .

(٧) المصدر السابق .